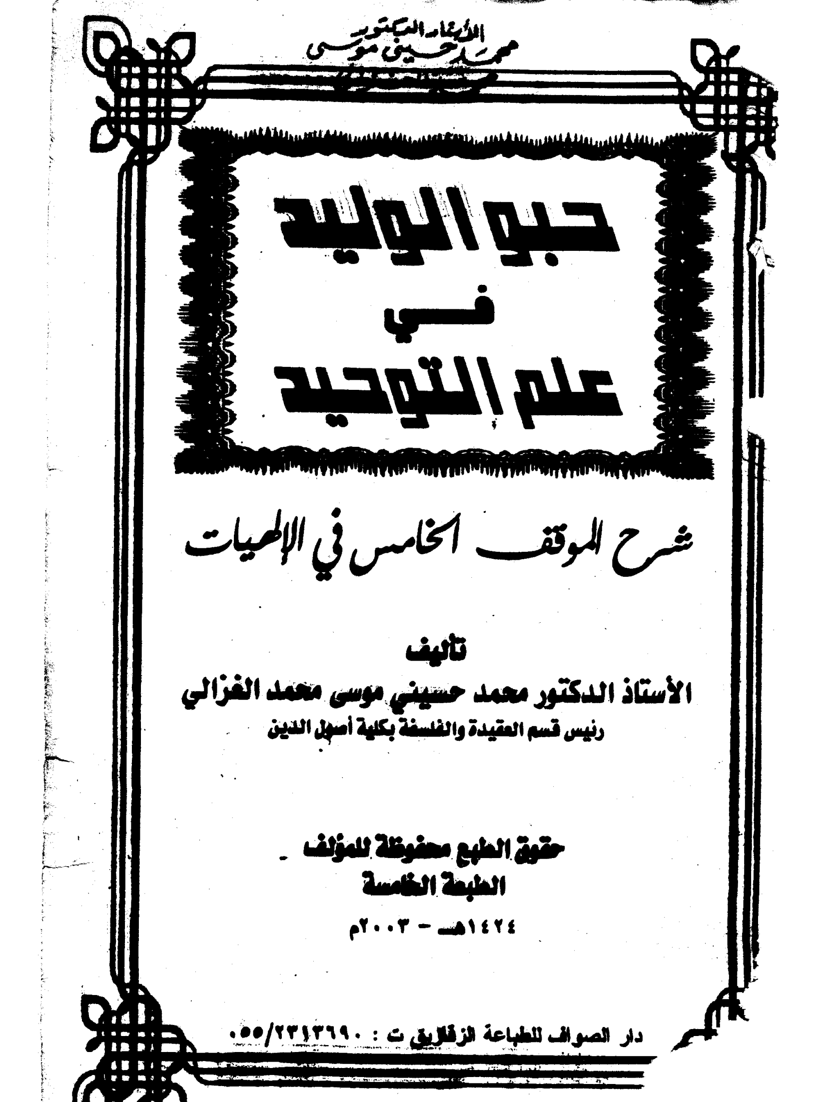


الأستاذ الدكتور
محمد حسيني موسى

حبو الوليد في علم التوحيد

شرح الموقف الخامس في الإلهيات

تأليف
الأستاذ الدكتور محمد حسيني موسى محمد الغزالي
رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين

الطبعة الخامسة
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار الصواف للطباعة الزقازيق ت : ٠٥٥/٢٣١٣٦٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

"إهـــداء"

إلـــى :

شيخ يمثل صورة السلف الصالح ، سلامة صدر ، نقاء سريرة ، استضاءة العقل بنور الشرع .

شيخ تربع على ناصية فؤادي بحبه لله ورسوله تعلمت على يديه ، وقبست من علمه ، صحبته حينا من الزمان فلمست فيه كرم الصحابة ، ونبل الفضلاء ، وأخلاق العاملين من العلمـــاء .

شيخ سيظل دينه فى عنقي طوقا ما حييت ذلكم الذى أهـــدى إليـــه أول أعمالي في علم التوحيد ، ثمرة ذاكية أمل أن تنال منه قبولا وتحظى لديه بالحب والوفـــاء .

إلى شيخي فضيلة الأستاذ الدكتور / حسن محرم السيد الحويـــني أستـــاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر ، متمنيا لفضيلته كل خير يرجـــوه ، وغايـــة ينشدها ، بارك الله له فى علمه ومتعه بالصحة ويسر له أمره .

تلميذك

د / محمد حسيني موسى محمـــد

غزالة الخيس – فى العاشر من رمضان ١٤١٦هـ ، الموافـــق ٣٠ يناير عام ١٩٩٦م

((مقدمة الطبعة الثانيــة))

الحمد لله غفار الذنوب ، ستار العيوب ، مفرج الكــروب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، الخاتم لمن سبق الفاتح لما أغلق ، الناصر الحق بالحق ، السديد قوله المقبولة عند الله شفاعته ، رضى الله عنه وآل بيته الكرام ، وصحابته وحملة العلم الأعلام ، وارحم اللهم شيوخنا ووالدينا ، عاشوا فى تقــوى على الدوام .

أما بعــــد ...

فلله الحمد والمنة ، أن أزاح الغمة ، وكشف الظلمة ، وقــوى الهمة ، وفرج عنا كل ملمة ، ويسر بفضله وكرمه كل قضية مهمــــة ، حتى ما بخل عَلَىَّ ذوى همة .

قابل اخوانى وطلاب العلم هذا الكتاب بروح العلم ، فمــا وجدوا فيه من فائدة تعقبوها ، وظنوها الحقيقة نقبوها ، ونظــر اليه شيوخى الأماجد فرحموه ، ورأوا ضعفى فجبروه ، فما من شائبة رأوها الا نصحوا الحق فيها ، وهم فى قلبى الناصح الأمين .

فلم تطل لنسخ الكتاب فى المطبعة اقامة ، بل بدا – رغــم ضعف صاحبه – كأنه طويل القامة ، تلهف عليه طلابه ، مما دعانى لاعادة تكرار الطبعة الأولى من غير اضافة اليها ، أو حذف منها .

ثم جدت الشواغل ، وانتقل الى رحمة الله تعالى من كان مرضه احدى الشواغل (١) ، فراجعت الكتاب على عجل ، وأضفت اليه من غير مهل ، فان تكن الخطا منى تعثرت ، والملاحظات من حولى تجمعت ، فلى فى الله أمل جبر المنكسر ، ونصرة المظلوم ورجاء المكلوم ، فهو وحده الحى القيوم .

ولى من شيوخى مزيد النصح ، وكثير الصفح ، فما أنا طالب المدح ، ولا المحبب اليه القدح ، ولى فى الاخوان الرجاء العفو عن الأخطاء ، والنصح فى السراء ، وعدم الشماتة فى الضراء .

اما اخوانى وأخواتى من طلاب العلم ، فربما عز عليهم الفهم واستغلقت على بعضهم مفردات المبهم ، فليعذروا لى ، فما أنا الا من طلاب العلم ، "رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" .

دكتور

محمد حسينى موسى محمد الغزالى

غزالة - مركز الزقازيق - شرقية

غرة رجب الفرد - عام ١٤١٨ هـ

---

(١) هو والدى الكريم رحمه الله حيث وافاه أجله - بعد رحلة مرض - فى السادس والعشرين من شهر أغسطس ١٩٩٧م رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أقام أدلة وجوده فى فِطَرِ المخلوقين ، وأعلاها النقل المنزل فى أم المرسلين ، حتى بات توحيده تعالى نغمة حب تتردد فى أفئدة المؤمنين ، ونورا يشع فيأخذ بألباب العارفين ، ولشدة نوره لاتراه ضلالات المنكرين .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لامعبود سواه ، جعل توحيده للمؤمن مبتغاه ، وتأكيد الكمالات وسلب المنقصات هداه ، فأطل عقل المؤمن يوحد الله ، وراح قلبه ينعم فى نور مولاه ، فأقامه من نفسه وجوانحه ونجواه ، وجعل دينه حجته ومرتضاه ، ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم مثاله الحى وقائده لرضوان الله .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علّمه الله القرآن الكريم وبه علّم ، وجعل السنة المطهرة معه تتم وتحكم ، فبالقرآن الكريم هدى مَنْ كان فى الضلال أعظم ، وبنور السنة المطهرة استضاء من كان أظلم ، حتى ارتفعت راية التوحيد فى الفيافى والمنجم ، وبلغت أطراف الأرض وتجاوزتها الى ما الله أعلم ، فأعلنها الألكنُ والعربى والأعجم .

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه النجوم الزهر ، الأطهار الغُر ، الذين كانوا درة فى جبين الدهر ، وأرض اللهم عن التابعين الذين حملوا الدعوة نقية بكل فخر ، فبلغوها تترى فى كل دهر ، واجعلنا اللهم ممن قبلت لهم العذر ، واحشرنا

ربنا مع الذين تبدل سيئاتهم حسنات ، حتى اذا حشروا كانوا من أهل الرضوان والجنات ، إنك سميع مجيب الدعوات .

وبعـــد ،

فانه اذا كانت العلوم تشرف بموضوعاتها ، وتزهو على أترابها ، وتفاخر بوسائلها وغاياتها ، فان علم التوحيد قد حظى بها كلها ، اذ أن موضوعه الذات الالهية وكمالاتها ، ورسالات الله وأنبيائها ، وأمور السمع وسائر غيبياتها ، فمَنْ مِنَ العلوم ينافس علم التوحيد أو يدّعى فى مسائله مماثلتها ؟ !

من ثم . فقد بذلت الجهود والطاقات ، فى شرح مسائل العلم وتفهم الالهيات ، وعرض قضايا الوحى والنبوات ، وتمكين العقل من قبول السمعيات ، بعد أن نطقت بها من القرآن الكريم الآيات ، وذكرت الأحاديث الصحيحة أمرها وأقامت أوصافها . والمواقف والشروحات ، حتى بات الغيب للعقول مشاهدات ، فارتفع القلق وأمن القلب وفى رحاب اليقين بات .

أجل . اندلعت الأسئلة الحائرة ، من فوق شفاه جائرة ، أنكرت الاله والنبوة والآخرة ، فنهض لها علماء الاسلام أصحاب العقول النيرة ، بأدلة محكمة من النقل والعقل حتى ردوها لأصحابها حاسرة ، لم تعرف لها رأسا أو ذنبا بل لم تعرف مقدمتها من المؤخرة ، وصار الحكم الأكيد عليها أنها أسئلة فاجرة .

وقد ألزمت تدريس علم التوحيد ، وهو عندى الهام حاضر وتليد ، فاستخرت المولى المبدىء المعيد ، الاستعانة بذى العرش المجيد ،

الفعال لما يريد ، فيهدانى الى رسم ما أنا فاعله بـ " حبو الوليد في علم التوحيد " ، والله أسأل أن يجعل فيه الجديد ، قبولا وتأليفا ، وأجرا ، وما ذلك على الله بعيد .

المؤلف

دكتور / محمد حسينى موسى النزالى
غزالة الخيس - مركز الزقازيق شرقية
غرة شعبان سنة ١٤١٦ هـ

((مقدمات لابد منها))

المقدمة الأولى

(ظروف تأليف الكتاب)

(المقدمة الأولى)

ظروف تأليف الكتاب

شاءت ارادة الله تعالى ولاراد لما قضى به ، أن يسند الى تدريس كتاب المواقف للامام الايجى ـ الموقف الخامس فى الالهيات ونظرا لأن الامام العضد قد وجد فى زمان غير زماننا ، وألف كتابه مستخدما عبارات ، كانت مألوفة عندهم ، لكنها ربما استعصت بيننا فقد حاولت شرح الجزء المطلوب ، حتى يسهل الأمر على طالبه .

ولئن كانت الظروف صعبة ، والملابسات عديدة ، والشواغل متعددة من ضيق الوقت ، واعتلال فى بعض الصحة ، بحيث تكون عوائق عن التأليف على الوجه الذى استشعر معه بعض الرضا عن مابه قمت ، وقبول ما قدمت ، فرضيت بقضاء الله وقدره ، وقمت ناهضا ادعو الله أن يرزقنى صبرا على ما انا ملاقيه ، ويهبنى اناة أعالج بها ما انا فيه ، وفعلا شعرت بأن دعوتى عند الله قبلت .

ورغم انها عجالة ، الا انها مباركة ، اذ بزغ لى فى الأفق نور التوفيق ، فأمدنى الله بصحة كنت اتمناها ، وعافية ماكانت تجول أطيافها بخاطرى الا كحلم كم طال انتظاره ، وسعة فى الوقت حتى لكأن الله أمد فى الثوانى ، وأطال فى الدقائق ، حتى تفيأت ظلالا وارفة ، فبت أرفل فى نعيم من الرضا والصحة والوقت ، واراني لم أوف شكر هذه النعم كلها ، وأدعو الله توفيقا كم تمنيته حتى أؤدى لله شكر نعم كم تقلبت فيها .

ومن نافلة القول بأن الله يسر لى طائعا من زملائى أهل العلم والدين ، حتى كان يكتب لى ما أمليه على فضيلته عند ما أعجز عن الكتابة والتدوين ، وان كنت أغفل ذكر اسمه ههنا عمدا ، بغية نواله ثوابه من الله كاملا ، وتفاديا من عين حاسد ، أو نار حاقد ، كما بارك الله لى فى زميل آخر من أهل العلم والدين ، فكانت كل الأحاديث التى أحتاجها يقف لها منتدبا نفسه – رغم ظروفه الصحية – وأذكر أننا كنا نقضى وقتا فى المناقشة كنا فعلا أحوج اليها ، لأن العلم يضيع بين الكبر والحياء ، وسأعمد الى اغفال اسمه لنفس الغرض السابق .

بيد أنه من مواطن التوفيق تيسير الله كاتبا أوشك أن يتفرغ لصالح ما أكتب ، حتى يكتبه على آلة النسخ التى يجيدها ، ثم يقوم بتصويره واعداده للطبع ، ثم طبعه وتوزيعه ، حبًّا فى الله الذى لا يقاس به حب ، نعم كان يتقاضى عرضا زائلا عن عرق مدرار ، هو حقه بكد اليمين وعرق الجبين ، وأذكر أن هذا عملا أدعو الله أن يؤجر الجميع عليه . (١)

أما التأليف فقد أرهقنى كثيرا ، أناة ، ومعاناة ، واصطبارا ، أما لماذا ؟ فلأن طلاب العلم وجدتهم يقبلون على ما أقول : بل ويحبّرون به دفاترهم ، ويقيدونه قيد الأوابد ، مما دفعنى الى مزيد قراءة والكثير من الدرس ، حتى تكون الفائدة من العموم بمكان ، وكم ألحّ علىّ طلاب العلم اخراج كتاب ، وهو طلب عزيز ، لكن من أنا حتى أؤلف فى هذا العلم ؟ !

---

(١) هو الفاضل النبيل الاستاذ / محمد كمال حسنين .

ويعلم الله ، أنى أجد من نفسى ضعفا عن مقارعة هؤلاء الأفذاذ ، حتى أدعى التأليف ، أو أزعم الاستقلال ، كل ما فى الأمر أن يراعى لم يبلغ بعد سن الفطام ، ولم يشب عن طوق ما به الاهتمام ، لذا اعتبرت نفسى وليدا لاتقوى ساقاه حتى يسير على قدميه شوط هذا العلم ، أو يجد فى نفسه الجرأة لمغالبة تيار الرغبة حتى ينزل شاطئ هذا العلم ، الذى كم غرق فيه الكثيرون ، بعد أن زعموا لأنفسهم مكانا فيه ، وادعوا بلوغهم الغاية منه •

على أنى : أدعى غيرا — مجرد ادعاء — طفولة فى هذا السن ، ولكنّ هناك فارق بين العمر الزمنى ، والعمر العلمى ، فأنا فى الزمان متقدم جاوزت الأربعين بكثير ، أما فى العلم فما أنا الا وليد يحاول تقليد الكبار فى الحركة ، لكن حركته على الحبو وليست على القدمين ، حركته مقيدة بامكانياته المتواضعة ، وهاأنذا • ومن ثم سميته " حبو الوليد فى علم التوحيد " •

ولايغربن عن ذى بال • أن التأليف فى أثناء سير الدراسة صعب جدا ، حتى كان المؤلف يعتصر فكره ليقدم لطلاب العلم مافهمه ، موثقا ما يلقيه عليهم ، راجعا به الى ما يمكن من مصادر ، فما بالك اذا كان التأليف مصاحبا التدريس فى أكثر من منهج دراسى ؟ حيث أقوم بتدريس مواد ثلاثة هى :

(١) الفلسفة العامة والأخلاق • لطلاب السنة الثانية — شعبة أصول ،
(٢) التوحيد • لطلاب السنة الثالثة — شعبة عقيدة ، دعوة •
(٣) التيارات الفكرية المعاصرة • لطلاب السنة الرابعة — عقيدة •

وكل هذه المواد أقوم بالتدريس فيها ، والمطلوب أن يوافق التدريس التأليف طبقا للمنهج الذى أقرّ من الجامعة ، من ثَمّ وجدت نفسى مضطرا للعمل ليلا ونهارا وفاء لعهد قطعته بين ربى ونفسى أن ألتزم الجادة ما كان الى ذلك من سبيل .

واشكر ربى الكريم اذ أعاننى ، فهاأنذا أقدم كتاب التوحيد وقد انهيت كتاب " رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق " واعد مذكرات فى التيارات الفكرية المعاصرة ، ولاشك أن هذا المجهود ربما وقعت فيه الهنات ، وانجلت بعض الملاحظات ، فمن وقع على واحدة منها ، فليعذر لى أمرى ، وليهد لى عيبى ، وليستر لى عورة ما تمنيت لها يوما أن تنكشف ، فما العصمة الا لله سبحانه وتعالى ورسله ، ومن يختار من عباده .

المقدمة الثانية

(الامام الايجي وكتاب المواقف)

المقدمة الثانية : الامام الايجي وكتاب المواقف :

أولا : الامام الايجـــي :

(أ) نبذة عنــــه :

هو الامام القاضي . عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار البكرى الايجي ، ولد ببلدة " ايج " من نواحي شيراز بفارس ، وكان مولده في عام ٧٠٨ هـ ، كان له شيوخ كثير ، ومنحه الله بسطة في العلــم والمال فيِّن علمه ، أنه كان من أئمة الأصول (١) ، وكان له علم بالنحــو والمعاني وكان عالما بالبلاغة واللغة ، أما ماله . فيروى أنه كان صاحب مال وفير ، وشّع منه على طلبة العلم ، ونظرا لكثافة علمه ، وثراء مالـه فقد كانت له كلمة مسموعة ، وأمر نافذ .

أقام أول أمره بايج ، ثم انتقل الى الاقامة بمدينة سلطانية ، حتى بلغ فيها شأوا ، وولى قضاء الممالك ، غير أنه قرر الانتقال الى "ايــج" حيث توفى مسجونا بقلعة دريمان عام ٧٥٦ هـ عن عمر لم يتجاوز ثمــان وأربعين عاما ، ومع هذا فقد ترك ثروة كبيرة في فنون العلم المختلفة ، مما دفع بحاسديه الى اختلاق أكاذيب عليه ، تحط من قدره ، وفــي تقديرى : أن صاحب المؤلفات العظيمة ، والصفات النبيلة ، لايفعــل الأشياء الذميمة (٢) .

---

(١) له كتاب الأحكام في الأحكام ، وله شرح منتهى السول في علــم الأصول والجدل لابن الحاجب .

(٢) يمكن الرجوع الى الأعلام للزركلي ٤/٦٦ ، ومعجم المؤلفيـــن لرضا كحالة ٥/١١٩ .

(ب) المذهب الذى أرتضاه :

ارتضى الايجى فى العقيدة سلوك مذهب الأشاعرة من أهـــل السنة والجماعة ، والمشهور أن الشافعية فى الفروع أشعرية فـــى العقيدة ، وأن الأحناف فى الفروع هم الماتريدية فى الاعتقاد ، ويخال إلىّ أن هذا المشهور ليس على سبيل الحصر والاضطرار الذى يفيـــد التأكيد ، بقدر ماهو من قبيل التعبير بالأعم الأغلب ، والا فما حـــال المالكية والحنابلة ومن بعدهم كالزيدية وغيرها ؟

أجل يمكن القول بأن المالكية والحنابلة سلفية ، ولكن هذا القول لايفيد الحصر بدليل أن الحفيد الهروى حنبلى الفروع شافعى الأصول وكثير غيره .

ويمكن أن يقال : ان الامام الايجى يمثل حلقة هامة من حلقات متأخرى الأشاعرة ، الذين استعملوا المصطلحات الفلسفية فأدخلوهـا ميدان الدراسات الكلامية بعد تفريغها من محتواها الفلسفى ، ثـم تعبئتها بمدلول كلامى ، وأبرز دليل على ما ندعيه قول الايجى نفسه " علم الكلام : المتكفـل باثبات الصانع وتوحيده ، وتنزيهه عـــن مشابهة الأجسام ، واتصافه بصفات الجلال والاكرام ، واثبات النبـوة التى هى أساس الاسلام ، وعليه مبنى الشرائع والاحكام " (١) .

(جـ) المنهج الذى التزمه :

الامام العضد الايجى أشعرى المذهب ، ومن ثمَّ فقد سلك طريق متأخرى الأشاعرة ، ولم يحاول المخالفة فى أصول المذهب حتى ولـــو

---

(١) الامام عضد الدين الايجى - المواقف المقدمة ص ٣ .

كانت المخالفة نوعا من الميل الى نهج الماتريدية الذين يمثلـــون الجناح الثانى لأهل السنة والجماعة ، وعلى هذا النحو جاء كتابـه موافقا لمصادر متأخرى المذهب كالامام الآمدى ، وهذا الموقف منـه قد حدا بالامام الفنارى الى تعقب بعض المسائل التى تعرض لهـا المواقف ، ثم أشار الى ضعفها ، كما نبه الى هذه المسألة الامـام الجرجانى عند مهاجمته دليل قياس الغائب على الشاهد وتركيزه علـى ضعفه .

ولا يعنى هذا أن المذهب الأشعرى فيه نوع من القلق والاضطراب وانما معناه أن علماء المذهب الأشعرى تمثل عندهم جانب النقـد والتقويم لأعمال رجال المذهب ، فاذا وقع أحدهم على عوج فى الفكرة أقامه ، أو كسر فى العبارة جبره ، أو عثرة فى قول أنهضه من عثرته ، وتلك محمدة للأشاعرة ومنقبة .

وقد سلك المحققون من الاشاعرة نفس هذا المسلك ، كما فعـل الشيخ الأجهورى ، والشيخ اللقانى ، والشيخ الباجورى ، وغيرهـم من محققى المذهب ، على ما هو منصوص عليه فى تحقيقاتهم والمؤلفـات التى صحت نسبتها اليهم ، وتم تحقيق أقوالهم فى المسألة .

ثانيا : كتاب المواقف :

(أ) موضوع الكتاب :

اشتغل الشيخ الايجي بالدراسة والتأليف منذ نعومة أظافره دراسة ، ومنذ الشباب وهو يؤلف فى كثير من العلوم التى شغل نفسه بها ، وقد أبلى الرجل بلاء حسنا فى كل فن تعرض له ، غير أنه وجد علم الكلام ، الذى نما فى رحاب الاسلام لم يقم الشيخ فيه بالتأليف رغم أنه يؤدى مهمة عظيمة فى خدمة الاسلام ، تقريرا للعقيدة الايمانية ودفاعا عنها .

من ثمّ فقد جعل الرجل موضوع كتابه "المواقف" هو قضايا ومسائل علم الكلام ، وحتى يصل الى عرض قضايا علم الكلام ، فقد استخدم الشيخ قاعدة أن مالايتأتى إلا به الواجب فهو واجب ، على نحو أمثل ، وبشكل واسع فبذل مجهوده فى المقدمات والأمور العامة ، والأعراض والجواهر ، حتى انتهى الى الالهيات ، والسمعيات التى هى عناية الرجل الأولى .

(ب) طريقة تأليفه :

١ - اسم الكتاب :

أعلن الشيخ أنه وجد الكثير من الآراء المتعارضة ، والأفكار المتصارعة ، والعقول الحبالى التى لاتعقب جنينا ، حتى اطلع على غالب أحوالهم ، فاذا هم بين ناقل كتب غيره كالنساخ ، وضارب المقدمات بالمؤخرات ، وحاطب بليل يجمع ولايدرى من أين جاء به ، وكل هذه مثلت عند الشيخ مواقف ، حتى أن كثرة من الراغبين اليه ، المترددين

عليه طلبوا منه القيام بواجبه نحو دينه ، والمواقف التي يتعرض له .

وكذلك وجد الشيخ في الناس مواقف ، بعضها يُعِزُّ الدين فيها بالسيف والسنان ، وبعض آخر له موقف يأمل فيه نصرة الدين بالحجة والبرهان ، فاختار الشيخ عنوانا لكتابه اسم المواقف ، حتى يجمع كافة المواقف الفكرية المعروضة في ذات المسألة ، ثم يقدم موقفا يحل به اشكالات هذه الفرق ، ويقدم به صورة المذهب الأشعري جلية ، بعد اضافاته الذكية (١) .

٢ — الاسم العنواني :

جعل الايجي عناوين لمواقفه بحيث يتوافق كل عنوان مع الموقف الذي يخصه ، فمثلا جعل عنوان :

الموقف الأول : في المقدمات ، بحيث اشتمل المرصد الأول على تعريف علم الكلام ، وموضوعه ، وفائدته ، وترتيبه ، ومسائله وتسميته .. الخ .

الموقف الثاني : في الأمور العامة : وفيه مقدمات ومراصد ، الوجود والعدم ، والماهية ، والوجوب والامكان والامتناع ، والوحدة والكثرة ، والعلة والمعلول ، وتحت كل مرصد مسائل عديدة .

---

(١) الامام العضد الايجي — المواقف آخر المقدمة .

الموقف الثالث : فى الأعراض ، وفيه مراصد،تتعلق بأبحاث العرض الكلية والكم ، والكيفيات ، وهو من أهم المباحث التى يجب الالتفات اليها ، كما أنه من أطول المباحث فى علم الكلام .

الموقف الرابع : فى تقسيم الجوهر ، وفيه مراصد،فى الجسم وأقسامه والنفس وما يتعلق بها ، ثم العقل وما يتعلق به وأخيرا اضافة فى الجن والشياطين .

الموقف الخامس: فى الالهيات ، وهو الذى نعتنى بدراسته .

الموقف السادس: فى السمعيات ، وفيه مراصد،فى النبوات ، والمعاد والأسماء ، والأحكام ، والامامة ، وخاتمة تتعلق بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم ذكر الفرق التى ورد بها الحديث الشريف فى انقسام الأمم على ماهو مدون فى صفحات هذا الكتاب النفيس فى بابه .

(جـ) كيف عالج الموضوعات التى تعرض لها :

أولا : طالع الايجى الكتب المصنفة فى هذا الفن ، فلم ير " فيها ما فيه شفاء لعليل ، أو رواء لغليل " (١) ، فحاول معالجة الموقف بتجريد الفن من المقدمات المطولة ، وزخرفة القول بحيث يبلغ به الاهتمام أعلى من قضايا العلم نفسه .

ثانيا : قسم العلم الى مواقف عرض فى كل موقف المسائل التى انطوت تحته ، وربما عرض آراء كثيرة مغلبا رأى الأشاعرة على رأى غيرهم .

(١) المقدمة .

ثالثا : اهتم ببلورة القضايا فى عبارات قصيرة مع المحافظة على سلامة الأفكار المطروحة ، وعرض الأدلة على النحو الذى يرجوه أصحابه .

رابعا : حرر مذهبه والمعالجة فى عبارات قصيرة ها هو يقولها: " ولم آل جهدا فى تحرير المطالب وتقرير المذاهب ، وتركت الحجج تتبختر اتضاحا ، والشبه تتضاءل افتضاحا ، ونبهت فى النقد والتزييف والهدم والترصيف على نكت هى ينابيع التحقيق ، وفقر تهدى الى مظان التدقيق " (١) الى غير ذلك من الأمور التى كشف عنها الشيخ الايجى فى معالجة مسائل الكتاب وموضوعاته ، والنتائج التى توصل اليها ، والأهداف التى كان يتطلع اليها ، والكتاب بحق يعتبر حلقة مميزة من حلقات التأليف فى علم الكلام على المذهب الأشعرى .

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٤ .

ثالثا : شراح الكتاب والمحشون عليه وأصحاب التقريرات :

(أ) شـراح الكتاب : قام بشرح الكتاب كثرة نذكر منهم اجمالا :

١ - الامام السيد الشريف الجرجاني - المتوفى سنة ٨١٦ هـ :

وقد ألزم الجرجاني نفسه متن المواقف ، حتى اذا توجه اليـه بالشرح كان في حدود ما يتسع له المتن ، اللهم الا اذا رأى اضافة محدودة فكان يقوم بها ، بحيث لم نجد الجرجانـي - حسب دراستنا المتواضعة - قد خالف الايجي في مسائل كثيرة ، بل ربما كان موقف الجرجاني من متن الايجي في المخالفة محصورا في مجرد أمثلة ، كتضعيفه قياس الغائب على الشاهد . بل انه عند استشعاره ضيق عبارة لايخرج منها المعنى المـراد كاملا ، نرى الجرجاني يفسح صدور كلمات ليفتح ثغرة في متـن الايجي يخرج منها المعنى الذى اعتصم برحم عبارة الايجي ، بل ربما تمثل حياء العذارى في وجدان الشيخ الجرجاني عند شرحه أدلة الحدوث والامكان شرطا أو شطرا لدى الايجي حتى أخرج عبارته الهادئة .

من ثم تراه يخرجها على استحياء قائلا : " ولايخفى عليـك أن هذا تطويل ورجوع بالآخر الى دليل الامكان " ، فرغـم أن الجرجاني يسمع صيحة دليل الامكان تعلو أدلة الحدوث الا أن حياءه لم يقده الى اعلان أن دليل الامكان أقوى من دليـل الحدوث عند الأشاعرة ، خشية أن يقال : أن الجرجاني رجح دليل الفلاسفة على أدلة المتكلمين ، وان كان هو الحقيقـة بعينها التى أعلنها الفناري ، وناصره فيها السيالكوتي ، ومـع

هذا فان شرح الجرجاني للمواقف يعتبر من أمتع الشروح وأكثرها دقة واتساعا ، وتصويرا للمذهب ، ومعالجة لقضاياه .

٢ - الشيخ - شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني .

٣ - سيف الدين الأبهري .

٤ - الشيخ / علاء الدين على الطوسي .

(ب) المحشون على الكتاب :

قام بالتحشية على الكتاب كثيرون نذكر منهم :

١ - الامام حسن جليبي بن محمد شاه الفناري - توفى ٨٨٦ هـ .

٢ - الشيخ / عبد الحكيم السيالكوتي اللاهوري .

٣ - المولى أحمد بن سليمان بن كمال .

٤ - شمس الدين محمد بن أحمد البساطي .

٥ - المولى أحمد بن عبد الأول القزويني .

(جـ) أصحاب التقريرات :

١ - الشيخ مسعود الشرنواني .

المقدمة الثالثة

جهودي في الكتاب

المقدمة الثالثة : جهودى فى الكتاب :

حينما اتجهت الى بسط المقام فى شرح هذا الكتاب دارت بذهنى خواطر كانت حبيسة ، وطافت بخواطرى آمال كبار ، اذ كيف أقوم " وأنا الضعيف " بمثل هذا العمل ويشهد الله أن مسألة شرح هذا الكتاب نالت منى قدرا من المعاناة ، لذا نهجت لنفسى منهجا أقوم فيه على ما يلى :

أولا : الحرص - قدر الطاقة - التزام موضوعات الكتاب التى أقوم بشرحها من حيث هى مرتبة على النحو الوارد به ٠

ثانيا : التزام منهج يجمع بين رؤية السلف الصالح ، علماء الأمة وبين أهل السنة والجماعة - أشاعرة وماتريدية - مرجحا ما أجده قويا فى أدلته ، متماسكا فى بنائه ، مؤديا الغرض الذى سيق له ، شريطة مظاهرة النقل المعصوم له ، وموافقة العقل الصريح إياه ، مع اضافة رأى كل من المعتزلة والفلاسفة واتجاهات العصر العلمى الحديثة متى كانت لخدمة المنهج الذى أقوم عليه أداء للغرض الذى أنشده فى المسألة ذاتها ٠

غنى عن البيان القول بأننى سأتنقل مع موضوعات الكتاب أينما تقلبت آملا أن يراعى القارئ هذا الانتقال بحيث لا يؤاخذنى ببدء اهتمامى على ما أراه بدهيا فى موضوعه ٠

ثالثا : ربما أهمل الامام العضد رأيا وذكر غيره رآه أقوى فى أدلته وأخالفه هذا الرأى ، كمسألة اثبات الصانع التى عمد فيها الى ذكر رأى المتكلمين مهملا رأى السلف الصالح ، فقمت بذكر رأى

السلف الصالح أولا ، ثم رأى المعتزلة ثانيا ، ثم ذكر رأى المتكلمين على ما رآه الامام العضد ، مع اغفال مجهود الماتريدية فى المسألة مما دعانى لذكره .

وفى تقديرى أن اضافة رأى العلم الحديث فى الاستدلال على وجود الله أمر صار ضروريا طبقا لمعطيات العلم الحديث ، الذى ينبغى الأخذ به والاهتمام بجانبه كناحية علمية عملية يمكن الاستدلال من خلالها على وجود الله - سبحانه وتعالى - .

- رابعا : استعمل الامام الايجى مصطلحات كانت سائدة فى عصره وكانت ضرورية بل ربما من مقتضيات لغة العصر ، غير أننى سأقوم باستبدالها ، أو هجرها ، وحين الاستبدال سأعمد الى أخَرَ تكون من مستجدات لغة العصر ، بحيث تكون أكثر وضوحا فى الدلالة على ما نقصده ، وان كانت أقل ورودا فى كتب علم الكلام ، أو الفلسفة فى عصرها المتقدم .

كما أنى سأعمد الى استخدام ألفاظ تتفق مع النقل،أوّلَها وجود نقلى وردت فى القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة الصحيحة فى سندها والمتن وربما استخدم الأولون - ومنهم الامام " الايجى " اللفظ فلا يعنى مخالفتى له كبر رأس ، أو دعوى بلوغ غاية فى علم ، وانما يعنى ورود اللفظ فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

فمثلا : استخدم المتقدمون من المتكلمين والفلاسفة لفظ "الصانع " كتسمية بالنسبة لله - تعالى - حتى قالوا : " اثبات الصانع " ، وأدلة اثبات الصانع بالنسبة لله تعالى "ألا وانى وجدت أن أسماء الله

الحسنى ، ليس منها لفظ الصانع ، فإنى سأستخدم لفظ الخالق ، أو البارىء ، أو أى اسم من أسماء الله الحسنى مما ورد به النقل المعصوم (١)

ـ خامسا : لايخفين عن ذى بال أنى ربما تناولت فى المسألة أكثر من رأى سواء نبه اليه الامام الايجى أو نص عليه أو نوه اليه فأقوم ببسطه وشرحه واضافة الكثير اليه من مصادره ، حسب ما تقتضيه المسألة ، وتفرضه ظروف البحث ، مادام ذلك كله لخدمة القضايا التى أتعرض لها ، كما أنوه الى أن قضايا العلم المعملى لم أذكرها للاستشهاد بها كقضايا علمية وانما لمجرد الاستئناس ومحاولة دفع طلاب العلم النظرى الى مطالعة هذه الأبحاث الاكلينيكية ، التى تمثل عصارة للعقول ، وثمرة للمعانى وطاقة نور للتقدم التكنولوجى مادامت تخدم قضية تأكيد الدين فى نفوس المهتمين بها ، وتثبت قضية وجود الله ، وتكشف شيئا من أسرار الخالق البارىء ـ جل علاه ـ فتدفع الملحدين الى الايمان ، والمنكرين الى الاقرار وهو ما هدفت اليه .

ـ سادسا : لايغربن عن دارس أنى لست متخصصا فى علوم الكيمياء والطب والنبات ، والرياضة ، أو الفيزياء على وجه العموم مثلا ، أو متخصص فى علوم الميكروفيزيا والفلك ، والجيولوجيا ، وغيرها . كل مافى الأمر أنى حين أعرض لآرائهم ، فانما أقدم وجهة نظر أصحابها العلمية مقرونة بطريقة علماء الدين فى عرض المسألة ، ومحاولة تأكيدها فى النفوس المؤمنة ، ولفت الأنظار الأخرى الى أن صحيح المنقول لايخالف صريح المعقول ، وان الدين الاسلامى والعلم الحق يتفقان ولايختلفان ومن ثمّ : فان عرض قضية الدين بلغة العلم ، وتحويل العلم الى خادم

---

(١) روى السيوطى مرفوعا والحاكم وصححه البيهقى " ان الله صانع كل صانع وصنعته " راجع دلائل التوحيد ص ٢٥ للشيخ / محمد جمال الدين القاسمى .

للدين ، هو أمر مهم آمل أن يحذو علماؤنا هذا الحذو حتى يعيش المؤمن فى رحاب الايمان غير خائف من سلطان العلم ، لهذا نوهت، وعليه نبهت والله أسأل أن يجعله عنده ماجورا وعند الناس مقبولا .

المقدمــة الرابعــة

قضــية وجـود الله سـبحانه وتعالـــــــى

المقدمة الرابعة : قضية وجود الله - سبحانه وتعالى -:

قضية وجود الله - تعالى - فطرية ، ولكن اثباتها هو الذى يحتاج الى مجهود عقلى ، ومن ثَمَّ فإن المنكرين لوجود الله لم تتمكن عقولهم من خبط هذه الأمور الغيبية ، ولم يمكنهم التعرف عليها ، فأنكروها على باب العقل وليس على ناحية الفطر السليمة .

كما أن المؤمنين بوجود الله قام اثبات المسألة عندهم على جوانب عديدة منها : الفطر السليمة ، والعقل الراشد ، والقواعد المنضبطة التى استقت جزئياتها من النقل المعصوم ، أو تنامت فى رحاب العلم الذى يكشف من آن لآخر أن هذا الكون ليس خبط عشواء ولا قضية نكراء ، كما أنه ليس نحت خيال شاعر ، ولا حلم قاص، ولا نتيجة حكم أديب وانما هو من صنعة من خلق فسوى ، وقدر فهدى .

وقبل أن نتعرض لمجهود الامام الايجى فى شرح أدلة اثبات الصانع يجدر بى أن أذكر أمرين ولو على سبيل الاجمال :

- الأمر الأول : أمر المنكرين لوجود الله .
- الأمر الثانى : أمر المثبتين لوجود الله .

أولا : المنكرون :

لن أتعرض للمنكرين على وجه التفصيل، وانما سأشير اليهم على وجه الاجمال، آملا أن أبسط القول فيهم متى يسر الله لى أمرا آخر وهناك المنكرين اجمالا :وهم.

(١) الطبيعيـــــون .
(٢) الماديـــــون .
(٣) الوجوديـــــون .
(٤) الدهريـــــون
(٥) أصحاب النجـــوم .
(٦) عبدة الأوثـــان .
(٧) مؤلهة الأجرام الفلكية .
(٨) عبدة المنافع والضـار .
(٩) عبدة الأصـــنام .
(١٠) ميتافيزيقيو العصر الحديث - الوضعية الطبيعية والوضعية المنطقية .
(١١) الماركسيون ومن سار على دربهم .
(١٢) الشواذ من كل ممن سبق .

ثانيا : المثبتـــون :

المثبتون لوجود الله - تعالى - تنحصر قضيتهم الأولى فـــي التأكيد على استمرار اثبات الوجود الالهى ومحاولة حشد كافة الأدلة التى تثبت تلك العقيدة مع حركة الزمان المضطردة واصطناع كافة الأدلة التى تواكب كل عصر لخدمة هذه العقيدة مع بيان ان هذه العقيـدة التى قد يقف العقل المتعصب حيالها عاجزا عن قبولها ـ وفى ذات الوقت يرى من قلبه الفطرى تصديقا بها، وقبولا لها، بحيث تراه مضطرا لجدل لا يهدأ، حتى يقع المنكر بين نار تغلى فى عقله وايمان ينهض فى قلبه- أقرب منالا ، وأيسر قبولا .

لم تكتب

ولم تقف جهود المثبتين من المسلمين عند هذا الحد ، بل تعدته الى محاورة المنكرين ، وجدالهم واثبات أن شبه المنكرين لاترقى لمجرد النظر اليها ، فضلا عن التعصب لها والايمان بها ، أما لماذا ؟

فلأن المنكر لوجود الله عقلا معترف بوجود الله ايمانا فطريا ، والا لما حاول الانكار لأن انكاره يقوم على ابطال اثبات الموجود ، اذا الموجود ثابت وهو يحاول انكاره ، من ثم ، فلاشك أن فى هذا اعترافا بثبوت وجوده ، ولذا نقد هم محاولا انكاره كموجود ، ونفيه كثابت ولم يحاول اثباته كمعدوم ، وعلى هذا النحو يكون المنكرون لوجود الله هم من المثبتين رغم أنفهم واعلانهم الانكار ، وهذا مذهبهم .

على أن المنكرين لوجود الله معترفون بوجوده ، مقرون به صدق اثباته ، ولذا فهم يحاولون اقامة شبهات لانكار هذا الوجود الثابت ، فاذا علمنا أن الحكم على الشىء فرع عن تصوره ، وأدركنا أن الحكم فى ذاته يقع بين الاثبات والنفى بان لنا أن المنكرين يحاولون طمس حقيقة قائمة ، أو ابطال ما هو ثابت فطرة وصحيح عقلا .

والعقل المسلم يأبى أن توضع عقيدة الألوهية موضع الاستدلال عليها لكن ماذا يفعل المسلم حيال جبهة الشرك ؟ !!

ان عليه واجبا دينيا هو مقاومة هذا الانحراف العقدى واثبات أن عقيدة الألوهية لاتوضع موضع الشك ، وانما توضع موضع الصدق وصحة الاعتقاد ، وهو الأمر الذى حفز همم المسلمين قديما وتبناه علماء الاسلام سلفا وخلفا أما لماذا ؟ فلما يلى :

أولا : أنها محل اتفاق الفطر وقبول العقول :

انها عقيدة تتفق فى قبولها الفطر السليمة ، حيث تنادى بهـا ومتى حاول أحد تحريفها أتت الفطر السليمة اليها ، كما أن العقول النقية بما فيها من نقاء وتقى وسلام تنشد عقيدة الألوهية وتقـــر بضرورة اثبات وجود الله ، كما أنها سلوى الوجدان المهذب ، اذ حينما يحاول أحد قهره لايجد مفرا إلا اليها يلتمس عندها مشـارب الأمل ، ومسارب الراحة ، وهدأة العواطف وراحة الوجدان .

كما أن العواطف النبيلة والمشاعر الرقيقة ترى فى عقيدة الألوهية تيارا من النور تسبح فى رحابه تلك المشاعر وتخوض فى أضوائه تلـــك العواطف ، ومن ثمّ فإن الفطر السليمة والعقول النقية والوجـــدان المهذب والعواطف النبيلة كلها تتفق على قبول فكرة الألوهية وضـرورة اثبات وجود الله وضرورة الرد على المنكرين .

ثانيا : أنها عقيدة سهلة :

وهى من هذه الناحية تجدها ميسورة لكل العقلاء يتساوى فـى ذلك عالم الفلك مع فالح الأرض ، وعالم الكيمياء مع طارق الحديـــد ، وعالم الفيزياء مع نافخ الكير ، بل والحفاة العراة فى صحراء افريقيا مع أصحاب القصور والتكنولوجيا فى أرقى بقاع العالم — من ثم كان التكليف بها واحترام ما فيها من الأمور الميسورة التى تقع للناس موقع السهولـة واليسر ، ويكفى فى سهولتها أنها تقوم على " الايمان : أن تؤمـــن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " وهذه جملة سهلة يستطيع المـرء قولها من غير أن يتمكن أحد مـــن انتزاعها منه .

ثالثا : أنها متكاملة :

ذلك أنها تعالج أمرى الدنيا والآخرة ، فلم تقصر مهمتها على الدنيا حتى تكون عقيدة دنيوية ، تاركة أمور الآخرة غيبا يصعب على العقل بلوغ المراد فيه ، كما لم تكن أخروية فقط تسوق الناس إلى يأس من أمر لم يروه بالنسبة لهم واقعا ، وقد ألف أن انتظار البعيد غير معهود، الا اذا كانت له مقدمات مؤكدة وأدلة عليه ثابتة ، وحجج له ناهضة .

وتكامل عقيدة اثبات وجود الله نظمت فى جملة محددة بلغت من اليسر والسهولة حدا بالمتأملين فى القرآن الكريم أن يستدلوا عليها بقوله تعالى : " لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (١) .

رابعا : أنها غير مكلفة :

وآية ذلك أن عقيدة اثبات وجود الله نطق بها الأعرابى الجاهل حين قال سلفه ، " البعرة تدل على البعير ، وأثر القدم يدل على المسير ،...." كما أقر بها الفلكى والكيمائى ، والجيولوجى فى نظام الكون ، وهتف بها عالم التشريح فى جسم الانسان والحيوان ، وغرد بها جراح الأعصاب فيما شاهده من مملكة المخ العجيبة وكيف

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦

....

يؤدى علم الأعصاب بمفرده في الاستدلال على وجود الله ، بل ان البعض اعتبرها من بدهيات العقول ونظر اليها آخرون على أنها فطرية ، بل مال الأغلب الأعم الى أن قضية وجود الله فطرية وبدهية واستدلالية معا ، من ثم فهي ليست مكلفة من حيث اثباتها ، لأنها واضحة بذاتها ، وان كانت مكلفة من حيث انكارها أو محاولة طمسها في العقول الصحيحة والفطر السليمة .

ما مر كان جزءا من المجهودات الفكرية التي صاحت بأعلى صوت وعزفت أعذب لحن ، ولعبت على أرق وتر ، وتراقصت على جدرانات العواطف النبيلة حتى هتف الجميع بأن قضية اثبات وجود الله واضحة بل هي الاثبات نفسه .

ها أنت مطالعي الكريم قد طفت معي شوطا قطعنا شيئا منه آملا أن تكون هانئا به قانعا بأني ما قصرت بل اني أستدعيك من عواطفك النبيلة أن تكون مهيئا لاستكمال الرحلة معنا حين نستأنف خطا فكريا تقوم معا على متن جناحيه اللذين أخذا على النقل المنزل وارتضعا ألبانه وأعلنا عن انضمامهما تحت لواء الفكر الاسلامي ، وقرر الامام الايجي تناولهما وهو الأمر الذي سنبحثه في ثنايا ما يأتي من سطور كأجزاء للموقف الخامس من الالهيات .

المقدمــة الخامســة

أدلة وجود الله تعالى قديما وحديثا

أدلة وجود الله تعالى قديما وحديثا

كان العقل البشرى يصطنع فى الماضى أدلة نظرية يستشف منها اثبات وجود الله تعالى وعرفت فيما بعد بالأدلة العقلية وكانت هذه الأدلة تنهض بجانب الدليل الفطرى ولم يكن الاهتمام بالدليل العملى والعملى الا فى حدود ضيقة جدا حتى فى باب اثبات العقيدة ككل والاستدلال عليها كأجزاء .

بيد أن الاستدلال بالآيات الكونية كان قد اتخذ طريقه نحو المعقول ، وبات فى مرحلة نمو واخطر والا أنه استوى على سوقه أمام أبى الحسن الأشعرى فاقتطفه وصار يستخدمه ما أمكن له ، ومن قبل الأشعرى ربما كان هذا الدليل الكونى العملى يمثل خاطرا يتأرجح طيفه فى ذاكرة أصحابه .

على أن جمهرة المفسرين فى الماضى كانوا يقفون بالآيات القرآنية عند مرحلة الجلال والخشوع لما تدلى به معانى اللغة وقليلا ماكانوا يتجهون الى الآيات الكونية يستلهمونها اثبات وجود الله تعالى بشكل عملى يرتفع الى مصاف الأدلة الأخرى واستغرق هذا ردحا من الزمان دون أن تبدو علامات تغيير مقبولة .

بيد أن الامام الفخر الرازى — رحمه الله — قد هيأ طريق الاستدلال بالآيات الكونية على وجود الله تعالى وذلك بهمن فى كتابه " أسرار التنزيل وأنوار التأويل " (١) مما جرّ على الرجل سيلا من السباب الذى

---

(١) فضيلة الدكتور عبد الغنى العريب طه راجع تحقيقه ونال به درجة العالمية (الدكتوراه) فى العقيدة والفلسفة من أصول الدين فى القاهرة عام ١٩٩٥م

صبه خصومه بل كان من أسباب هجوم ضيقى الأفق عليه واتهامه — وهو من أهل السنة والجماعة — بأن كتبه تحمل الهوس والنجاسات حتى بات التحذير منه ومن كتبه أمرا ضروريا وما ذلك الا لأنها — على حد تعبيرهم — حشيت بكلام الفلاسفة وهاك النص الذى يقول فيه صاحبه : " ليحذر المبتدئ جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التى حشيت بكلام الفلاسفة ، وأولع مؤلفها بنقل هواسهم وما هو كفر صراح من عقيدتهم التى ستروا نجاساتها بما ينبهم على كثير من اصطلاحاتهم وعباراتهم التى أكثرها أسماء بلا مسميات وذلك ككتب الامام الفخر فى علم الكلام ، وطوالع البيضاوى ، ومن حذا حذوهما فى ذلك ، وقل أن يفلح من أولع بصحبة كلام الفلاسفة ، أو يكون له نور ايمان فى قلبه أو لسانه ، وكيف يفلح من والى من حاد الله ورسوله ، وخرق حجاب الهيبة ونبذ الشريعة وراء ظهره " (١)

مع أن كتاب " أسرار التنزيل وأنوار التأويل " ليس كتاب تفسير حتى يظن أن القول لايناله بل هو كتاب فى العقيدة ان لم يكن من أكثرها دقة واصابة للغرض فهو فى جانب الاستدلال بالآيات القرآنية الكونية من أوفى الكتب المؤلفة فى هذا الفن ، وكم تمنيت أن يحقق مرة أخرى كأجزاء مستقلة وموضوعات منفصلة ، وأن تقوم جولة دراسات تتعلق به وأن تتاح الفرصة لتبويب قضاياه ، وشرح مسائله والاشارة

---

(١) الشيخ محمد بن يوسف السنوسى — شرح أم البراهين ص ٧١ وما بعدها ففيها قدح فى الرازى بشكل واسع لا أرتضيه لأنه رمز من رموز أهل السنة والجماعة وليس هناك من سبب ظاهر لهذه الحملة التى ماتزال مستمرة من أيام ابن تيمية الى وقتنا الحاضر.

الى مواطن الاقتباس ففيه خير كثير ونفع عظيم .

على أن مسألة الاستدلال على وجود الله تعالى فى العصر الحديث قد اتخذت أنماطا علمية وأخرى معملية بجانب الأدلة الأخرى ذات الأنماط المختلفة وبعد أن كانت الفطرة ونصوص النقل المنزل مع الجدل العقلى هى الأدلة فقط ، فقد أتى العصر الحديث واتخذت أنماط مختلفة عقلية ومعملية وعلمية من تلك التى تلفظها أرحام المعامل وتستقبلها من بطون التجارب دليلا قويا على اثبات وجود الله تعالى ، وصدق أن القرآن الكريم كلامه تعالى والتأكيد على أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائه ورسله .

بل ان هذه الدلائل والحجج لم تعد خبئ محابسها وانما راحت تدوى فى صدور عبارات قليلة أو كثيرة تخرجها المطابع باللغات المختلفة مؤدية قاسما مشتركا هو التأكيد على اثبات وجود الله تعالى بكافة السبل حتى صارت هى السائدة الآن على غيرها من الأدلة وراحت تؤدى دورها باقتدار حتى فيما مضى ، وماتزال تؤديه بجوار الأدلة التى تعاملت مع العلم المعملى وراقبت تقدمه التكنولوجى .

واتخذت هذه المؤلفات — ذات المناهج المختلفة — طريقتين فى اثبات وجود الله تعالى والتأكيد على هذا الوجود الالهى العظيم والطريقتان هما :

الطريقة الأولى : عرض أصحابها قضايا العلم مباشرة حتى يستدل بها على وجود الله تعالى وعمله فى الكون واحتياج الكل اليه ، ولأصحاب هذه الطريقة فى هذا المجال مؤلفات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال

لا الحصر مايلي :

١ ـ الله يتجلى في عصر العلم .

٢ ـ الله والعلم الحديث .

٣ ـ الانسان لايقوم وحده .

٤ ـ العلم يدعو للايمان .

٥ ـ للكون اله ....

وهذه الكتب المؤلفة انما تمثل قطرة في بحر المؤلفات الكثيرة التي تذخر بها المكتبات الاسلامية في أنحاء العالم ، ولطالب المزيد الرجوع اليها وغيرها ففيها الخير الكثير .

الطريقة الثانية : عرض أصحابها قضية وجود الله تعالى ، والرد على المنكرين وابطال شبههم والدفع بهم الى سؤال التجربة التي يحترمونها ويعلنون انطوائهم تحت لوائها ، اذاً أصحاب هذه الطريقة يقومون بواجبين يسيران في اتجاه واحد وباضطراد :

الأول : اثبات وجود الله تعالى بلغة العلم المعملي .

الثاني : الرد على المنكرين وابطال ما يعتمدون عليه من دعوى العلم التجريبي ولهم مؤلفات عدة نذكر منها على سبيل الاشارة والمثال فقط .

١ ـ الاسلام يتحدى .

٢ ـ الدين في مواجهة العلم .

٣ ـ الاسلام في عصر العلم للأستاذ محمد فريد وجدي .

٤ ـ الدين فى عصر العلم .

٥ ـ الاسلام فى عصر العلم للدكتور محمد أحمد الغمراوى .

٦ ـ الزام القرآن للماديين والمليين .

٧ ـ الأدلة المادية على وجود الله .

٨ ـ لماذا أنا مسلم ؟

٩ ـ كتاب دلائل التوحيد .

وهذه الكتب وأمثالها تتخذ أنماطا متعددة ومسالك كثيرة يستدل بها على وجود الله تعالى ، ولذلك سأقدم حصرا للأدلة على اثبات وجود الله تعالى على وجه الاجمال وهاك الأدلة مجملة :

١ ـ الدليل الفطرى : ويسمى برهان الفطرة .

٢ ـ الدليل النقلى ويسمى دليل القرآن والسنة .

٣ ـ الدليل الكونى ويسمى دليل التأمل .

٤ ـ الدليل الالهامى ويسمى دليل البصيرة .

٥ ـ دليل العناية .

٦ ـ دليل الاختراع .

٧ ـ دليل افتقار الأسباب الى مسبب .

٨ ـ دليل الحركة .

٩ ـ دليل القهر والدوران .

١٠ ـ دليل التركيب .

١١ ـ الدليل العملى .

١٢ ـ الدليل التاريخى .

١٣ ـ الدليل الفيزيائـــــى .

١٤ ـ الدليل الجيولوجـــــى .

١٥ ـ دليل تكاثـر السـكان .

١٦ ـ دليل الأمراض المستحدثة .

١٧ ـ دليل الطب الوقائى والعلاجى .

١٨ ـ دليل التصير والتخصيص فى المواد ذات الامتداد والأبعـاد الثلاثة .

١٩ ـ اضطرار العالم الى ممسـك .

٢٠ ـ دليـل الامكـــان .

٢١ ـ دليل الحـــدوث .

٢٢ ـ دليل قياس الغائب على الشاهد .

٢٣ ـ دليل التغير والتحـول .

٢٤ ـ ارتباط الأفراد بارتباط الموضوع ضرورة .

٢٥ ـ الحياة الحيوانية والنباتية على وجه الكرة الأرضية .

٢٦ ـ دليل النظام الكونى وما فيه من الاحكام والاتقان .

٢٧ ـ آيات اللــه فى الانســان .

٢٨ ـ الاعداد والتهيئة فى الموجودات .

٢٩ ـ ترقى الصناعات وبقاء نظام الكائنات .

٣٠ ـ عشـق الموجودات للكمـال .

٣١ ـ استحالة كون العالم علة لنفســه .

٣٢ ـ دليل الالزام .

٣٣ ـ دليل اعمار الكائنـات .

٣٤ ـ تاريخ البشر " الدليل الاجماعى للبشر " ٠
٣٥ ـ دليل النبوات وآياتها الباهرة ٠
٣٦ ـ التركيب البيولوجى فى خلايا المخ ٠
٣٧ ـ التحاكم الى الانصاف ٠
٣٨ ـ أدلة فلاسفة الأخلاق الأقدمين ٠
٣٩ ـ بهجة العقل السليم ورغبته فى الخروج من المأزق ٠
٤٠ ـ الأدلة الوجدانية ٠

هاك أدلة قد وقفت عليها عقول البشر قرون متطاولة ، وها أناذا قد أحصيتها لك لتكون بين يديك منارات هدى تصلح يوما ما لتكون بعضها موضوعات لرسائل علمية تخدمك فى حياتك العلمية وبعضها يمكنك الاستفادة منه فى حياتك العملية ليكون لك زخرا تنهل منه وقت ما تريد ، فاقبل منى وتقبل عذرى فأنا وأنت بين يدى رب العالمين أحكم الحاكمين ٠

المقدمة السادسة

(أدلة السلف الصالح)

(١) أدلة[1] السلف الصالح[2] :

للسلف الصالح - رضى الله عنهم - على اثبات وجود الله تعالى أدلة ، وهذه الأدلة منها ماهو مشترك بين الحفاة والعراة وساكنـى الخيام والقصور وغيرهم ، ومنها مايمكن فهمه من تقلب ظروف الحيـاة ، ومنها ماجاء مقتبسا من النقل المعصوم أو منقولا منه ، وكل هذه الأدلة يمكن النظر اليها بشئ من التفصيل ، على أنها أدلة السلف الصالح فى اثبات وجود البارى جل علاه .

---

(١) لم يذكر الامام الايجى السلف الصالح ولا أدلتهم ولكنى سأذكرهم لأن رأيهم يمثل الفطرة النقية ، والعقل السليم والنقل المعصوم ، والدليل فى اللغة هو: " المرشد وما به الارشاد ، وفى الاصطلاح: هو الذى يلزم من العلم به العلم بشئ آخر ، وحقيقة الدليل هو: ثبوت الأوسط للأصغر واندراج الأصغر تحت الأوسط " . التعريفات باب الدال ص ٩٣ .

(٢) اختلف فى تحديد مفهوم السلف الصالح على أنحاء شتى :
- النحو الأول : القائلون : " بأنهم الذين صحبوا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، على التعيين فردا فردا .
- النحو الثانى : الذين يرون أن السلف الصالح هم الذين لهـم خلف . فكل فرقة لها خلق يكون ما قبلها سلف لها وهو اتجاه اللغة
- النحو الثالث : الذين يقولون بالتحديد الزمانى وهم يختلفون فـى المدة بين الطول والقصر فهم : أ- الذين يرونها مدة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم - كمدة وليست كأفراد .
ب - الذين يرونها فى المائة الأولى .
جـ - الذين يرونها حتى المائة الثالثة .
د - الذين يرونها حتى المائة الخامسة .
- النحو الرابع : الذين يرون السلف الصالح هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتقديمها على غيرها فى الاستدلال ، والسلوك . =

....

الدليل الأول : الفطـرى (١)

هذا الدليل نظر اليه السلف الصالح باعتباره نداء داخليـــا يقوم على أن هذا الكون لابد له من خالق له من الجلال والمهابة ما يجعل الاقرار بوجوده والاعتقاد فيه أمرا فطريا ، يقول الشهرستانـى " تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم ، لست أراها مقالة لأحد ، ولا أعرف عليه صاحب مقالة ، الا ما نقل عن شرذمة قليلـــة من الدهرية (٢) .

من ثمّ التزم السلف الصالح دليل الفطرة السليمة التى تقـــر بضرورة الحاجة الى هذا الخالق المعظم ، كما رأوا أن مسألة وجـــود الله لاتحتاج الى نظر واستدلال ، لأنها بدهية وفطرية وضروريـــة ، وقد صور الشهرستانى هذا الموقف لهم فقال : " فما عدوا هذه المسألة - اثبات وجود الله - من النظريات التى يقام عليها برهان ، فـــان الفطرة السليمة شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم ، عالم ، قدير " (٣) .

= وهذا الرأى الأخير هو أرجح الآراء من غيره ، لأن كل واحد منهـم تتجه عليه اعتراضات لايمكن دفعها بسهولة ويسر.

(١) الدليل الفطرى : نسبة الى الفطرة التى يشترك فيها كل جنس بعينه وتصل عندهم من غير عناء ، أو بذل مجهود متى كانت الفطر سليمة .

(٢) الامام الشهرستانى / نهاية الاقدام فى علم الكلام ص ١٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٥ .

....

على أن تاريخ الفكر البشرى يقرر أن مسألة وجود الله أمر مقـــرر بين طوائف البشر لم يخل منها شعب ما ، بل ربما تعددت الآلهـــة فى بعض الشعوب كرمز لهذه القوة التى يعتقدون وجودها وينســبون الخلق والايجاد اليها ، وتقرُّبها نفوسهم وان ضلوا الطريق فى الوصول الى معرفة وجود الله على وجه صحيح ، اذن السلف الصالح يثبتـــون وجود الله بأدلة منها الدليل الفطرى (١) .

وليس معنى هذا أن السلف الصالح عطلوا عقولهم أو أهملوهـــا اهمالا ، وانما المقصود أنهم أثبتوا وجود الله كما آمنوا ، فحيث كـان ايمانهم فطريا تُقرُّ به الفطر ، وتؤمن به العقول ، فكذلك كان استدلالهم على وجود الله فطريا ، فتطابق الفطر مع صحة الاعتقاد وهو معنـــى فطرية الدليل ههنا .

الدليل الثانى : النقلـــى :

ذلك أن السلف الصالح فى استدلالهم على وجود الله ماكانـــوا يسوقون عليها بعد الفطرة الا الدليل النقلى لكن مع امرار النقل علـــى ظاهره من غير التفات الى تشبيه يؤدى الى التجسيم أو ينتقل بصاحبـــه الى التعطيل ، وانما كانوا يقررون عقيدتهم الدينية طبقا لما تدلى بـــه النصوص النقلية وهى كثيرة جدا منها :

---

(١) الفطرى مأخذه الفطرة ، وهى : " الجبلة المتهيأة لقبول الدين " التعريفات باب الفاء ص ١٤٧ .

....

- مظاهر التدبير الالهى لأحوال الناس الخاصة والعامة .

يبدو ذلك بوضوح فى أعمار الناس وآجالهم ، اذ من الناس من يتوفاه الله صغيرا ، ومنهم من يتوفاه فى سن الشباب ، ومنهم من يرد الى أرذل العمر ، ولا يعقل أن يكون هذا الفعل خبط عشواء ، ولا ضربة عمياء ، وانما يمكن أن يقال : أن هذا من فعل الواحد المختار ، يدل على ذلك قول الله تعالى : " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ " (١) .

والملاحظ أن عجز الآية " إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ " يعنى عليم بمقادير أعمارهم ، يميت الشاب النشيط ، ويبقى الهرم الفانى ، وفى ذلك تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدّل أمزجتهم ، على قدر معلوم ، ولو كان مقتضى الطباع كما يقول الطبيعيون لم يبلغ التفاوت بينهم هذا المبلغ" (٢) .

على أنا نقول : أن هذا الدليل النقلى ، رغم أن مقدماته نقلية ، والنتيجة التى ينتهى اليها عقلية أو نقلية الا أن هذا الدليل كان المعول عليه بين علماء السلف وعلماء أهل السنة والجماعة ، أما لماذا ؟ .

---

(١) سورة النحل الآية رقم ٧٠

(٢) أ . د / سيد أحمد رضان المسير - إلزام القرآن للماديين والمليين ص ٤٥ ، ٤٦ ط ١ سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م . دار الطباعة المحمدية .

....

فلأنه دليل اتسع حتى شمل القرآن الكريم كله ، وفي نفس الوقت امتص كافة اعتراضات العقول وأتاها مستوية ، ثم نهض عليها فلم يبق لها الا الذكر غير المقبول ، حتى ان أصحاب هذه الاعتراضات ربما أهملهم القرآن الكريم واستبقى اعتراضاتهم والشبهات حتى متى جاء الناظر الى آيات الذكر الحكيم وجدها تترى عارضة الاجابات المستفيضة، ومن ثم يمكن القول بأن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة ، وأهل الحديث الشريف كان الدليل النقلى الشرعى هو المعول عليه فى اثبات وجود الله - تعالى - على وجه الخصوص ، واثبات باقى الصفات الالهية وما يستتبعها على وجه العموم.

من ثم صح القول : بأن السلف الصالح كانوا يقررون عقيدتهم الدينية من واقع النصوص الشرعية (١) وهو ما يعرف بالدليل النقلى .

على أن الدليل النقلى الذى هرع اليه السلف الصالح وعضوا عليه بالنواجز كان دليلا قويا فى افادته ما تعرض له ، فمثلا : معرفة الله - تعالى - تقف العقول حيالها مؤمنة بحقيقة قائمة هى وجود الله ، لكن أوصاف هذا الموجود ، ومعرفته من حيث هو لا شك أن العقل يقف عندها يضرب كفا بكف ، وينتعل خفا فوق خف ، حتى أنه لا يتمكن من تقديم اجابة كافية على حقيقة وجود الله - سبحانه وتعالى - وربما هذا

---

(١) د / حسن محرم الحوينى / المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص ٢٠ .

....

ما عناه الامام الغزالي حين قال : " لايعرف الله سبحانه وتعالى كنه معرفته الا الله تعالى " (١) .

وما دام النقل المنزل هو الذى يخبر عن الله فحتما ستكون الأدلة المنتزعة من النقل نفسه وأهمها الدليل النقلي قادرة على بلوغ النهاية ، وتقديم معرفة صحيحة بالله سبحانه وتعالى ، فمن ذلك قول الله تعالى " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ " (٢) .

الى هنا نكتفى بتفصيل هذا الدليل النقلي ذاكرين على سبيل الاجمال ما يمكن استفادته منه على وجه العموم طبقا لما هو مدون فى كثير من الكتب ، من ذلك كتاب : الدين بحوث ممهدة (٣) ، وغيره من

---

(١) الامام الغزالي / الجام العوام عن علم الكلام صـ ٩٤ تحقيق/ مصطفى العبد الله / منشورات دار الحكمة بيروت سنة ١٩٨٦م .

(٢) سورة الزمر اية رقم ٣٨ .

(٣) هو كتاب الدكتور المرحوم / محمد عبد الله دراز - وقد استفاد كثيرا من منهج الامام ابن القيم فى كتابه / مفتاح دار السعادتين وكذلك فعل الدكتور / سليمان دنيا فى كتابه/ نحو عقيدة قرآنية ، وكذلك المرحوم الدكتور/ رؤوف شلبي فى كتابه / الوحى ، كما اقام ذلك الدكتور/ محمد احمد الغمراوى فى كتابه / الاسلام فى عصر العلم.

....

المؤلفات (١) التى عنيت بذكر هذا الدليل النقلى وتفصيلاته ، على النحو الذى مارسه السلف رضوان الله عليهم واستفاده بعدهم الخلف ممن نهجوا نهجهم .

الدليل الثالث : الكونى القرآنى :

وأعنى به الدليل المنبث فى مظاهر الكون المختلفة سواء فى الأنفس أو الآفاق أو الظواهر الكونية والتى يمكن التعرف عليها من خلال النقل المنزل ، وهذا الدليل فيه من الدقة مايجعل هَمّ علماء السلف فى العلا ، اذ أنهم لم يهملوا عقولهم ، ولم يتنازلوا عن قرآن ربهم ولم يغفلوا عن مظاهر الكون المختلفة ، فكأنهم أخذوا بالأمر من كل جانب .

حتى أنه ليقال : أن مرحلة الدليل الكونى القرآنى لدى السلف يمثل قفزة فكرية ، ورقيا علميا ، وتقوى دينية سبقت عصرهم الى ما بعد القرن العشرين مما حدا بمفكر كالأستاذ العقاد أن يعتبر الدليل الكونى القرآنى " أقوى البراهين اقناعا ، واحراها أن تبطل القول بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها " بل أنه ليقسم هذا الدليل الكونى القرآنى الى :

---

(١) ممن عنى بذكر هذا الدليل على لغة السلف الامام : الأشعرى فى كتابه / تجريد مقالات الأشعرى لابن فورك ، وكذلك الامام الهروى والامام / الطحاوى ، وكثيرون ممن نهجوا هذا المنهج اجمالا أو تفصيلا .

....

أولا : برهان ظهور الحياة فى المادة : قال تعالى " يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ .... " وقوله تعالى : " وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ...... " .

ثانيا : برهان التناسل بين الأحياء لدوام بقاء الحياة : قال تعالى " جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا " وقوله تعالى " وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " (١) .

[illegible] النقل المنزل بزمام العقل الصحيح جاذبا اياه من أعلى هامه له حتى ينظر فى الدليل الكونى القرآنى بدءا من خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وتوالى الأيام وكرّ الدهور ، من ذلك قوله تعالى : " قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى " (٢) .

وقوله تعالى : " وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ " الى غير ذلك من الآيات التى تحدثت عن الدليل الكونى القرآنى على وجه الاجمال والتفصيل مما يدفعنا الى فحص جزئيات هذا الدليل طبقا لما هو وارد فى النص المنزل،ومنبث فى الكون المتسع الفسيح وذلك على النحو التالى :

---

(١) الاستاذ / عباس محمود العقاد / الله كتاب فى نشأة العقيدة الالهية ص ٢٢٩ .

(٢) سورة ابراهيم الآية رقم ١٠ .

....

(١) فى الآفـــاق : (١)

الآفاق تتعدد ، فهناك آفاق فى الأرض ، وآفاق فى الجبـال ، وآفاق فى الأنهار وأخرى فى البحار ، وغيرهم فى فيافى الأرض ، وقمم المرتفعات ، بل وقتن الأشجار ، وكذلك الآفاق الجوية كالحـــرارة والرطوبة والصلابة والرخاوة ، بل والمطر والبرق والرعد ، وغيرها مما هو من تصنيفات الظواهر الجوية كسرعة الرياح وشدتها ، وسفى الرمال وقصف الرعود ، وأنين الزلازل وحنين الفيضانات .

بل ان هناك أجراما فلكية ، وأكوانا علوية ، وأجراما سماويــة ، وكل هذه تناولها الدليل الكونى القرآنى باعتبار أنها المظهر الذى تبدو فيه الآفاق جلية ، وقد أحسن علماء الاسلام الحديث عن هــذه الآفاق (٢) ، اذ أناروا الطريق لمن بعدهم بأن الآفاق دليل قــوى على اثبات وجود الله سبحانه وتعالى ونحن سنلتقط من الآفاق لقطاعلها تؤدى بعض ما نطمح اليه أو نطمع فيه .

---

(١) الآفاق جمع أفق والأفق هو قمة تجمع تحتها كثيرا مما هو فى دائرة جنسها كالانسانية والحيوانية والنباتية التى تجمع أفراد الانســان والحيوانية التى تجمع أفراد الحيوان ، والنباتية التى تجمع أفــراد النباتات ... الخ .

(٢) ممن عنى بابراز هذا الدليل فى المؤلفات الكلامية فى العصـــر الحاضر فضيلة المرحوم الشيخ محمود أبو دقيقة فى كتابه القول السديد وان كان قد تناول جوانبالنظرية وأهتم بها ، فان الاستاذ / وحيـد الدين خان فى كتابه / الاسلام يتحدى قد عالج المسألة ، وكذلـك كتاب / الاسلام فى عصر العلم للمرحوم الدكتور / محمد أحمد الغمراوى وكذلك كتاب / الله يتجلى فى عصر العلم لمجموعة من علماء الطبيعـة وقد ترجم الى اللغة العربية ويمكن الرجوع اليه حتى تعم الفائدة .

....

أ - أفق الماء :

الناظر للماء على خريطة الأرض يراه ممثلا لنسبة ٧١٪ من المساحة الكلية للعالم الأرضي ، بينما يمثل اليابس نسبة ٢٩٪ ، وهذه النسبة الكبيرة من الماء كلها مالحة ، وتحيط بالأرض من كل جانب حتى أنها لتمثل الشريان المتاخم بالنسبة لقلب الانسان ، وهذه المياه المالحة تتعامد الشمس عليها بصفة دائمة فتعمل معها عملية البخر ، اذ يرتفع الماء المبخر من الماء المالح ثم يصعد بخارا الى طبقات الجو في شكل كتل مكونة من ذرات مائية .

تتكاثف هذه الذرات المائية مكونة مجموعة من السحب يسوق الله الرياح اليها فتدفعها الى الأماكن الحارة فتفقد صلابتها ، وتسقط أمطارا عذبة يخرج عليها نبات الأرض ويتغذى منها كل كائن حي ، وهذا ما يمكن أن نفهمه من قول الله تعالى : " وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ " (١)

وقوله تعالى : " وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " (٢) .

---

(١) سورة الحجر الآيات ٢١ ، ٢٣

(٢) سورة النبأ الآيات : ١٤ - ١٦

والملاحظ أن القرآن الكريم أتى بذكر أمر كوني هو السحاب المعبأة بالماء ، من ثم نراه استخدم لفظ المعصرات وهي " السحائب الماطرة وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فيخرج منه الماء ، والعاصر لهذه السحب هو الريح ، ومعنى الثجاج : " السريع الاندفاع كما يندفع الدم من العروق في الذبيحة " (١) .

وهذا الدليل المائي من أجود الأدلة على اثبات وجود الله ، اذ أنه كشف عن كون الرياح لواقح وكشف عن كون السحاب عاصرا لكمية الماء قل لي بربك : هل يستطيع أحد أن يفعل ذلك غير الله ؟

لاشك أن هذا الدليل يأخذ بنا الى تدبر النقل القرآني ، ويصور أمر الماء على نحو يدفع الى مزيد تأمل، أنظر الى قول الله تعالى : "وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ" (٢) .

---

(١) د / سيد أحمد رمضان المسير — الزام القران للماديين والمليين ص ٢٨ .

(٢) سورة يس الآيات ٣٣ — ٣٦ .

على أن آفاق الماء الحلو ليس بأقل عجبا واستدلالا على وجود الله من الماء الملح، اذ لو أن الله جعل الماء كله عذبا لفسد بالكائنات المائية التي تعيش في الماء العذب وتنمو فيه وتتكاثر كالطحالب المائية، والضفادع والأسماك التي تفرز فضلات لو أنها ألقت بها في الماء العذب لأفسدته ، بينما تلقيه في الماء الملح فلا تزيده الا تهيئة ليتحول من ملح الى عذب .

كما أن الناظر الى الماء يمخر عباب الحياء فيحمل - مع ضعفه - الأثقال فيها هي السفن العملاقة ، والحاويات الضخمة ، والأساطيل والغواصات سواء التي تحمل المنافع للناس أو تنقل وسائل الدمار ، فمع ثقلها وكثرة آلاتها تنطلق على بساط الماء كأنه وجه الأرض تقطعه في زمن قليل ، ولعل هذا الدليل الكوني القرآني يمكن فهمه من القرآن الكريم في قوله تعالى : " وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ "(1)

وبالتالي فان أفق الماء وكيفية الاستدلال به على وجود الله من الأمور التي يراها العقل ماثلة في الكتابين المسطور والمنظور وأعني بهما القرآن الكريم - المسطور - والكون " الكتاب المنظور " .

ب - أفق الأرض :

الأرض التي نحن عليها ، على ظهرها نقطع المسافات ، وعلى وجهها تنمو النباتات ، وفي باطنها توجد القبور للرفات ، ومع هذا

---

(1) سورة الرحمن آية رقم ٢٤

....

فالأرض ليست أفقا واحدا ، وانما آفاق كل واحد منها يمثل أدلة قوية على وجود الله - تعالى - بل وعلى استمرار هذا الوجود الالهى ، من ذلك ما يلى :

(١) تنوع تربتها :

رغم أنها أرض ، الا أن قابلية تشرتها للانبات تختلف ، وكذلك قابليتها لاقامة أوجه الحياة عليها تختلف ، فمن تشرتها تربة سوداء طينية ، وأخرى صفراء وثالثة حجرية، ورابعة رملية، وخامسة سبخ لاتصلح للانبات ، ولا لاقامة العمارات ، ولا استمرار أوجه الحياة عليها ، ومع هذا تراها قد حفظت فى بطنها أنواعا أخرى من الثروات ، وما هى الا كأرحام تصلح بعضها لحمل البنين ، وأخرى لانجاب البنات وثالثة تعانه هذه ، وتلك فلاهى للبنات حاملة ولا للأولاد منجبة ، وانما هى صغيرة الحجم ، عاجزة عن الحمل ولله ملك السماوات والأرض .

هذه الأرض موات ، ومع هذا يحييها الله بالانبات ، قال الله تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) .
على أن هذه الأرض ذات التربة المتنوعة تجد فيها من الأدلة على وجود الله الكثير مما يطول استقصاؤه ، ولكنا نقتبس من ذلك قوله تعالى " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " (٢) .

---

(١) سورة فصلت آية ٢٩ (٢) سورة الرعد اية رقم ٤ .

....

والبادى فى الآية الكريمة أن تربة الأرض لها دخل فى عملية الانبات ، لكن ليس لها دخل فى نوعية النبات ، فهذه أرض جزئت الى قطع متجاورة ليست بينها فواصل ، وفى نفس الوقت ماء ريها واحد لكن نباتها مختلف ، فهذه جنات نخيل ، وأخرى جنات أعناب وثالثة جنات زرع معروش وغير معروش ، ومع هذا تجد الأشجار النامية والنباتات المتسلقة ذات الأنواع المختلفة فى اللون اذ منها الفضى والأخضر ومنها ذى الشوك الذى يصون نفسه ، ومنها النواعم التى تزين بها البيوت ، بل ومنها نباتات الظل والزينة ومع هذا منها مطعوم الانسان ومطعوم الحيوان ، ووقود النار ، ومصدر الطاقة ومايستخدم لصناعة الدواء فى المواد الطبية لعلاج الانسان والحيوان وتجميل أرض النبات أليس هذا من الأدلة القوية على وجود الله .

(٢) تنوع نباتاتها :

كما فى العنصر السابق فى تنوع تربتها ، والآن نلجأ الى تنوع نباتاتها ، ونستشهد بقول الله تعالى " وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابه وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين " (١) .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤١ .

وتنوع نباتاتها هنا ليس من كونها معروشا وغير معروش ، أو نخلا وزرعا ، انما نعنى التنوع فى الثمار ، والتنوع فى الغاية المنوطة بــه ، وربما يؤيد هذا قول الله تعالى " ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم " (١)

وهكذا تتنوع ثمرات الأرض حتى لتشمل الكثير من الطعم ، وتحوى الكثير من الأدلة على وجود الله — سبحانه وتعالى — بحيث تكون من الأدلة بمكان حتى تسوق العقل الى الاقرار بصدق النقل وصحـــة الاستدلال على وجود الله .

(٣) تنوع ثرواتها :

أجل : تتنوع ثروات الأرض بتنوع الغايات المنوطة بها ، وتتنـــوع كذلك بتنوع تربتها ، فالثروات اما أن تكون على وجه الأرض ، أو فـــى باطنها ، فما هو على ظاهرها الجمع الكبير ، والجم الغفير نذكر منه :

النباتات التى يتغذى عليها الانسان ، كالحب والعنب والزيتـون والنخل ، والفاكهة ، ومما يتغذى عليه الحيوان القضب والأب والأشجار التى تصلح غذاء للانسان ولاتصلح لغيره ، والأخرى التى تصلح للحيوان ولاتصلح لغيره ، فلو أن كافة نباتاتها صلحت لغذاء الانسان وحـــده لما وجدت ثروة حيوانية ، اذ أن الانسان سيتغذى بكل هذه النباتات ،

(١) سورة عبس وتولى الآيات : ٢٦ الى ٣٢ .

....

بحيث لايبقى للحيوان شيئا ، ومن ثم . فان وجود هذه النباتات التى لاتصلح الا لغذاء الحيوان وحده جعلت الثروة الحيوانية تبقى وتستمر حتى تغطى حاجات الانسان من الدهن اللازم لنمو الكلوستيرول اللازم لسيولة الدم فى الأوردة والشعيرات الدموية التى لو انعدم فيها الكلوستيرول الحيوانى لحدث تجلط فى الدم وانسداد فى الأوعية الدموية مما يؤدى الى هلاك الانسان ، ومن المعروف أن استخدام الكلوستيرول والمشتقات التى تزيده فى الدم بكثافة تحوله الى شحوم يصعب على الجسم الاستفادة منها ويتحول صاحبها فيما بعد الى مريض بالقلب نظرا لكثافة هذه المادة الدهنية فى جسمه .

كما أن الثروة الحيوانية تمد الانسان بالبروتين والكالسيوم الموجودين فى جسم الحيوان عن طريق لحمه وعظمه ، ولولا هذه الثروة التى تنمو وتتغذى على ظهر الأرض لحدثت كوارث طبيعية للانسان وبيئته ، من ثَمّ فإن تنوع نباتات الأرض كثروة أمر يؤكد الاستدلال على وجود الله - تعالى - وتوحيده .

فاذا أضيف الى لحم الحيوان وعظامه لبنه ، الذى يخرجه الله من بين فرث الحيوان ودمه سائغا للشاربين معوضا فقدانه مواد زلالية وبروتينية لو استمر فقدها فى الانسان لأصيب بالأنيميا الحادة التى ينشأ عنها أمراض كثيرة ، من أخطرها سرطان الدم والبلاجرا ،

....

اذن فان هذه الثروات دليل على وجود الله من حيث تنوعها ، فاذا لاحظنا أن تنوع النبات وسائر ما يظهر على وجه الأرض من أخشاب يستخدم بعضها فى الحريق حيث يمتص ثانى أوكسيد الكربون الذى يخرجه الانسان أثناء تنفسه أدركنا أن هذه النباتات من أعظم الأدلة على وجود الله ، ومثل هذا يطول استقصاؤه .

ومما هو من ثروات باطن الأرض ، ويغفل عنها كثير من الناس قبور الموتى ، اذ لو أن باطن الأرض لم يقبل فى أحضانه الهادئة استمرارا يقوم منه على نوع أجساد الموتى التى تتحلل فى باطنه ، لظهرت كوارث لايمكن التنبؤ بالنتائج التى ستنتهى اليها ، اذ المشهور أن الأجساد بعد خروج الروح منها تبدأ عملية التحلل فى الوصول الى خلاياها ، سواء الخلايا الأحادية (١) التركيب ، أو ثنائية التركيب (٢)

---

(١) المعروف لدى علماء التشريح أن الانسان مكون من نوعين من الخلايا هما : الخلية الأحادية التركيب وهى خلية تنمو ولاتعوض ، كما أنها ثابتة لاتتكاثر وهى الخلية العصبية ، والخلية المخية ، والخلية التناسلية ، وكونها أحادية التركيب يسبب قلقا لأنها لو دمرت لايمكن تعويضها وفى نفس الوقت يعطى منفعة ، اذ أنها لو انقسمت لحدث فيها نوع من الترهل فأصابت الانسان بالنسيان ، والمخ بعدم القدرة على التركيز وقيادة الغدد التى تدار بواسطته كالغدة النخامية "والهيبوثالاموس" التى توجد أسفل المخ وتتحكم فى أربعة عشر غدة ، أخرى كالغدة الدرقية والجنسية .

(٢) وهى خلية تتكون من جزئين : وتشمل باقى أجزاء الجسم كالخلية الجلدية ، فانها تنمو وتتكاثر باستمرار واذا حدث فيها اتلاف لبعضها ، فان البعض الآخر يقوم بفضل الله بسرعة التعويض وأشل =

....

ومن ثمّ يحدث انهيار فى جهاز المناعة الذى كان يقاوم الأمراض ويقف سدا أمام تيار الميكروبات والجراثيم فتهجم هذه الأعداء الفاتكة على الجسم حتى تدخله مرحلة العفن بسهولة ، والمعروف أن العفن علة ومعلول للجراثيم وموطن للبكتريا وقد ثبت أن عددا من الجنود قتلوا فى الحرب العالمية الأولى ، ولم تتمكن قياداتهم من دفنهم لمدة لم تجاوز أسبوعا ، فاذا بأجسادهم تتفخ وتصيبها العلل حتى تحولوا الى أجساد ناقلة للبكتريا والكوليرا فى آن واحد .

والمطالع للحديث القدسى يرى أن الحكمة من دفن الموتى داخل قبور فى باطن الأرض تمثل المحافظة على البيئة سليمة من سهم الأمراض المعدية وهذا من أفضل الثروات التى لم ينتبه اليها الناس كثيرا ، وهى فى ذات الوقت من الأدلة القوية على وجود الله تعالى وقد جاء الخبر فى قوله — صلى الله عليه وسلم — فيما رواه عن

= دليل عليه ، أن عملية الجراحة لأى جزء من أجزاء البدن كالجلد أو اللحم أو العظم تلتئم ويحدث الانسجام طبقا لمدى ظروف الجسم الصحية وحجم ما أجرى له من جراحة ومهارة الطبيب ونظافة الجرح ، وسلامة البيئة المحيطة من تكاثر البيكتريا والجراثيم ، وقبل ذلك كله توفيق الله جل وعلا .
أما الغدة الأحادية فان الجراحات الى اليوم لم تقم الا بازالة بعضها كما يحدث فى عمليات المخ حين يقوم الطبيب باستئصال بعض الخلايا التى حدث فيها نوع من الضمور أو التلف أو أصيبت بعدوان خارجى فان عمله ينحصر فى مجرد ازالتها أو اصلاح ما بها من عطب واذا لم يقدر له بلوغ غايته فانه ينشأ عن هذا الفشل الموت أو شلل جزء من الأطراف التى كانت تخدم عن طريق خلايا المخ التى تلفت ، ومن ثم فان الخلايا الأحادية تختلف [illegible] دليلا قويا على وجود الله تعالى .

....

عن ربه : " سلط الله ثلاثا على ثلاث ، سلط الصبر على المصيبة ولولاه لهلك الناس فزعا على مصائبهم ، وسلط العفة على الأبدان ، ولولاها لاحتفظ الناس بأجساد موتاهم حتى ضاقت بها بيوتهم ، وسلط السوس على الحب ولولاه لأختزنه الملوك والأمراء كما يختزنون الذهب والفضة " (١) .

* ثروات باطن الأرض وتنوعها :

سلف الحديث عن بعض ثروات ظاهر الأرض ، وها نحن نتحدث عن بعض ثروات باطنها كأدلة يمكن الاهتداء بها الى الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى ومن ثروات باطن الأرض ما يلى :

(١) قبور الموتى .

(٢) وجود الحديد والنحاس والمواد الأخرى التى من هذا القبيل وتمثل مادة صناعة أولية .

(٣) المواد السائلة كالغاز والبترول ومشتقاته ، والتمايز بين هذه الأنواع الثلاثة دليل قوى على وجود الله - تعالى - باعتباره من الأدلة الكونية المنبثة مظاهرها فى الكون كله ، والملاحظ أن هذه الأرضيات وما يتعلق بها انما تمثل جزءا من الكون العام الذى تحدث عنه النقل المعصوم باستفاضة ، وقد سردنا طرفا منه على أنه جهد العقل العاجز .

---

(١) الشيخ محمد المدنى / الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية باب السين .

جـ ـ أفق الجبال :

يظن الناس أن الجبال مجرد أوتاد لا حركة فيها ولا حياة ، بل انها تمثل عبئا بالنسبة للأرض ، والحق عكس ذلك تماما ، اذ أن الجبال من الأدلة على الله بمكان ، أليست الجبال أوتادا ، قال الله تعالى : " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا "(١) وفى نفس الوقت تتحرك الجبال مع الأرض حركة مضطردة فى ظاهرها منعكسة فى محلها ، وآية ذلك قول الله تعالى " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ "(٢) .

اذن الجبال أوتادا تتحرك ، وثوابت تدور ، ومنافع لاتنقضى ورغائب لاتنتهى ، فاذا علمنا أن الجبال تنمو على قممها مراتع المخلصين ، ويهجع اليها الأنبياء والمرسلون بحيث تكون على أسرارهم أمينة ، وعلى أجسادهم حارسة مقيمة تمنع الأرض بهم عن الاضطراب ، فهم للأرض كالقلب للانسان ولئن كان الظن بأن الجبال خرساء قد انتشر أمدا بعيدا ، فان هذا مما لايمكن قبوله لأن الجبال

---

(١) سورة النبأ الآيتان ٦ ، ٧

(٢) سورة النحل آية رقم ٨٨ .

....

تسبح لله - تعالى - قال تعالى "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " (١) ، وقد حكى نبى الله داود من التقاط اشارات الجبال مسبحة لله - تعالى - حينما أمرها ربها فى قوله - جل علاه - "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ " (٢) .

على أن ما يلفت الأفهام الى مسألة الجبال ، هو أن الناس بفضل التقدم العلمى المذهل قد استطاعوا تمزيق الجبال ، وتفتيت شرايينها ونقل رملها وحديدها وكافة ما يتعلق بها حتى أنه لم يعد بالامكان القول بأن الجبال ماتزال أوتادا .

والجواب :

أن هذه افتراضات لم تقم على قواعد مضطردة ، ثم ان الناس لم ينقلوا من الجبال الا قشرتها المفتتة ، وبالتالى فلايمكن أن يقال أنهم نقلوا الجبال ، وانما كل ما يمكن زعمه هو أنهم نقلوا وجه الجبل المفتت ، ولم ينقلوا عمقه الضارب فى بطن الأرض ، وبالتالى فان أمر الجبال يعتبر من أقوى الأدلة على اثبات وجود الله تعالى .

---

(١) سورة الاسراء الآية رقم ٤٤
(٢) سورة سبأ الآية رقم ١٠

ولئن كنا قد تناولنا بعض الآفاق فان هذا ليس معناه الاستقصاء وانما المراد فتح الباب أمام الدارسين حتى يتطلعوا الى هذه الأمور آخذين فى اعتبارهم ما يمكن توظيفه منها فى العصر الحديث ليكون علم توحيد قائما على النقل المنزل والتأمل فى مظاهر الكون العجيب على أساس أن هذه الآفاق لم تخلو من حكم مودعة فيهما ، لأنها " أفعال عجز العقلاء عن ادراك الحكم المودعة فيها " (١) .

وهناك أفق غير ما سلف يمكن اعتباره آفاقا كثيرة ، كآفاق الأجرام السماوية والظواهر الجوية ، وأحوال الأفلاك ، وهبوب الرياح ، وهطول الأمطار ، والرعد والبرق وما كان من هذا القبيل ، وقد استفاد من النقل المنزل ، ونال حماية السلف الصالح ، الذين كانت " الحقائق الايمانية ، وخصائص الشريعة الاسلامية تمثل حجر الأساس فى تكوين عقلية المفكر المسلم " (٢) وتمكينه من استجلاء الأدلة القرآنية الكونية بجانب اقامتها على الوجه الأمثل شرعا .

الى هنا نكون قد انتهينا من عرض الدليل الكونى القرآنى لدى السلف الصالح فى جانب الآفاق .

---

(١) الامام الجرجانى / شرح المواقف فى علم الكلام / الموقف الخامس فى الالهيات ص ٦ تحقيق د / أحمد كمال المهدى / نشر مكتبة الأزهر .

(٢) الدكتورة / توفيقة حسين محمود / مدخل الى الفكر الاسلامى ص ١٤ مطبعة أخوان زريق ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) فى الأنفـــس :

تعرضنا لذكر الدليل الكونى القرآنى فى جانب الآفاق ، وها نحن ندلى فى جانبه الثانى بدلو وهو جانب الأنفس ، والملاحـظ أن هناك فرقا بين الدليل النفسى (١) فى الاستدلال على وجود الله ودليل الأنفس الذى نحن بصدده .

حيث أن أفق الأنفس ههنا يقوم على وجود الأحوال الطارئـة على النطفة وتقلبها من نطفة الى علقة ثم مضغة ، ثم عظما ولحمـا ودما ، كل هذه أحوال طارئة على الأنفس ولايمكن أن تكون مـن نفسها ، انما التأمل فيها والنظر الى النقل القرآنى يؤكدان علـى أن هذه لاتستطيع ايجاد نفسها ، أو تقلبها فى مراحلها من غيـر فاعل حكيم ، من ثم ثبت أنها آيات فى الأنفس تقود الى الاقـــرار بضرورة وجود الله تعالى ، والتصديق بهذا الوجود الالهى .

ونكتفى فى هذه العجالة بالوقوف عند هذا الحد من أطروحات الدليل الكونى القرآنى عند السلف الصالح ومن أراد المزيد فلـــه مراجعة المصادر التى ذكرت أسفل الصفحات التى مرت ففيها مختام صغير لبحث المسألة وطرق الاستدلال والمعالجة .

---

(١) يمكن النظر فى كتابنا / قيمة الصراع بين الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام / الباب الثالث / الدليل النفسى ص ١٦٤ .

﴿الفصل الأول﴾

((أدلة الماتريدية على اثبات وجود الله تعالى))

قال الامام الايجي وشارحه : " الموقف الخامس في الالهيات وفيه سبعة مراصد ، المرصد الأول في الذات وفيه مقاصد ثلاثة :
المقصد الأول في اثبات الصانع *

شرح الموقف الخامس في الالهيات

جعل الامام الايجي كتابه المواقف شاملا مسائل كثيرة وقد طبع بشرح الجرجاني فاستغرق مجلدات ثمانية جاءت من أولها حتى المجلد السادس في أمور عامة ، بينما جاء السابع منها خاصا بالموقف الخامس في الالهيات على حين كان المجلد الثامن في الموقف السادس وعنون له بالسمعيات وحيث جئنا الى الموقف الخامس " في الالهيات " فان الامام الايجي يقسمه الى مراصد سبعة ، كل مرصد منها يضم عددا من المقاصد ، بينما كل مقصد اشتمل على عدد من المسالك وربط أستوى كل مسلك عددا من المسائل والوجوه .

* في هذا المقصد ذكر الشيخ الايجي أن هنالك مسالك في اثبات وجود الله تعالى ، منها ما يخص المتكلمين على وجه العموم ، ومنها ما يخص الفلاسفة ، ومنها ما يشترك فيه فلاسفة الصوفية مع غيرهم وكلها تدور حول أدلة العقل في اثبات وجود الله مما يجعلنا نفرد بالحديث عنها سطورا تتعلق بما قبل المسلك الأول نذكر على الخصوص :

....

قال الامام الايجى " المسلك الأول للمتكلمين " (١) :

يرى الامام الايجى رحمه الله المسلك الأول من مسالك اثبات الصانع خاصا بالمتكلمين غير أنه لم يقل مَنْ مِنَ المتكلمين عناهم ، أهم متكلمة أهل السنة والجماعة - أشاعرة وماتريدية أم متكلمة الصوفية ، أو متكلمة المعتزلة وهل يقصد متكلمى المتقدمين ممن ذكرهم أم المتأخرين ؟

الحق أن عبارة الشيخ قد خلت من الاشارة لمتكلمى الماتريدية ، نعم قد يفهم ضمنا أنه أدرجهم ضمن متكلمى الأشاعرة ، ولكن هذا غير وارد لما سنعرضه فى حينه من ذكر أدلة الماتريدية على اثبات وجود الله على النحو الذى سيرد :

* أدلة الماتريدية على اثبات وجود الله :

يعتبر جمهور الماتريدية الممثل الثانى لجماعة أهل السنة والجماعة ، وهم أصحاب أبى منصور الماتريدى ، أصحاب بلاد ما وراء النهر ، وهم فرقة اسلامية ، امتدت أصولها الى الامام الأعظم

---

(١) الامام أبو منصور الماتريدى / كتاب التوحيد ص ١٠ تحقيق دكتور / فتح الله خليف / طبعة دار الجامعات المصرية .

....

أبى حنيفة النعمان ، وتلاميذه من بعده ، وقد حاولت الفرقة الاستدلال على وجود الله ـ تعالى ـ وكانت لهم أدلة عديدة نجملها فيما يلى :

(١) الدليل الفطرى .

(٢) الدليل الكونى .

(٣) دليل حدوث الأعيان والأعراض .

(٤) دليل الامكان .

غير أننا سنلفت النظر الى أن الدليل الفطرى والقرآنى الكونى قد سبقت الاشارة اليها ، من ثم فسنعنى بدليلى الحدوث والامكان عند الماتريدية ، حيث قد نبه الشيخ الماتريدى الى أن وجود الله أصل يعرف به الدين ، وأصل يلجأ اليه الناس عند الحوائج ، من ثم فضرورة الاحتياج تدفع الى الايمان به ـ جل علاه ـ والتصديق فيه ، يقول الشيخ " لابد من معرفة ما فى الخلق من الحكمة ، اذ لا يجوز فعل مثله ، ومافيه من الدلالة على من أنشأه ، أو على كونه بنفسه ، أو حدث أو قدم " فهيا بنا لتناول الدليلين " الحدوث والامكان " ولنبدأ بالامكان ، لأنه فيما يبدو أقواهما عند الماتريدية .

دليل الامكان عند الماتريدية :

الناظر فى مؤلفات الماتريدية يراهم قد وثقوا لدليل الامكان مرجحين اياه على غيره ، يقول الشيخ البياضى "العالم من السموات

....

والأرض وغيرهما ممكن ، لأنه مركب متكثر ، وكل ممكن فله علة مؤثرة" (١)
والملاحظ أن "الشيخ البياضي" ترجم عنده تغليب جانب الممكن في ذاته باعتبار أن طبيعة الممكن هي ما يتساوى وجودها وعدمها ، فاذا وجدت على ما هو البادي من خلق السموات والأرضين ، فلا شك أن لها موجدا ، وهذا نزاعه يزول بوجود الأجرام " جرمي السموات والأرض " على ما هي عليه الآن .

ثم انتقل الشيخ من ذات الممكن الى صفة من صفاته وهي التركيب والكثرة ، وهما في حد ذاتهما أعراض ، اذن الشيخ أثبت أولاً امكانية الأجسام في ذواتها بدليل وجودها الآن ولا ينكره الا مكابر ، ثم انتقل الى اثبات الأعراض وأنها حادثة باعتبار أنها مركبة ومتكثرة، وطالما أن الذوات لاتستغني عن أعراضها ، وطالما أن الأعراض لاتقوم بنفسها، اذن كل العالم له علة مؤثرة أوجدت الذوات من العدم وألحقت الأعراض بالجواهر .

والشيخ لم يقف عند مجرد الاستدلال بالامكان ، وانما راح يستشهد بالآيات القرآنية وينقل في نفس الأمر منها مايؤدي به الى غرضه ، ويدعم أدلته سواء كان ذلك على طريقة الامام الماتريدي أو على ما فهمه هو ، وبهذا نرى أن دليل الامكان عند الماتريدية قد تكاملت أجزاؤه التي قام عليها وهي :

---

(١) الامام البياضي / اشارات المرام من عبارات الامام ص ٨٢ .

....

(١) امكان الجواهر . لأنها وجدت بعد عدم ، وأبرز دليل وجود الأجرام السماوية والأرضية .
(٢) حدوث الجواهر . حيث أن هذه الجواهر ليست قديمة بدليل سبق العدم لها ، فهي حادثة .
(٣) امكان الأعراض . حيث أحتيج الى تركيب الأعراض وتكرهاه من ثمّ فلا تكون الا ممكنة يتساوى فيها الوجود والعدم .
(٤) حدوث الأعراض . حيث أن الأعراض ملازمة للجواهر ، وقد ثبت حدوث الجواهر ، اذن الأعراض كذلك ، وهذا الدليل بأجزائه الأربعة يمثل نضجا فكريا لدى طائفة الماتريدية ، ربما استفاده منهم " الجرجاني " الأشعرى حينما هاجم دليل الحدوث وانتقل الى أن الرجوع الى دليل الامكان أقوى حيث يقول بعد أدلة المتكلمين : " ولايذهب عليك أن ما ذكره تطويل ورجوع بالآخر الى اعتبار الامكان وحده والاستدلال به" (١) .

* دليل الحدوث عند الماتريدية :

يرى الماتريدية أن وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما ثبت بالدليل الفطرى ، والكونى ، وبدليل الامكان ، فانه يثبت كذلك بدليل حدوث الأعيان والأعراض ، ومن ثمّ فقد جعلوا دليل الحدوث منقسما الى :

---

(١) السيد الشريف الجرجاني / شرح المواقف الموقف الخامس في الالهيات ص ٩ تحقيق د / احمد المهدى .

....

أ - حدوث الأعيـــان .
ب - حدوث الأعـــراض .

أما حدوث الأعيان ، فيمكن التعرف عليه بالحواس ، والنقـــل ، والنظر ، التى هى عندهم أسباب علم الخلق ، يرى الشيخ أبو المعين النسفى أن " أسباب العلم للخلق ثلاثة : الحواس الخمس، والخبـــر الصادق ، والعقل " (١) وهو نفس ما ردده الشيخ أبو منصور - رحمه الله - من أن أدلة الحواس والنقل والنظر - العقل - يمكن أن تقودنا الى التصديق بحدوث الأعيان - ذوات الأشياء - الجواهر ، يقـــول الشيخ رحمه الله " الدليل على حدث الأعيان هو : شهادة الوجوه الثلاثة التى ذكرناها من سبل العلم بالأشياء" (٢) .

على أن اثبات حدوث الأعيان بالحواس شاهد ، فالجواهر التـــى لم تكن موجودة ، ثم وجدت كذوات الأشياء التى نتعرف عليها حينـــاً بعد حين ، وتكشف عنها قوانين العلم الفيزيائية ترشدنا الى التصديق

---

(١) الامام أبو المعين النسفى / كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص١١٩ تحقيق جيب الله حسن احمد - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .
(٢) الامام أبو منصور الماتريدى / كتاب التوحيد ص ١١ .

بوجود ذوات لم تكن موجودة ثم أنشأها الله من عدم محض كالنيازك والشهب والأطباق الطائرة ، وما يجول بالتقنية الحديثة التي لم تكن في اطار الحواس ، ثم تعرفت عليها الآن بعد أن وجدت ، من ثم فهي حادثة ، وقس كذلك الأعيان التي أثبتها النقل المنزل ، والعقل الصحيح ، مما يؤكد أنها جميعا لم تكن الا في حيز العدم ، ثم طرأ عليها الحدوث ، فدل ذلك على أنها حادثة ، وأن لها محدثا هو الله رب العالمين .

والمعلوم أن الماتريدية ضيقوا بدليل حدوث الجواهر أولا ، الشقة التي كانت تبدو في دليل الحدوث عند الأشاعرة ، كما أنهم أقاموا بنيانه المتصدع ، وقد كان جداره يريد أن ينقض حتى جاء حدوث الماتريدية فأقامه بيده وأن لسان حال حدوث الأشاعرة يقول : لو شئت لاتخذت عليه أجرا .

* حدوث الأعراض :

وأما حدوث الأعراض فيقوم عند الماتريدية على مفهوم الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ، وأن هذه الأمور الاحتكام فيها يقوم على الضرورة العقلية التي ترفض وجود حركة وسكون في جسم واحد ، في آن واحد ، واجتماع وافتراق لحال واحدة في آن واحد ، وحيث أن الحركة والمكان والزمان من المتلازمات ، وقد ثبت حدوث الحركة كعرض ، فان السكون والاجتماع والافتراق التي هي عوارض غير الذوات

....

" الأجسام " وهذه الغيرية ثابتة من حيث أن الجسم يخالف الحركة باعتبار أن الجسم ذات والحركة عرض .

يقول الامام الماتريدي " : " معلوم أن تكون الحركة والسكون والاجتماع والتفرق غير الجسم ، إذ قد يكون جسما متفرقا يجتمع ، ويتحرك يسكن ، فلو كان لنفسه يكون كذلك لم يكن ليحتمل مضادات الأحوال على بقاء الجسم بحالة ، وعلى هذا يخرج الفناء والبقاء ، اذ قد يوجد غير باق ولافان في أوقات فيلزم أن يكون غيره ، وكذلك من أراد بقاء الشيء أو فناءه يقصد الى غير الوجه الذي يقصد بالآخر فثبت أنهما غيران يحلان " (١) .

ونحن بدورنا نرى أن دليل الحدوث عند الماتريدية سواء للأعيان أو الأعراض ينتهي الى اثبات وجود الله ، على ماهي عبارة الشيخ نفسه ، حيث يقول : " الدليل على أنّ للعالم محدثا أنه ثبت حدثه بما بينا ، وبما لايوجد شيء منه في الشاهد يجتمع بنفسه ويفرق ، ثبت أن ذلك كان بغيره " وهذا الغير هو الذي أحدث العالم وهو الله رب العالمين ، وثبت أن دليل الحدوث والامكان وكذلك دليل الفطرة، والدليل الكوني القرآني، وماتخللهما انما يشمل جدة في تناول القضايا العقدية تقريرا ودفاعا وهو من علامات الفكر الاسلامي لدى المتكلمين عامة وأهل السنة والجماعة ومنهم الماتريدية خاصة وكان الأولى للشيخ الايجي أن يذكر رأى الماتريدية نصا كما ذكر أدلة الأشاعرة وهو أبسط حقوق الماتريدية .

---

(١) كتاب التوحيد / للماتريدي ص ١٦

الفصل الثاني

((أدلة الأشاعرة على إثبات وجود الله))

المسلك الأول : للمتكلمين : *

---

* عبارة الشيخ الايجى فيها نوع من التسامح ، لأنها لم تتناول إلا رأى متكلمى الأشاعرة بشكل واسع ، أما الماتريدية فكانت مجرد اشارات، ولذا فقد تناولت رأى الماتريدية مستقلا عن رأى الأشاعرة ، كما أن العبارة لم تشمل المعتزلة وهم الفرقة التى سبقت أهل السنة والجماعة وكان لها فى خدمة العقيدة الاسلامية والدفاع عنها مجهود وافر ، وأثر امتد فترة طويلة ، ولذلك سألجأ الى ذكر أدلة المعتزلة على سبيل الاستقلال أيضا .

كما أن عبارة الشيخ الايجى انصبت على جانب واحد من جوانب الأدلة عند متكلمى أهل السنة والجماعة ، أما كيف ؟ فالجواب : أن ماذكره الايجى والجرجانى قام على الدليل العقلى وشرحه ، بل وتبنى كل منهما الدفاع عنه واهمال ماعداه ، والدليل العقلى عندهم انحصر فى تقسيم العالم المادى فقط إما إلى جواهر وإما إلى أعراض ، وبعيدا عن القول بأن الخلاف فى مفهوم الجواهر مايزال قائما ، إلا أن حصر الدليل عندهم فى الجواهر أو الأعراض ، والحدوث والامكان ربما يوهم الناظر أن أمر الأدلة عند الأشاعرة كان هذا الدليل العقلى وليس هناك من دليل غيره .

غير أن هذا الفهم حتما يزول متى عرفنا أن الامام الأشعرى - رحمه الله - استخدم الدليل الكونى القرآنى ، كما استخدم الدليل العقلى ط إنه كان فى استخدامه الدليل العقلى يؤيده بالنقل ما يدفع الى

....

الاعتقاد بأن الأشعرى نفسه كان ميله للدليل الكونى القرآنى أكثر من ميله للدليل العقلى الذى عوّل عليه الأشاعرة فيما بعد . وهذا يدفعنا الى ذكر مجمل لأدلة متكلمى الأشاعرة على وجود الله تعالى ، بادئين بالدليل الكونى القرآنى نظراً لتوارده فى عبارات الشيخ الأشعرى نفسه ، فما هى أدلة أهل السنة والجماعة ، والجواب أن :

لأهل السنة والجماعة دليلان أصليان هما :

(١) الدليل الكونى القرآنى .

(٢) الدليل العقلى .

ونظرا لأهمية الدليل الكونى القرآنى بجانب العقلى سألجأ إلى ذكر مجمل له ، من كتب الأشعرى نفسه ، ومن ثمّ سأقدمه على غيره من الأدلة . فما هو الدليل الكونى القرآنى .

أولا : الدليل الكونى القرآنى :

هو ما كانت مقدماته كلها أو بعضها مقتبسة من النقل المنزل ، أو مسترشدة به ، هذا فى جانبه القرآنى ، أما فى جانبه الكونى فقائم على التأمل فى نظام الكون والكائنات وسعيها الحثيث لغاية واحدة ، والأجرام العلوية والأرضية وما فيها من منافع ، وبالتالى فهذه ناحية كونية ، ومؤدى هذا الدليل هو :

أن الكائنات صغيرها وكبيرها تسير لغاية محددة ، وأن فى العالم نظاما عجيبا ، وترتيبا غريبا من عجائب المخلوقات وحكمة

....

وجودها وفق نظام عام لاتخرج عنه ، مع أنه لااختيار لها فيه كحركة الشمس والكواكب ، والأرض والجبال ، والانسان باعتباره نطفة ثم علقة ثم مضغة ، الى آخر ما فيه ، علما بأن نطفة الانسان لاتنتج حيوانا ولا العكس .

اذن هذا الدليل الكونى يقوم على " الاستدلال بذوات الأجسام من علوية وسفلية وصفاتها واختصاص بعضها بمزايا لم توجد فى البعض الآخر ، مع الاشتراك فى الجسمية (١) ، وهو اقناعى (٢) ، وقد أرشد إليه القرآن الكريم بل وأشار فى كثير من الآيات من ذلك قوله تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (٣) .

---

(١) الأستاذ الشيخ / محمود أبو دقيقة : القول السديد فى علم التوحيد جـ ١ ص ١٩٤ تحقيق وتعليق الاستاذ الدكتور / عوض الله حجازى ط مجمع البحوث الاسلامية .

(٢) يرى الاستاذ الدكتور / عوض الله حجازى أنه اقناعى وذلك " لأن مقدماته ليست يقينية ، بل تحتمل أكثر من معنى ، فسمى الدليل اقناعيا " لهذا الغرض هامش القول السديد جـ ١ ص ١٩٤ .

(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٦٤ .

....

وقوله تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " (١) .

ومن ينظر فى مثل هذه الآية القرآنية الكريمة ، ثم يتابع النظام الكونى العجيب ، فلاشك أنه سوف يقف حائرا ، " ولا يسعه الا أن يعتقد أن لها موجدا حكيما مختارا فى تصرفه قديما ، منزها عن كل نقص " (٢) وكون هذا الدليل من السهولة بمكان فقد استفاد به السلف الصالح " (٣) رضوان الله عليهم أجمعين ، كما استرشد به أهل السنة والجماعة ، أشاعرة وماتريدية ، وما ذلك إلا لأنه دليل قرآنى من حيث إنه كلام الله ، وكونى من حيث أنه يستدل فيه على الله بنظام الكون الذى خلقه الله .

بل إن الامام الأشعرى نفسه قد استدل به ، واستخدمه على نطاق واسع ، حتى فى اجابة الأسئلة التى كانت توجه له ، أو الاعتراضات التى كانت تَرِدُ عليه من ذلك قوله :

" إن سأل سائل فقال : ما الدليل على أن للخلق صانعا صنعه وهديرا دبره ؟ قيل له : الدليل على ذلك أن الانسان الذى هو

(١) سورة آل عمران الآيات ١٩٠ - ١٩١

(٢) الشيخ / محمود أبو دقيقه - القول السديد جـ١ ص ١٩٩

(٣) سبقت الاشارة الى أدلة السلف الصالح فليرجع اليها من شاء .

....

في غاية الكمال والتمام كان نطفة ، ثم علقة ، ثم لحما ودما وعظما ، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال ، لأنا نراه في حال كماله وقوته ، وتمام عقله ، لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعا ولا بصرا ولا أن يخلق لنفسه جارحة .... فدل ما وصفناه على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال ، وأن له ناقلا نقله من حال الى حال ، ودبره على ما هو عليه " (١) .

وأى ناظر للدليل الكونى القرآنى لدى الامام الأشعرى ، يراه ماثلا فيما سلف من عبارة ، ولولا خشية الاطالة لنقلت من نصوص الأشعرى ما يؤكد أن الدليل النقلى عنده كان أكثر حسا وقوة ، وأحب الى قلبه من أدلة فيها الجدل على أشده ، والغريب أن من ينسبون الى الأشعرية يغضون العين عن هذا الدليل رغم حلاوته وسرعته في الاقناع ، وسهولة تناوله وتعاطيه ، بل إن الأدلة العلمية اليوم تجد لها سندا عنده ، ومتكأ عليه .

من ثمّ . يمكن القول : بأن الشيخ الأشعرى : استدل بتطور " خلقة الانسان وأحواله من نطفة الى علقة مقتبسا دليل من النقل المنزل في القرآن الكريم والحديث الشريف ، بحيث يمكن اعتبار دليله هذا من الأدلة القرآنية التى يمكن اعتبارها في ذات الوقت أدلة كونية أقتبست

---

(١) الامام أبو الحسن الأشعرى : اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص ١٧ ، ١٨ تحقيق د / حمودة غرابة ط مطبعة مصر الأولى ١٩٥٥

....

مقدماتها من القرآن الكريم ، فهى أدلة كونية قرآنية (١) معا .

فمن اقتباسه من القرآن الكريم قوله تعالى " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " (٢) .

ولاشك أن الخلق الآخر مباين " للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا ، وناطقا وكان أبكم ، وسميعا وكان أصم ، وبصيرا وكان أكمه ، وأودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب وغرائب لاتدرك بوصف الواصف ، ولاتبلغ بشرح الشارح " (٣) .

وهل خرج استدلال الأشعرى عن هذا السياق القرآنى الكريم فى شرح أمر كونى ياعلماء الأشعرية ، ومن ينسبون إليها حتى يهمل هذا الدليل إلى هذا الحد من الاهمال ، رغم قوته وصلابته وقبوله ووجاهته ؟ ! ! ان هذا لأمر عجيب .

---

(١) استفاد الامام الرازى من هذا الدليل الكثير ، بل إن الناظر فى كتاب الرازى : أسرار التنزيل وأنوار التأويل يراه قد استخدمه بشكل واسع .

(٢) سورة المؤمنون الآيات ١٢ : ١٤ .

(٣) الدكتور / سيد أحمد رمضان المسير ـ الزام القرآن للماديين والملحدين ص ١٩ .

ومن اقتباسه من السنة النبوية المطهرة قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق " ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم أربعين يوما علقة ، ثم أربعين يوما مضغة ، ثم ينفخ فيه الروح ، ثم يؤمر الملك بكتابة أربع كلمات ، رزقه وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد " (١) .

على أن الدارس المنصف لأفكار الامام أبي الحسن الأشعري في اثباته لوجود الله تعالى ، يمكنه القول بأن الرجل كان سلفيا في استدلاله على وجود الله ، وأنه لجأ الى الدليل النقلي كما كان السلف الصالح يلجأون اليه ، وان اتهام الامام ابن تيمية للأشعري بانتهاجه المنهج العقلي متجاهلا الدليل النقلي ، لايقوم متى بدا لنا ما في كتب الأشعري من استخدام للدليل النقلي متنًا وفهما ، على ما سلف بيانه .

بل ان الأشعري — رحمه الله — في كثير من مسائل العقيدة تراه ملتزما النص لايستدل إلا به ، وربما جاءت معه دلالة اللغة ، وان رمت دليلا فيها كرأيه في القضاء والقدر — وهما من المسائل المهمة في العقيدة الاسلامية — لأنها تتعلق من ناحية بأفعال الله تعالى ، وتتعلق

---

(١) الحديث متفق عليه ، وهو حديث طويل وربما ذكرته بتمامه في موضع آخر من هذا الكتاب لكن فيما ذكر كفاية على مانحن بصدد بيانه .

....

من ناحية أخرى بأفعال المخلوقين ، حيث ترى الامام الأشعرى قد نقل وجوه اللغة فى المسألة ، ثم نقل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تشرح معنى القضاء ومعنى القدر" (١) ولم يزد عليهما شيئا حتى انك تلمسه بكلتا يديك مفوضا الأمر لله .

أجل جاء من الأشاعرة بعده رجال وجدوا الحاجة ماسة الى تناول هذه المسائل بناحية عقلية فاستخدموا الملكات العقلية ربما بجوار النقل المنزل ، أو بعيدا عنه ، لكن لم يكن هذا التناول قد مارسه الأشعرى حتى ينسب اليه ، انما تجب نسبته إلى متأخرى الأشاعرة ومتقدميهم ، ومن ثم . يمكن اعتبار أبى الحسن الأشعرى ممن استدل بالنقل على أوسع صوره فى أمر وجود الله تعالى واثباته ، أو هو ـ على أقل تقدير ـ استدل بالدليل الكونى القرآنى على اثبات وجود الله تعالى .

الثانى : الدليل العقلـــى :

وهو عبارة عن " الاستدلال بالبراهين التى هى اليقينيـــات المنتجة لليقين وهى المعروفة فى المنطق بالبرهـان ، الذى هـــو

(١) لمن أراد المزيد الرجوع الى كتابنا " الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى ـ الباب الثانى ـ الفصل الخامس .

....

قول مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقين ، وهذا هو المسمى بالدليل العقلى " (١) ·

ويقوم هذا الدليل عند المتكلمين على تقسيم العالم قسمين هما :

(١) الجواهـــــر ·

(٢) الأعـــــراض·

ثم يعودون الى اثبات حدوث الجواهر ، وحدوث الأعراض ، حتى إذا انتهى بهم المطاف من الحدوث وجدتهم يسارعون الى الامكان · حيث يقسم كل من الجواهر والأعراض الى : امكان الجواهر ، وامكان الأعراض وبالتالى فان الدليل العقلى يضم دليلين فى حناياه هما :

(١) دليل الحدوث :

أ ـ حدوث الجواهـــــر ·

ب ـ حدوث الأعـــــراض·

(٢) دليل الأمكـــــان :

أ ـ امكان الجواهـــر·

ب ـ امكان الأعـــراض·

ويحسن بنا أن نعرف كلا من الدليلين ، قبل السير فى عرض أجزائهما على وجه التفصيل ، فما تعريف كل منهما ؟

---

(١) الشيخ / محمود أبو دقيقة ـ القول السديد فى علم التوحيـــد ص ١٩٤ ·

....

أولا : دليل الحدوث :

عرّف بأنه " عبارة عن كون الوجود مسبوقا بالعدم " (١) ولكنى لا أميل الى عموم هذا التعريف ، لأن الوجود والعدم فى علم اللـــه مقدران ، مخلوقان ثابتان ، هذا فى علم الله ، وربما استُدل بقـول الله تعالى " ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُـوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ " (٢) اذن الوجود ليس مسبوقا بالعدم من هذه الناحية - تساوى الوجود والعدم فى علم الله - لأن الأعدام مقدرة كالوجـــود تماما بتمام .

انما يقبل هذا التعريف بعمومه فيما يتعلق بالوجود الفعلـــى العينى فى عالم الواقع ، فلا شك أنه لم يكن ، ثم كان ، أى كـــان معدوما بالنظر الى ذاته ، ثم أوجده الله تعالى على الشكل الماثـل المشاهد ، وما لم نشاهد ، وعلى هذه الناحية يكون التعريف لدليـل الحدوث على النحو السالف مقبولا .

ثانيا : دليل الامكـــان :

عرّف دليل الامكان بأنه " عبارة عن كون الشيء فى نفسه ، بحيث لا يمتنع وجوده ولاعدمه امتناعا واجبا ذاتيا " (٣) .

---

(١) الامام الفخر الرازى - الأربعين فى أصول الدين ص ١٠١ تحقيق د / أحمد حجازى السقا - ط الكليات الأزهرية بالقاهرة .
(٢) سورة الملك الآية رقم ٢
(٣) الامام الفخر الرازى - الأربعين فى أصول الدين ج ١ ص ١٠١ .

ومؤدى هذا الدليل هو: أن الشيء الموصوف بأنه ممكن ، لا يوجد — اذا كان معدوما — الا بموجد مرجح وجوده على عدمه ، ولا يعدم — اذا كان موجودا — الا بمعدم مرجح عدمه على وجوده ، لأن تعريف الممكن هو ما تساوى وجوده مع عدمه ، وكونهما فى هذا النوع — التساوى — سواء فلابد من مغلب يجعل كفة الوجود مثلا تغلب كفة العدم ، أو العكس . وسأضرب مثالا :

العالم العنصرى الذى هو موجود الآن على النحو البادى ، والذى يقدر عمره فرضا بملايين السنين (١) ، خلقه الله تعالى وجعله موجودا على ما هو عليه الآن ، ومن ثم فهو موجود حتى يوم القيامة .

حتى اذا جاءت الساعة ، وانهدم الكون الذى نعرفه ، وتحول الى العدم ، فلاشك أنه كان موجودا ثم انعدم ، والعقلاء من المتدينين على أنه فى وجوده احتاج الى موجد هو الله تعالى ، وفى عدمه محتاج الى مرجح لعدمه على وجوده هو الله تعالى . الذى أعدمه بعد وجوده

---

(١) نظرية تقدير عمر للكون غير مقبولة عندى . لأنها تقوم على مجرد الفرض والتخمين فى أمر غيبى ، قطعه الله تعالى عليهم وكذبهم فيه فقال تعالى " مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا " .

....

من ثم • فإن دليل الامكان منصب على المرجح للعدم على الوجود أو العكس فى جانب الممكن ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وهو ظاهـــر القوة فى دلالته على بيان الاحتياج بعكس الحدوث فان فيه من الضـــعف مالايجدى معه القول فى اثباته المطلوب مباشرة •

غير أن العالم العنصرى إما جواهر ، واما أعراض والفصل بيـــن الأعراض والجواهر ، إنما هو فصل ذهنى فقط ، لأن المقرر فى كتـــب العلم ، والمقرر فى الأفهام استحالة وجود الجواهر بدون أعراضهـــا اللازمة لها ، ومن ثم فدليل الامكان يتم فيه الفصل الذهنى بيـــن الجواهر والأعراض فيقال :

أ — امكان الجواهـــر •

ب — امكان الأعـــراض•

ثم يستدل على امكان كل منهما منفصلا ، وحاجة كل منهما الـــى الآخر عند الاجتماع ، فتثبت الحاجة بينهما ، كما ثبتت حاجة كل منهما فى ابراز وجوده على علة انتهت الى الواجب الوجود وهو الله سبحانـــه وتعالى •

" قد علمت أن العالم (١) ، أما جوهر (٢) ، وإما عرض (٣) *
وقد يستدل على اثبات الصانع بكل واحد منهما " ٠ *

---

(١) يقصد العالم العنصرى ، وإلا فهناك عوالم لايعلمها الا اللــه ولايمكن وصفها بأنها جواهر أو أعراض ، كالعرش والكرســى ، والقلم ، وملك الرحمن ، وأم الكتاب ، وعلم الكتاب ، واللــوح المحفوظ ، وغيرها مما يجب التفويض فى حقيقتها الى أمر اللــه وعلمه ٠

(٢) الجواهر تنقسم الى ٠

ا ـ جواهر بســيطة ٠

ب ـ جواهر مركبــة ٠

جـ ـ جواهر ماديــة ٠

د ـ جواهر روحانيــة ٠

ويعرّف الجوهر عموما بأنه : مايشغل حيزا من الفراغ ، أو يحل فى غيره ، كالجواهر المركبة من أجزاء فإنها تشغل أحيازا من الفــراغ ، وكالروح مما نعرف فإنها جواهر لطيفة روحانية تحل فى غيرها ٠

ويعرف الجوهر أيضا بأنه : ما يقوم بنفسه ، سواء أكان بسيطــا أو مركبا ، أو لطيفا أو روحانيا ، والملاحظ أن هذه التعريفــات تقريبية ، ويمكن التعامل معها على هذه الناحية ٠

(٣) الأعراض : جمع عرض ، ويعرف بأنه مايقوم بغيره ، كالألــوان والاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون فكلها أعراض تقوم بغيرها ولاتقوم بنفسها ، ومعنى عدم قيامها بنفسها ، أنها لاتستقل

....

بذاتها حتى يحكم عليها استقلالا أو منفردة ، وانما لابد لها من محل يقوم بها فتلحقه ، فمثلا الألوان : من بياض وسواد ، وحمرة واصفرار ، لايمكن تصور اللون منفصلا عن المادة التى تجعله مرئيا حتى يحكم عليه بأنه أسود أو أبيض أو خلافه ، ولايكون تصوره منفصلا إلا فى الذهن فقط ، وللأعراض أحكام كثيرة لسنا بصدد ذكرها ههنا " (١) .

* فى العبارة صيغة من صيغ التأكيد فى قوله : وقد يستدل على اثبات الصانع : لأن "قد" هنا للتأكيد والتحقيق باعتبار أن الدليل العقلى أحد الأدلة القوية على اثبات وجود الله تعالى ، ولو قال : يستدل من غير ذكر لفظ قد لكان المقصود من عبارته أن هذا الدليل الوارد المتمثل فى حدوث العالم هو الدليل الوحيد . من ثَمَّ نبه الشيخ الى هذا المقصد فى عبارته السالفة .

---

(١) خص الامام الايجى الموقف الثالث من كتابه المواقف بالحديث عن الأعراض شغل مقدمة وخمسة مراصد وهو من أطول مواقف الكتاب وقدمه الايجى فى الحديث عن الجواهر حيث جعل الموقف الرابع فى الجواهر ، فليرجع اليها من شاء ، حيث أن فيها فائدة كبيرة وبخاصة فى الكتاب ذى الشرح والحواشى والتقريرات .

اما بامكانه* أو بحدوثه* بناء على أن علة الحاجة عندهم* اما الحدوث وحده* أو الامكان مع الحدوث شرطا* أو شطرا ، فهذه وجوه أربعة .

١-* قصد الشيخ بيان وجه الاستدلال بجواهر العالم أو أعراضه* وأنه يمكن الاستدلال بكل واحد منهما - الجواهر أو الأعراض - على اثبات وجود الخالق البارى جل علاه ، إما بدليل الامكان ، وإما بدليل الحدوث بحيث يكون الأمر قائما على :

أ - امكان الجواهر .

ب - امكان الأعراض .

٢-* أ - حدوث الجواهر .

ب - حدوث الأعراض .

٣-* يقصد عند المتكلمين الذين عناهم ، من أن العلة قائمة فى احتياج العالم ، إما إلى محدث يحدثه حيث يخرجه من العدم الى الوجود ، وإما إلى موجد يوجده ، فيرجح جانب الوجود فيه على جانب العدم* باعتبار أن الجواهر وحدها يقع لها التغير من ثم فهى حادثة ، وكذلك الأعراض حيث إنها لاتبقى وانما تزول وبالتالى فهى متغيرة ، والتغير دليل الحدوث . فثبت أن العالم متغير ، وكل متغير حادث ، وكل حادث لابد له من محدث ، اذن العالم له محدث هو الله رب العالمين . هذا فى علة الحدوث .

....

٥٠ ـ أما فى الامكان فالعلة أكثر وضوحا ، لأنه سبق القول بأن العالم ممكن من حيث إن الموجود ينقسم الى واجب وممكن ، والواجب هو الله رب العالمين ، أما الممكن فهو العالم ، وحيث أن من أخص صفات الممكن هو عدم ترجح وجوده على عدمه من ذاته ، انما لابد له من مرجح خارج عن ذاته ، ولايكون أحد الممكنات ، والا رجع الأمر الى هذه الممكنات التى استند الممكن فى وجوده اليها .

من ثم . فقد بطل اسناد الايجاد الى أى من الممكنات، وثبت استناد جميعها الى موجد واحد أوجدها من العدم ، هو الله رب العالمين ، والملاحظ أن علة الحاجة فى دليل الامكان أقوى من بيانها فى علة الحدوث ، أما لماذا ؟ فلما يلى ؟ .

أولا : أن دليل الحدوث يبنى أساسا على تغير الأعراض ، فمتى ثبت التصديق بأن الأعراض متغيرة ، ومتى ثبت أنها حادثة ، فقد ثبت حدوث الجواهر التى لاتنفك عنها ، وبناء على هذا تكون الجواهر والأعراض حادثة .

ولكن هذه النتيجة غير لازمة إلا لمن سلم بمقدماتها ، لأن هناك من يمنع تغير الأعراض ، بالتالى لايقر بكونها حادثة ، ولايسلم نتائجها ، كما أن مسألة عدم انفكاك الجواهر عن أعراضها أمر قائم على مجرد الفرض ، كما أن انفصالهما أمر قائم على الفرض الذهنى وهذا من نقاط الضعف فى الدليل .

....

ثانيا : أن الأعراض فروع ، والجواهر أصول ، لأن ما يقوم بنفسه أصل ، أما مايقوم بغيره ففرع ، اذ لولا الأصل - الجواهر - ماكان الفرع - الأعراض - ، وعلى فرض اثبات حدوث الأعراض ، فإن هذا الحكم لايلزم الجواهر ، لأنه ليس من المعقول اثبات حكم على الأصل لمجرد ثبوته على الفرع ، وهذه من نقاط الضعف في الدليل أيضا •

ثالثا : مبنى هذا الدليل على تبدّل أحوال الأعراض ، وتبدل الأحوال غير مسلم فكيف يدعى ثبوت حكم لم ينل انخلط أو ججهة قبول لسيدى المتنازعين فيه •

رابعا : اعتبار الجواهر ذوات أمر مسلم ، لأنها تقوم بنفسها واعتبار الأعراض من ملازمات الجواهر يعنى صفات لها أمر محل تنازع • ومن ثم ولايثبت حكم فى أن الجواهر حادثة ، لمجرد أن صفاتها الملازمة لها حادثة •

لذلك هاجم الامام الفنارى دليل الحدوث لما سبق بيانه ، وحكى القول فيه ثم رده فقال : " انما اعتبر المتكلمون الحدوث بناء على أن دليل الصانع ، وهو العالم حادث ، أوعلى أن الصانع مختار عندهم ولا يستند اليه القديم " ولم يوافق الفنارى المتكلمين فى أن علة الحاجة هى الحدوث وحده ، أو الامكان مع الحدوث ، وانما ركز على أن المناسب لعلة الحاجة هو الامكان الذى يختبئ فيه أمر الممكن ، واحتياجه الى وجود مرجح لوجوده على عدمه ضرورة •

....

يقول الشيخ الفنارى عن علة الحاجة : " وعلتها عند قدماء المتكلمين هو الحدوث أو الامكان مع الحدوث ، وعند متأخريهم كالحكماء هو الامكان ، وهو الحق ، لأن الأصل في الحاجة الى العلة هو الترجح بلا مرجح ، والممكن لما لم يقتض وجوده لذاته احتاج في وجوده الى علة مرجحة ضرورة ، وان كان قديما كصفات البارى عند أهل السنة "(١).

وليس الفنارى وحده الذى أشار الى ضعف دليل الحدوث ، في اثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، بل أن الامام الشريف الجرجاني قد نوه الى ذلك ، وقدم عبارة جيدة تؤدى الى أن دليل الامكان هو المعتبر في الدلالة ههنا أما الحدوث فلا : قال الجرجاني : " ولايذهب عليك أن ماذكره تطويل ورجوع بالآخرة الى اعتبار الامكان وحده ، والاستدلال به " (٢) على اثبات وجود الله تعالى .

---

(١) الامام الفنارى - حاشية الفنارى - بشرح المواقف جـ ٣ ص ٢ الهامش

(٢) شرح المواقف ص ٧ تحقيق د / احمد المهدى .

الأول : الاستدلال بحدوث الجواهر . قيل هذه طريقة الخليل صلوات الرحمن وسلامه عليه حيث قال : "لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ" *

---

* الوجه الأول من الوجوه الأربعة التي ذكرها الايجي والجرجاني هو الاستدلال بحدوث الجواهر مطلقا ، سواء منها الجوهر الجسم ، وهو الذي يقبل الانقسام الى أجزائه ، أو الجوهر الفرد ، وهو الذي لايقبل الانقسام بوجه من الوجوه .

ثم ذكر الشيخ الجرجاني - على لغة التضعيف - أن هذا الوجه تمثل في طريقة الخليل ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى : "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (١) .

ولكن يبدو أن خليل الرحمن لم يكن يقصد الاستدلال بحدوث الجواهر ، لأنه نبي فلا طريق له نحو الدليل العقلي الا في المحاجة فقط ، وطريق المحاجة ههنا بيّن في أنه صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم كان يريد توجيه قومه الى مسألة نفع الأصنام حتى تعبد، أو عدم نفعها ، وذلك مما يمكن فهمه من سياق الآيات القرآنية سالفة الذكر وغيرها من الآيات التي تحدثت عن موقف خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقومه .

---

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٦ - ٧٩ .

....

حتى لكأنه يريد أن يقول لهم : " هذا حال الشمس والقمر والكواكب ، وفيهن شيء من النفع ظاهر ، فكيف حال الصنم من شجر أو مدر ، أو معدن ، أو طعام ؟ (١) ومع هذا فإن الفطرة السليمة والعقل اللماح يدرك أن ما فيه النفع أولى بالحب وما فيه ضر أولى بالبغض . من ثمّ فلا يمكن اعتبار موقف خليل الرحمن ترجمة للدليل الذي ذكره الايجي والجرجاني ، كما تعتبر صورة وقف بها ابراهيم بين قومه ، لما سلف بيانه .

كما أن الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ، لم يكن يعرف هذه الألفاظ والمصطلحات ، كلفظ الاستدلال ولفظ الحدوث ولفظ الجواهر ، أو الأعراض ، لأن هذه المصطلحات لم تكن قد دخلت الى ثقافة العرب ، ولم تكن قد نزلت الى دائرة استخدامها عندهم ، وبالتالي فالاستدلال لسيدنا ابراهيم قائم على اثبات المنفعة التي تأتي وتزول ، ولا يستحق صاحبها أن يعبد ، لأنها منفعة وقتية ، بدليل أنها لا تبقى فترة طويلة ، انما تستغرق وقتا قصيرا ، ثم تزول ، فاذا قورنت بما لا منفعة فيه أصلا كالأصنام والأوثان ، فان صاحب العقل يقرر أنه مادام لم يعبد ما فيه منفعة قليلة ، فما ليس فيه منفعة أولى بهجره .

---

(١) الدكتور / محمد محمود حجازي - التفسير الواضح جـ ٩ ص٢٣ ط ١٠ سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م دار التفسير للطبع والنشر بالقاهرة .

وهو أن العالم الجوهري : أي المتحيز بالذات حادث ، كما مر ، وكل حادث فله محدث ، كما تشهد به بديهة العقل ، فان من رأى بناء رفيعا حادثا ، جزم بأن له بانيا . *

---

* قرر الشيخان ـ الايجي والجرجاني ـ أن العالم الجوهري حادث لكن ما وجه حدوثه ؟ الجواب : أنه التغير ، لأن هذا العالم الجوهري مركب من أجزاء ، وبالتالي فالعالم محتاج الى أجزائه ، وأجزاؤه محتاجة لمن يركبها ، ومن ثم فقد حدث تغير ، وكل متغير حادث ، وظننا أن هذه المقدمة مسلمة ، ثم قررا المقدمة الثانية وهي وكل حادث فله محدث ،كما تشهد به بديهة العقل ، وليس الأمر كذلك في كل أحواله ، لأن هناك بديهيات لايجادل فيها عاقل ، وأمور تشبه البديهيات وليست منها .

لذلك لجأ الشيخ الجرجاني الى الشرح فقال : فان من رأى بناء رفيعا حادثا ، جزم بأن له بانيا " ولو كانت هذه المقدمة بديهية لما لجأ الجرجاني نفسه إلى الاستدلال عليها ، اذن هي مقدمة استدلالية ، وليست بديهية كما ادعى والفرق ظاهر .

لأن القضايا البديهية تدرك من غير نظر وكسب واستدلال ، ككون الكل أكبر من أي جزء من أجزائه مثلا ، أما كون العالم حادث فليست الا نظرية ، كما أن المقدمة الثانية وهي " كل حادث فله محدث " يمكن اعتبارها بديهية متى سلم بموضوعها وصدقه مع محمولها وكل حادث ، لكن عند من لم يسلم بها ، فالأمر يحتاج لاقامة دليل له على لفظ الحادث ،

....

ومعنى الحادث ، وتفهيمه علاقة لفظ حادث بدلالته ، ولذلك أمر يحتاج الى نظر واستدلال عليه .

وقد رجع الامام الرازى القول بأن هذه المقدمة " وكل حادث فله محدث — بديهية وفطرية حيث قال : " ان العلم بها مركوز فى فطرة طبع الصبيان ، فانك اذا لطمت وجه الصبى من حيث لايراك ، وقلت له : حصلت هذه اللطمة من غير فاعل البتة ، لايصدقك ، بل فى فطرة البهائم ، فان الحمار اذا أحس بصوت الخشبة فزع ، لأنه تقرر فى فطرته أن حصول صوت الخشبة بدون الخشبة محال (١) .

وفى الاتجاه المعاصر مدارس ترى أن هذا ليس فطريا ، فى ظل التقدم العلمى الهائل ، والتوقعات التى يتميز بها هذا العصر أما الحيوان وصوت الخشبة فذلك راجع لمسألة الارتباط الشرطى كما هو كما هو تجربة باخلسوف ، ولذلك مالوا الى أنها ليست بدهية وان كانت فطرية ، وان كنت أميل الى رأى الامام الفخر الرازى على ما ذكره الشيخ الأمير .

لكن أى وجه للدلالة يمكن الأخذ به حتى يصير العالم حادثا ، دالا على ضرورة وجود محدث له ، وهو الله سبحانه وتعالى ؟

---

(١) الشيخ محمد الأمير — حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد ص ٦٠ .

....

الجواب : أن الامام الباجورى أحد محققى الأشاعرة تحدث عن وجه الدلالة (١) الذى به يستدل على ضرورة اثبات وجود الله تعالى وبيّن أنه أحد وجوه أربعة هى :

(١) الامكان : كأن يقول المجيب لسائله عن وجه الدلالة : " هذه المخلوقات ممكنة ، وكل ممكن لابد له من موجد ، هذا إن اختار أن جهة الدلالة الامكان .

(٢) الوجود بعد عدم : لأن هذه " المخلوقات موجودة بعد عدم ، وكل موجود بعد عدم لابد له من موجد " (٢) .

(٣) الامكان على أن الوجود بعد عدم شرطه .

(٤) الامكان على أن الوجود بعد عدم شطره .

ومجملها هو القول بأن " هذه المخلوقات ممكنة حادثة ، وكل من كان كذلك لابد له من موجد ، فهذه المخلوقات لابد لها من موجد " (٣) .

---

(١) المقصود بوجه الدلالة ههنا ، يعنى الوجه أو الناحية التى يستدل على وجود الله تعالى بها .

(٢) الامام الشيخ / ابراهيم الباجورى - حاشية تحقيق المقام على كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام ص ١٦ ط الحلبى الأخيرة سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ .

وذهب أكثر مشايخ المعتزلة ، الى أن هذه المقدمة استدلالية ، واستدلوا عليها . *

اذن هذه المقدمة التى ذكرها الشيخ الايجى والباجورى ليست بدهية ، على النحو الذى سلف وانما هى استدلالية ، فالقول بأن العالم حادث ، لما مر ، وكل حادث فله محدث ، لاشك أنهما استدلالية لابد من اقامة الحجة عليها سواء بالنسبة للمقلد أو غيره .

* نعم . سلك المعتزلة مسلك الاستدلال على هذه المقدمة الثانية وكل حادث فله محدث ، وان لم يكن استدلالا لجمهورهم الا أنه استدلال لأكثر مشايخهم الذين يعتد بهم ، ولو كانت بدهية لما احتاجت الى استدلال عليها لاعند العوام ، ولا عند العلماء ، وقد اتخذ استدلال المعتزلة عليها نمطين من أنماط البحث العلمى هما :

(١) الأفعال الانسانية :

ومجمل هذه الناحية أن كل امرء منا يشاهد فى نفسه أن أفعاله لم تكن ثم كانت ، وبالتالى فهى محدثة ومحتاجة الى الفاعل الذى يحدثها ، وهذه مسألة تقع من الناس جميعا موقع القبول والاستدلال عليها طالما كانوا مميزين ، فكذلك الجواهر المنبثة فى الكون مثلة له كله ، فهى كذلك محدثة ، وبالتالى فالعالم كله محدث ، لأن علة الاحتياج بين أفعالنا التى لم تكن ثم كانت ، والعالم العنصرى الذى لم تكن أجزاؤه موجودة ثم وجدت هى الاحتياج للفاعل ، وهى علة مشتركة بين الجواهر التى يتكون منها العالم ، وبين الأفعال الانسانية فثبت أنها جميعا محتاجة .

: تارة بأن أفعالنا محدثة ومحتاجة الى الفاعل لحدوثها ، فكذا الجواهر المحدثة لأن علة الاحتياج مشتركة .
وأخرى : بأن الحادث قد اتصف بالوجود بعد العدم ، فهو قابل لهما ، فيكون ممكنا ، وكل ممكن يحتاج في ترجيح وجوده على عدمه الى مؤثر كما سلف في الأمور العامة. *

الثاني : الاستدلال بامكانها ، وهو أن العالم الجوهري ممكن ، لأنه مركب من الجواهر *

---

* (٢) اتصاف الحادث بالوجود بعد العدم :
لاشك أن الحادث الذي كان لم يكن موجودا ، ثم اتصف بالوجود بعد العدم ، فهو - الحادث - قابل لهما - للوجود والعدم - فيكون ممكنا ، وكل ممكن يحتاج في ترجيح وجوده على عدمه الى مؤثر يخرجه من العدم الى الوجود .

* اذن انتهى بيان الوجه الأول من الوجوه الأربعة ، التي يستدل بها المتكلمون على اثبات وجود الله تبارك وتعالى ، ويعنون به الاستدلال بحدوث الجواهر ، وقد بان لك الموثقان من المقدمة الثانية ، وانتهى الأمر الى أن الامام الايجي والجرجاني يعتبرانها بدهية ، على حين يراها أكثر شيوخ المعتزلة استدلالية .

* شرع الامامان في عرض الوجه الثاني ، وهو الاستدلال بامكان الجواهر - بعد أن فرغ من الاستدلال بحدوثها - فبيّن أن العالم الجوهري المركب من الجواهر ممكن ، لأنه يتساوى فيه الوجود والعدم لكن من ناحية أخرى هو ممكن لأنه مركب من جواهر ثم شرع في ذكر

....

أنواع الجواهر على النحو التالى :

(١) الجواهر الفردة : هى التى يتركب منها الجسم ، وكان عبارة الشيخ : أن العالم الجوهرى ان كان جسما فهو مركب من جواهر فردة ، تكون هى اللبنات التى يتركب منها . باعتبار أنها المواد الأولية فى تكوينه .

(٢) الجواهر المركبة : وهى التى تمثل الجسم ككل . حيث أن الجسم يتركب عادة وتشمله جواهر مركبة ليست متفرقة ولافردة ، وكان عبارة الشيخ أن العالم الجوهرى ان كان جسما أو جوهرا فردا فهو مركب من كثير ، وليس من جواهر فردة على ماذكر فى الناحية الأولى .

وطبقا لهذا المفهوم فالعالم العنصرى كله ممكن محتاج لعلة مؤثرة تجمع تلك الأجزاء وتركب فيما بينها حتى تخرج بها من العدم الى الوجود ، ولايكون ذلك لعلة ممكنة والا عاد الأمر الى نفس العلة الممكنة حتى ينتهى حتما الى علة مؤثرة وهى واجب الوجود لذاته وهو الله رب العالمين .

الفردة ان كان جسما ، وكثير ان كان جسما ، أو جوهرا فردا ، والواجب لاتركيب فيه ولاكثرة ، بل هو واحد حقيقى ، وكل ممكن ، فله علة مؤثرة" *

---

* أراد الشيخ اثبات أن العالم مركب ، وليس واحدا ، ومن ثم لايصلح علة مؤثرة لايجاد نفسه من العدم الى الوجود وأبطل كون واجب الوجود مركبا ، ثم ذكر أن واجب الوجود "(١) وهو الله سبحانه وتعالى لاتركيب فيه ولاكثرة ، لأن المركب المتكثر هو العالم الجوهرى على مامر ذكره ، أما الواحد الأحد فهو واحد حقيقى .

وهناك فرق بين الواحد الحقيقى ، وبين الواحد الاضافى :

الواحد الاضافى هو : واحد بالعد ، وان اشترك مع غيره فى سائر صفاته ، وليس واحدا على الحقيقة ، انه متعدد فى أجزائه ، فى ذاته ، فى صفاته ، فى أفعاله ، وفيه واحدية وليس وحدانية .

الواحد الحقيقى : فهو الله سبحانه وتعالى المتصف بالواحدانية فى الذات ، وفى الصفات ، وفى الأفعال ، فمعنى كون " الله تعالى واحدا فى ذاته ، أن ذاته تعالى ليست مركبة من أجزاء ، والتركيب يسمى كمّا متصلا ، ومعنى أنه ليس ذات فى الوجود ، ولافى الامكان

---

(١) واجب الوجود اصطلاح فلسفى دخل المؤلفات الكلامية بعد أن اختلطت المباحث الكلامية بالنظريات الفلسفية واستخدم المتكلمون مصطلحات الفلاسفة والمناطقة وألفاظهم .

....

تشبه ذاته تعالى ، وهذه المشابهة المستحيلة تسمى كمًّا منفصلا ، فالوحدانية فى الذات نفى الكمين المتصل فى الذات والمنفصل فيها " (١)

اذن انتهى الشيخ الى أن الواحد الحقيقى هو الواجب الوجود المستغنى عن الكل ، وأنه لاتركيب فيه ، ولاكثرة تلحقه ، بل هو منفرد فى كل شئ ، وكل ما فى الوجود غيره مفتقر اليه ، باعتبار أن ما سواه جل علاه ممكن ، وراجع الى الله تعالى باعتباره سبحانه وتعالى العلة المؤثرة فى وجود الكل ، واخراجهم من العدم - باعتبارهم ممكنات - الى الوجود ، ومن ثم أثبت الشيخ ضرورة اثبات واجب الوجود ، الخالق البارى جل علاه من ناحية امكان الجواهر كلها ، واحتياجها الى علة مؤثرة هى الله رب العالمين .

بيد أنى لاأجد فى صدرى رغبة على موافقة الشيخين فى تسمية الله سبحانه وتعالى علة مؤثرة ، لما سبق التنويه اليه ، وهو أنى أحب اطلاق الأسماء الحسنى ، والصفات العظمى على الله سبحانه وتعالى باعتبارها نقلا يجب اتباعه ، وكان الأولى التخلص من لفظ العلة ، ويقال كل ممكن محتاج فى وجوده الى خالقه وهو الله رب العالمين .

---

(١) الشيخ محمد بن الشافعى الفضالى - كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام هامش حاشية تحقيق المقام ص ٤١ .

الثالث : الاستدلال بحدوث الأعراض :

اما فى الأنفس ، مثل ما نشاهد من انقلاب النطفة علقة ، ثم مضغة ، ثم لحما ودما ، اذ لابد لهذه الأحوال الطارئة على النطفة من مؤثر صانع حكيم ، لأن حدوث هذه الأطوار لامن فاعل محال ، وكذا صدورها عن مؤثر لاشعور له ، لأنها أفعال عجز العقلاء عن ادراك الحكم المودعة فيها " *

---

* هذا هو الوجه الثالث . وقد خصه الشيخ باسم حدوث الأعراض وقسمه الى قسمين :

أ ـ ما يتعلق بالأنفس :

وهو كثير جدا ، فمثلا النطفة يضعها الذكر فى رحم أنثاه ، فاذا بها تتحول فيما بعد الى علقة حتى تمكث فترة ، ثم تنقلب العلقة مضغة ثم تتحول هذه المضغة الى لحم وعصب وعظم ودم ، وهى أحوال غير ثابتة فى النطفة ، وانما هى طارئة عليها ، ولايعقل أن تكون هذه الأحوال كامنة فى النطفة ذاتها ، وأنها التى تتحول من حال الى حال ، من غير أن يكون لها مؤثر حكيم ، ينقلها من حال الى حال حسب احتياجها حتى تبلغ الاكتمال ، وبالتالى فلابد لهذه النطفة من فاعل مؤثر له بها علم وحكمة ، وهو الله رب العالمين .

وقد سبقت الاشارة الى أن هذا الدليل قد أشار اليه الامام الأشعرى ، وذكرته عنده ، على أنه دليل كونى قرآنى ، وليس دليلا يقوم على حدوث الأعراض ، كما هو الشأن ههنا ، ودليلى قائم على ماسبق

....

أن أشرت اليه فليرجع اليه من شاء (١) .

يقول البروفيسور الكندى كيث ل . مور - وهو من أشهر علماء العالم فى علم الأجنة ، ورئيس قسم التشريح والأجنة بجامعة تورنتو بكندا ورئيس الاتحاد الكندى الأمريكى لعلماء الأجنة - أن الجنين عندما يبدأ فى النمو فى بطن أمه يكون شكله يشبه العلقة أو الدودة ... وعرض صورة بالأشعة لبداية خلق الجنين ، ومعها صورة للعلقة ، فظهر التشابه واضحا بين الأثنين ، ولما قيل له أن العلقة عند العرب معناها الدم المتجمد ... ذهل . وقال : ان ماذكر فى القرآن ليس وصفا دقيقا فقط لشكل الجنين الخارجى ، ولكنه وصف دقيق لتكوينه ذلك أنه فى مرحلة العلقة تكون الدماء محبوسة فى العروق الدقيقة فى شكل الدم المتجمد" (٢)

اذن هذا الدليل القائم على تبدل أحوال النطفة ، وتغير أوصافها انما يمثل دليلا قويا على احتياج الأعراض الى كل تقوم به ، وهو الجواهر كما أن تطورها لايكون من نفسها لأنها محتاجة ، كما أنها لايمكن أن تأتى من مؤثر لاشعور له بها ، بل لابد من عاقل عالم بالحكم التى أودعها نفسه فيها ، ولايكون ذلك المؤثر الفاعل العالم الا الله جل علاه .

(١) لمزيد بيان يمكن الرجوع الى دليل الامام الأشعرى فيما سلف من صفحات .

(٢) فضيلة الاستاذ الشيخ / محمد متولى الشعراوى - الأدلة المادية على وجود الله ص ١١٨ ، ١١٩ ط ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

وهناك من يميل الى أن النطفة تتطور بنفسها ، بناء على خاصية مودعة فيها ولسنا معهم ، لأنها غير عاقلة فكيف تطور نفسها حتى يصير لها أذنان ، وعينان ، وعقل وسائر الجوارح ، وقد وجدت فاقدة لها جميعا ؟! وفاقد الشيء لا يعطيه .

كما أن مسألة علاقة الأسباب بالمسببات دار حولها القول : حتى قال أحد العلماء : أعلم أن العقلاء على أربعة أقسام :

الأول : " من اعتقد أن الأسباب العادية تؤثر فى مسبباتها بطبعها وذاتها ، والتلازم بينهما عقلى ، وهذا كافر اجماعا " .

الثانى : " من اعتقد أن الأسباب العادية تؤثر فى مسبباتها بقوة أودعها الله فيها ، والتلازم بينهما عادى وهذا فى كفره قولان والصحيح عدم كفره ، ومن هذا يعلم أن الصحيح عدم كفر المعتزلة لأنهم يقولون أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقوة أودعها الله فيه ، وهى القدرة الحادثة التى خلقها فيه " .

الثالث : " ومنهم من يعتقد أن المؤثر فى المسببات العادية كالاحراق والرى والشبع هو الله وحده ، الا أنه يعتقد أن الملازمة بين الأسباب والمسببات عقلية لا يمكن تخلفها ، فمتى وجدت النار وجد الاحراق ، ومتى وجد الأكل وجد الشبع ، وهذا غير كافر اجماعا ، الا أن هذا الاعتقاد جهل ، وربما جره ذلك الجهل الى الكفر ، لأنه يلزمه انكار ما خالف العادة ، فربما أنكر البعث واحياء الموتى فيكفر ، وذلك لأن العادة أن الميت

....

اذا مات يوضع فى القبر ولا يحيا بعد ذلك ، فربما اعتقد أنه لايمكن تخلف ذلك فينكر البعث ، واحياء الموتى فيكفر ....

الرابع : " ومنهم من يعتقد أن المؤثر فى المسببات العادية هو الله وحده ، وأن الملازمة والمقارنة بين الأسباب والمسببات عادى يمكن تخلفه ، بأن يوجد السبب دون المسبب ، وهذا الاعتقاد هو المنجى عند الله ، وهو اعتقاد أهل السنة " (١)

وقد نقلت اليك هذا الكلام لنفاسته فأحرص عليه ، هدانى الله واياك ، ووفقنى ورعانى ورعاك ، وأبعدنى وأنت عن الضلال ، ونجانى ونجاك ، انه سبحانه يعلم سرى ونجواى ونجواك .

---

(١) الامام محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقى - حاشية على شرح أم البراهين ص ٤٠ ، ٤١ ط الحلبى الأخيرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م - ٢٢١ .

وأما فى الآفاق : كما نشاهد من أحوال الأفلاك ، والعناصر والحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والاستقصاء مذكور فى الكتاب ..... المجيد ، ومشروح فى التفاسير" *

---

* تحدث الشيخ عن جانب واحد من وجه الاستدلال بحدوث الأعراض ، وكان هذا الوجه هو تأمل مافى الأنفس من تطور ومراقبة مايرد عليها من أحوال ، حتى انتهى الى استحالة تطورها من نفسها ، واستحالة استنادها الى مؤثر غير عالم لها ، واستحالة كون هذا المؤثر غير متصف بصفات الكمال والجلال ، والتأثير التام .

ب ـ ما يتعلق بالآفاق :

لعل الشيخ قصد بالآفاق ههنا قمم هذه المخلوقات باعتبارها أجناسا تحتها أفرادها ، أو باعتبار تقلباتها وتبدل أحوالها " والآفاق جمع أفق ، والمراد آفاق أقطار السماوات والأرض" (١) وقد جاء ذلك فى القرآن الكريم ، قال تعالى " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " (٢)

مما لاشك فيه أن الآفاق متعددة فهناك :

(١) الآفاق الكونية ـ الأفلاك ـ .

أ ـ الشمس . ب ـ القمر جـ ـ الكواكب

د ـ الجاذبية العامة .

---

(١) الدكتور / محمد محمود حجازى ـ التفسير الواضح جـ ٢٥ ص ٦

(٢) سورة فصلت الآية رقم ٥٣

....

(٢) الآفاق الفضائية :

أ ـ الغلاف الجوى .

ب ـ الحرارة .

جـ ـ البرودة .

د ـ الجاذبية الخاصة ، جاذبية القمر ، جاذبية الأرض .

هـ ـ طبقة الأوزون .

و ـ أطراف الفضاء من أعلى وأسفل .

(٣) الأفلاك العلوية :

أ ـ الأجرام السماوية .

ب ـ السدم .

جـ ـ المجرات .

د ـ الشهب والنيازك .

هـ ـ الأطباق الطائرة .

بل ان الآفاق فى كل ما مو يمكن البحث فيها فنرجم بأقسام أكثر من سابقتها بكثير ، وآية ذلك أن الله تعالى سماها الآفاق دون أن يقيدها بأجناس أو أنواع ، وانما ذكرها هكذا حتى يتهيأ للعقل التأمل ، ويدفعه لمزيد بحث وتركيز مع تأمل واندفاع نحو هذه الآفاق عله يبلغ منها مبلغا ، أو يصل بها الى غاية ، وأنّى له .

....

وكذلك آفاق العناصر فهى مختلفة ومتباعدة وفيها من الكثرة ما لا يجدى مع مجهود دارس وحده ، وانما لابد من مشاركة الكثير من الجهود وبذل المزيد من المجهودات مع تعاونها جميعا على هدف واحد وغاية واحدة .

بل ان آفاق الحيوان متعددة فى أنماطه السلوكية بين العدوانى والمستأنس ، والأهلى والمتوحش ، وساكن الغابة ، وطريد الصحارى وقابع فى أعماق المياه ، وبين آكل لحم الحيوان ، أو آكل النبات ، أو غيرها مما يطول ذكره ، وتتحدث عنه كتب الحيوان التى يدرس من جانبها التشريحى طلاب الطب البيطرى ، وخلافه يقوم به خلافهم .

وكذلك النبات والمعادن ، بل والجبال ، وقشرة الأرض والطفو والجاذبية ، وغيرها مما يمثل آفاقا برأسها مستقلة عن غيرها ، فما بالك بآفاق المياه العذبة ، والأخرى المالحة ، بل ما بالك بكثرة المالحة فى البحار والمحيطات وقلتها فى العذبة حيث الأمطار والجداول الرقراقة والأنهار وبعض العيون والآبار ، انها جميعا آفاق متنوعة ، الا أن هذه الآفاق المعتبر فيها هو أعراضها البادية فيها وكونها حادثة ، لأنها متغيرة ، فمن تغيرها بان حدوثها ، ومن حدوثها احتاجت الى محدث لها ، ولا يمكن أن تحدث نفسها ، والا لزم من المحالات العقلية ما يلى :

....

أ - يلزم قيام العرض بنفسه ، وهو محال عقلي .

ب - يلزم سبقه على نفسه باعتباره الفاعل المحرك ، ويلزم تأخره عن نفسه باعتباره المفعول المحرَّك ، فيقع فيه الأمران ، كونه فاعلا مفعولا في آن واحد ، وهو محال عقلي . من ثم نبه الشيخان - الايجي والجرجاني - الى أهمية هذا الوجه الثالث وهو الاستدلال بحدوث الأعراض ، لأنه يمثل عمدة في اثبات الحدوث للأعراض حتى ينسحب الحكم بالحدوث على الجواهر ، وهو الذي دافع عنه الأشاعرة ، وهاجمه القنصاري على ما سلف بيانه .

الرابع . الاستدلال بامكان الأعراض مقيسة الى محالها ، كما استدل به موسى عليه السلام ، حيث قال : "رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ " أى أعطى صورته الخاصة ، وشكله المعين المطابق للحكمة ، والمنفعة المنوطة به . *

---

* هاهو الوجه الرابع ، من الوجوه التى عقدها الشيخ الايجى وشارحه ، قد أقبل متهللا ، يحمل الاستدلال بامكان الأعراض مقيسة الى محالها ، وهذا القيد الذى هو مقيسة الى محالها ، مما جرى عليه التأليف فى مثل هذه المسألة لأن العَرَض سبق أن فُصل عن الجوهر فى الذهن ، وبالتالى فان اثبات امكانه فى نفسه من حيث أنه محتاج الى جوهر يلحق به أكثر بيانا من اثبات امكانه فى محله .

وربما يقال كيف يكون أكثر بيانا فى امكانه فى نفسه ، من امكانه مقيسا الى محله ؟ والجواب من وجوه :

الأول : مفهوم العَرَض ، أليس هو الذى لايقوم بنفسه ؟ نعم هو الذى لايقوم بنفسه ، ومن ثم فانه فى نفسه محتاج الى من يكسبه صفة الالتحاق بالغير الذى يقوم به .

الثانى : أليس العرض مما يقع فى فصله عن الذوات التنازع ؟ نعم . وقع فى فصله عن الذوات التنازع ، ومن ثم فانه الذى يمكن فهمه من كنه حقيقة العرض فى نفسه وامكانه بذاته .

الثالث : المعلوم أن العرض له شكل معين ، ووصف معين ، ومنافع تناط به ، سواء كان فى محل أو فى نفسه ، بل انه فى نفسه

....

أكثر احتياجا منه لو كان في محل يقوم به ٠

والشيخ ركز على إمكان الأعراض مقيسة الى محالها ، باعتبار أن المحل هو الذى يكسب العرض وصفا يمكنه التعبير به ـ الوصف عنه ـ العرض ـ تكون العرض في صورة خاصة ، أو شكل معين ، على أن يكون ذلك كله في حدود أمرين :

الأول : مطابقة العرض في محله الحكمة من وجوده ٠

الثانى : تحقق المنفعة المنوطة به ٠

وعلى هذا جرى الشيخان ـ المؤلف والشارح ـ فاذا ثبت أن الأعراض فيها نوع تخصيص بحيث تؤدى هذه منفعة ، وتلك منفعة أخرى ، أو هذه تهدى الى حكمة ، وتلك تهدى الى منفعة أخرى ، أمكن القول بأن كافة الأعراض ممكنة ، من حيث أنها تتبدل عليها المنافع ، وتجرى عليها الحكمة ٠

وقد أقتبس الشيخ من النقل القرآني في قوله تعالى " قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى ٠ قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى " (١) ، والبادى أن السؤال الوارد على سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ، هو السؤال عن رب موسى وهارون ، ورب بنى اسرائيل ، فأجابه كليم الله ، بأنه الذى أعطى كل مخلوق ما أعطاه من خلقه ، وترتب منفعة ، مع مطابقة ما فيه من خلقه لما ترتب عليه من منفعة ولا يفعل ذلك الا الله رب العالمين ، فثبت ضرورة الايمان بوجود الله تعالى ٠

(١) سورة طه الايتان ٤٩، ٥٠ ٠

وهو أن الأجسام متماثلة متفقة الحقيقة ، لتركبها من الجواهر المتجانسة ، على ما عرفت . فاختصاص كل من الأجسام بما له من الصفات جائز ، فلابد فى التخصيص من مخصص له . *

---

* أراد الشيخان التفرقة بين مفهومين كل منهما يثبت به امكان الأعراض ، وهما :

الأمر الأول : تماثل الأجسام فى حقيقتها .
الأمر الثانى : تخالفها بما يخص كلا منها .

أما الأول : وهو تماثلها - الأجسام - فهذا قائم على اعتبار أن كافة الأجسام مركبة من جواهر متجانسة فى التركيب ، لما سبق قوله من أن العالم الجوهرى مركب من جواهر فردة باعتباره جسما ، وكل جسم مركب من هذه الجواهر ، وبالتالى يقع التماثل بين كافة هذه الأجسام .

أما الثانى : وهو تخالفها بما يخص كلا منها فبيّن من أن كل جسم له صفات معينة ، من الطول والعرض والعمق ، والألوان والأحجام والأشكال ، بل انك عند حسابه عدّا لاتستطيع القول بأن الأول هو الأول الى مالا نهاية ، وانما تقول على أحدهما هذا رقم ١ ، ثم على الثانى رقم ٢ ، وهلم جرا ، اذن وقع التخالف والتمايز بينها جميعا .

فمع انها مشتركة فى الجسمية ، الا أنها مختلفة فى الأوصاف ، وبالتالى نقول ، ان اختصاص كل جسم منها بماله من الصفات امر وارد ، ومن ثمّ يحتاج كل جسم الى مخصص يعطى هذا الجسم صفاته ، ويعطى الثانى صفاته وهذا المخصص لايمكن أن يكون الجسم نفسه ، وانما لابد من مخصص ، هذا المخصص هو الله سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته .

....

فمثلا السماوات باعتبارها أجساما ، فان كل واحدة منها تختلف عن الأخرى في الأوصاف ، وان اشتركت في الجسمية ، فهذه الاولى وتلك الثانية ... الخ ، وكذلك الأرضون السبع مشتركة في الجسمية ومع هذا تخالف كل واحدة الأخريات بما لها من الصفات التي لاتنطبق الا عليها ، وهذا التخالف هو التخصيص ، ولايكون من ذاتها ، انما لابد من مخصص له من صفات الجلال والكمال مالاينطبق على أحد سواه .

بل ان النبات أجسام ومع هذا فالنخل يخالف التوت ، والعنب يخالف اللوف ، والبرتقال غير التفاح ، وكلها يقع الاشتراك بينها في الجسمية ، لأنها جميعا أجسام ، ولكن كل منها له صفات مميزة من لون وحجم وخلافه ، وطبقا لهذا فان هذه الصفات المميزة لايمكن أن تكون من ذات الأجسام ، وانما من مخصص له القدرة التامة العاملة الشاملة ، وله مطلق الارادة المخصصة ، وله العلم المحيط الكاشف ، ولايكون ذلك الا الله اللطيف الخبير ، فثبت ضرورة وجود الله سبحانه وتعالى .

ثم بعد هذه الوجوه الأربعة نقول : مدبر العالم . ان كـــان واجب الوجود ، فهو المطلوب ، والا كان ممكنا . فله مؤثر ويعـــود الكلام فيه ، ويلزم اما الدور او التسلسل ، واما الانتهاء الى مؤثـــر واجب الوجود لذاته. *

---

* بعد أن عرض الشيخ الوجوه الأربعة التى أشار اليها فى صـــور المسلك الأول ، حاول بلورة المسألة عنده سالكا دليل الامكان ، فقـال: مدبر العالم ان كان واجب الوجود ، فهو المطلوب اثباته ، وينتهـــى الأمر الى اثبات وجود الله تعالى على ما هو موضوع هذا القصد ، ويتـم المراد ، وإن لم يكن مدبر العالم -فرضا- واجب الوجود ، فلاشـــك أنه سيكون ممكنا ، ويحتاج الى مؤثر ، ثم يقال نفس القول على المؤثـــر وهكذا حتى يقف الأمر عند حد اثبات واجب الوجود ، لأن المعـــروف أن " كل من وجب افتقار العالم اليه لايكون وجوده الا واجبا " (١) .

كما تحدث عن كل من الدور والتسلسل حيث يتم الانتهاء الـــى ابطال الدور ، وابطال التسلسل ، واثبات واجب الوجود لذاته ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وهو المطلوب ويحسن بنا أن نقدم تعريف الدور والتسلسل والأنواع التى ترجع اليها .

---

(١) الشيخ عبد السلام اللقانى - اتحاف المريد على جوهرة التوحيـد ص ٥٩ ط الحلبى .

الفصل الثالث

((موقف العلماء من الدور والتسلسل))

أولا : الدور

أ - تعريفه : الدور هو دوران الشيء حول نفسه ، ورجوعه لمبدئه كما يعرف بأنه : " توقف الشيء على ما يتوقف عليه " (١) .

ب - أنواعه :

١ - الدور المصرح هو توقف الشيء على ما توقف عليه بمرتبة واحدة ومثاله محمد أوجد خالدا ، وخالدا أوجد محمدا ، فالتقدم والتأخر هنا بمرتبة واحدة ، والمراد بها الواسطة وهو خالد .

٢ - الدور المضمر ، هو توقف الشيء على ما توقف عليه بمراتب .

٣ - الدور المعي : وهو توقف كل على صاحبه الآخر ، وهو موجود بين كل متلازمين . (٢)

٤ - الدور السبقي : وهو توقف الشيء على نفسه ، حتى يكون الشيء سابقا ولاسابقا ، ومتأخرا ولا متأخرا ، ومؤثرا ولا مؤثرا وأثرا ولا أثرا ، وأنه هو ، وأنه ليس هو ، وهذا الدور مستحيل ضرورة .

والدور بأنواعه باطل متى روعي فيه أمر نتائجه ، وكان الدور محصورا اللهم الا الدور المعي فانه يقبل لأنه لايترتب عليه انكار بدهيات ، أو طعن في ضروريات ، فلا استحالة فيه ، اذ أنه قائم على اتحاد السبب المقتضي لهما معا - أطراف الدور المعي - ، ولكن لاتوقف على الحقيقة

(١) الشريف الجرجاني التعريفات مادة دور ص ٩٤ .

(٢) هناك فرق بين " الدور وتعريف الشيء بنفسه ، هو أن الدور يلزم تقدمه عليها بمرتبتين ان كان صريحا وفي تعريف الشيء بنفسه يلزم تقدمه على نفسه بمرتبة واحدة المصدر السابق ص ٩٤ .

....

بينهما إنما هو كالتعريف الاضافى الاعتبارى تماما (١) .

وقد لفت الشيخ الأمير فى حاشيته الأنظار الى وجه يبطل به الدور كلية ، هو: " أن مجموع ما فى الدور حادث ، ضرورة حدوث كل جزء ، فلابد للمجموع من مؤثر ، فإما نفسه وهو هذيان ، أو بعضه فالشيء لايكون علة لنفسه وغيره ، فتعين أنه خارج عنه ، فليكن هو المؤثر فى كل جزء ، وانتقض الفرض فليتأمل " (٢) .

والشيخ الأمير قرر بطلان الدور بناء على كون الفاعل أحدث فعلا ، ثم صار الفعل المحدث فاعلا ، ولاشك أن هذا حادث ضرورة أنه لم يكن ثم كان ، واذا ثبت هذا على أفراد الدور فقد ثبت كذلك على مجموعه ، ومايصدق على الجزء ينسحب حتما الى سائر أفراده ، لوجود المماثلة فى كل منها .

لكن ربما يقال : ان هذا الابطال قائم على مجرد الفرض وليس لواقع ، أهو الوجود الخارجي ؟ والجواب : أننا نبطل الدور أيضا بالفرض ، فكما أثبتوه فرضا ، فانا نبطله على هذه الناحية ، بصرف النظر عن وجوده فى الواقع الخارجي من عدمه ، هذه ناحية .

---

(١) الشيخ محمد الأمير — حاشية محمد الأمير ص ٦٠ بتصرف .

(٢) الشيخ محمد الأمير — حاشية الأمير ص ٦٠

....

وناحية ثانية هي أن الموجودات أنواع ثلاثة :

النوع الأول : موجود في الذهن ، أي ثابت ومتحقق فيه .

وذلك كوجود الباري جل علاه ، " وصفاته الوجودية ، وفي ذواتنا وصفاتنا كذلك ، فانها من حيث استحضارها في الذهن يقال لها موجودة ، أي ثابتة فيه " (١) .

النوع الثاني : موجود في نفس الأمر : أي موجود بقطع النظر عن اعتبار آخر .

وذلك كالذات الباري من حيث هي على الكنه والحقيقة : فانها موجودة في نفس الأمر ، وكذلك الأشياء الموجودة تحت الأرضين أو فوق السماوات التي لم تخطر بذهن أحد ، فانها موجودة في نفس الأمر أي في نفسها لا في الذهن لعدم خطورها فيه " (٢) ومع هذا فهي لاتحتاج الى وسيط يمثل اعتبارا حتى يمكن التعرف عليها .

النوع الثالث : موجود في الخارج : أي خارج الأعيان بحيث تمكن رؤيته لو أزيل الحجاب ، وذلك كاللوح والكرسي والعرش والقلم ، لأن كل موجود في الخارج موجود في نفس الأمر ، وليس كل موجود في نفس الأمر موجودا في خارج الأعيان ، ومن المقرر أن " الوجود في خارج الأذهان هو الوجود في نفس الأمر " (٣) باعتبار أن الوجود في نفس الأمر أعم من الوجود في الخارج .

---

(١) الشيخ عبدالله بن حجازي الشرقاوي . حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي ص ٣١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣١ (٣) المصدر نفسه ص ٣١ .

....

اذا تحقق هذا فلا شك أن الدور قائم على أحد هذه الأنواع من الوجود ، فابطال ذلك على هذا النحو الذى ورد به ، حتى لو جاء الفرض فى الطريق كمعبر أو جسر فالمنازلة قائمة ، والمنازعة مستمرة ، وابطال الدور بأنواعه أمر قائم ، بل أن الاقرار به مستحيل .

ثانيا : تعريف التسلسل :

التسلسل هو : " ترتب أمور غير متناهية[1] ، فكل دور تسلسل فى المعنى "

كما يعرّف بأنه : " توالى عروض العلية والمعلولية ، لا الى نهاية بأن يكون كل ما هو معروض للعلية معروضا للمعلولية ، ولا ينتهى الى ماتعرض له العلية دون المعلولية فان كانت المعروضات متناهية فهو الدور بمرتبة ، ان كانا اثنين ومراتب ان كانا فوق الأثنين ، والا فهو التسلسل " (٢) .

٢ — أنواع التسلسل :

(١) تسلسل الحوادث : وهو تسلسل العلل والمعلولات ، فكل علة لها معلول ، وكل معلول لابد له من علة ، وكلها حوادث مستندة الى بعضها ، استناد المعلول للعلة ، والفرع للأصل .

---

(١) التعريفات ص ٤٨

(٢) الشيخ محمد الأمير — حاشية الأمير ص ٦٠

....

---

(٢) تسلسل الأعداد : وهو يقوم على أن الأعداد تتسلسل الى مالانهاية له ، وربما استخدموا اصطلاح اللانهائى فى الأرقام الحسابية تيسيرا للوصول الى أعداد الكائنات فى الكون كله ، بحيث يكون مفهوم العدد هو التسلسل الى مالانهاية له ، ومنه تسلسل السنوات والزمان .

(٣) تسلسل الممكنات : ومعناه أن كل ممكن سبقه ممكن آخر ، ولحقه ممكن بعده ، وتظل هذه الممكنات متسلسلة كالنطفة التى يأتى بعدها الحيوان الناشئ عنها ، وتسلسل النبات من بذوره ، وأنهار المياه من قطرات المطر الى آخره فانها جميعا ممكنات متسلسلة الى مالانهاية له سواء فى الماضى ، أو فى المستقبل على ما يزعمون .

(٤) تسلسل الاعتبارات : وهو يقوم على وجود هيئة مجتمعة وجودا ، اعتباريا لازيادة له فى الخارج على وجودات الآحاد ، المنشئة فيه .

وكل هذه الأنواع من التسلسل ، سواء التى ذكرت أم التى لم تذكر قد تناولها علماء الاسلام وأثبتوا بطلانها بطريق أو آخر حتى ينتهى الأمر الى اثبات موجود واحد هو الذى ترجع اليه الموجودات كلها ضرورة ، وهو الله سبحانه وتعالى . ويحسن بنا أن نذكر بعض جهودهم فى ابطال التسلسل بكافة أنواعه .

....

ب - جهود العلماء في ابطال التسلسل :

ذكر العلماء لابطال التسلسل وجوها عديدة ذكرت في المطولات والشروح والحواشي ، وها نحن نحاول تقديم جانب منها حسب ماتسمح به الظروف ، ومن هذه الوجوه التي ذكروها لابطال التسلسل مايلى :

الوجه الأول : بطلان التسلسل بحدوث أجزائه :

وهذا الوجه قائم على أن كل أفراد التسلسل حادثة فى أفرادها وحادثة فى جملتها ، والمعلوم أن الشئ لايكون علة لنفسه وغيره ، فتعين أنه خارج عنه ، فليكن هو المؤثر فى كل جزء من أجزائه ، كما أن المجموع يشعر بالتناهى ، وفيه اجتماع العلة مع المعلول فى الشئ الواحد ، وهو مخالف لبدهيات العقول .

فان قالوا " المجموع حادث مستند لفرد من سلسلة أخرى لانهاية لها ومجموع الثانية مستند لفرد من ثالثة لانهاية لها وكذا " (١) ولكن الرد عليهم سهل يسير اذ يمكن القول بأن السلسلة الثالثة حكمها حكم ما سبق من السلسلتين الأولى والثانية اما أن تكون حادثة بحدوث أفرادها ، أو حادثة بحدوث المجموع ، وينتهى القول الى اثبات الحدوث لكافة الأجزاء ، ومن ثم يتعين احتياجها الى البارى جل علاه .

الوجه الثاني : بطلان التسلسل بالقطع والتطبيق :

" وهو عمدتها وأشهرها بأن نفرض السلسلة من الآن لما لانهاية له فى الأزل ، ونقطع أخرى من الطوفان مثلا لما لا أول له ، ونطبق أول

---

(١) الشيخ محمد الأمير - حاشية الأمير ص ٦١

....

الأخرى ، وترسلهما هكذا الى الأزل ، فاما أن يتساويا فيلزم مساواة الزائد للناقص ، أو يتفاوتا فليس الا بقدر من الطوفان الى الآن ، والتفاوت بالمتناهي يستلزم تناهيهما " (١)

المثال بالرسم التوضيحي :

السلسلة الأولى ←— من الآن - الى مالانهاية له في جانب الماضي .

السلسلة الثانية ←— من الطوفان الى مالانهاية له في جانب الماضي .

اذن التي من الطوفان قطعت عند الطوفان ، فتوقفت عندها سلسلة الحوادث فرضا ، وهو معنى القطع .

أما الثانية فكانت أطول لأنها من الأزل الى الآن ، ومابين الطوفان والآن فترة زمانية بعيدة ، وتسلسل حوادث متعاقبة .

نأتي الى أمر التطبيق :

وهو أن نأتي بكل حلقة من الأولى مع كل حلقة من الثانية على سبيل التطبيق ، ومن ثم فيلزم أحد أمرين :

الأولى : تساويهما . الزائد بالناقص ، وهو محال .

الثاني : تفاوتهما - بأن تكون الطويلة طويلة ، والقصيرة قصيرة فيحدث تفاوت بقدر ما بين السلسلتين من حوادث هي من الطوفان الى الآن . (٢)

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٦١

(٢) المصدر نفسه ص ٦١ وفيه أخذ ورد يحتاج اليها المتخصصون حيث فيها فائدة كبيرة ليرجع اليها من شاء .

....

ثم نأتي لهذا القدر الذي تم التفاوت فيه فنراه محصورا بين الطوفان والآن ، ومادام محصورا فلاشك أنه متناه ، وحيث أنه جزء لواحدة منهما ، ومشترك بينهما ، وقد وقع فيه التناهي . من ثم فان كلا من السلسلتين يتناهى طبقا لهذا المعنى الوارد ، ويثبت ابطال التسلسل على هذا الوجه أيضا ، وحيث ثبت ابطال التسلسل فقد وجب اثبات وجود خالق للكل هو الله رب العالمين .

الوجه الثالث : ابطال التسلسل بتلازم العلية والمعلولية :

ومؤدى هذا الوجه هو أن هناك تلازما بين العلية والمعلولية هو تلازم التضايف ، كالأبوة والنبوة ، "بحيث لايتحقق أفراد من هذه الا وقد تحقق بقدرها أفراد من هذه ، ألاترى متى تحقق عشر أبوات فلابد من تحقق عشر بنوات معها ، وان كان الابن الأخير يوصف بالبنوة ، لا الأبوة ، فالجد الأعلى بعكسه ، فقد تكافأ ، وعلى تقدير سلسلة العلل المؤثرة غير متناهية يلزم تخلف هذا المجمع عليه عند العقلاء ، وذلك أن الأخير يوصف بالمعلولية دون العلية" (١) كما أن الأول الجد يوصف بالعلية دون المعلولية .

ومتى كانت علاقة التلازم بين العلية والمعلولية على هذا النحو قائمة أمكن القول : بأنها من أيسر الطرق لابطال القول بالتسلسل ، كما يمكن ابطاله على رأى الامام السعد بالقطع والتطبيق الذي سلف في

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢

....

الوجه الثانى ، وهو يقوم على تطبيق مبدأ سلسلة المعلولات ، وهى من الأخير على مبدأ سلسلة العليات، وهى لامحالة مما قبل الأخير فان تساويا بحيث يكون كل فرد من هذه بازاء فرد من هذه ، وهكذا ، لزم مساواة الزائد للناقص ، والا لزم عدم التلازم بينهما وكلاهما محال (١)

<u>الوجه الرابع</u> : ابطال التسلسل بالفارق بين الأخير من السلسلة وما قبله .

وهذا الوجه قائم على أساس ملاحظة أخر فرد من أفراد السلسلة وما قبله مباشرة ، فيظهر أن آخر حلقة فى السلسلة تضم الأخير من أفراد التسلسل ، وهذا الفرد الأخير متناه لأنه محصور من حيث هو آخر ، وبالتالى تكون المسألة فى التسلسل قد انقطعت .

يقول الشيخ الأمير : " الرابع أن ما بين الأخير وكل فرد من السلسلة متناه ضرورة حصره بحاصرين ، فوجب تناهى السلسلة فإنها لاتزيد على مجموع ذلك إلا المبدأ والغاية " (٢) .

<u>الوجه الخامس</u> : ابطال التسلسل بضرورة سبق العلة .

لأنه من القواعد وجود سبق العلة ، فلابد من فرد ليها ليس معلولا ، وإلا كانت العلة والمعلول سببين فى التعاقب" (٣) أما كيف

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ص٦٢ ولمزيد بيان الرجوع الى المواقف للامام العضد فى مبحث ابطال التسلسل الموقف الثانى المرصد الخامس فى العلة والمعلول المقصد الثامن فى التسلسل وكونه محالا وقد اكتفى بهذه الوجوه الأربعة .

(٣) المصدر السابق ص ٦٢

....

ذلك ، فلأن العلة يجب لها سبق معلولها حتى ينشأ عنها ، وبالتالي فلا من فرد لها يسبقها ، ولايكون معلولا لها ، وانما تكون هي علته ،وهي معلول ، فكيف لها أن تسبق نفسها وتتأخر ، كما أن السبق أمر اعتباري واثباته ابطال للتسلسل على مامر .

الوجه السادس : ابطال التسلسل بالضرورة العقلية :

وذلك أن السلسلة " اما أن تنقسم بمتساويين أو لا ، والا لارتفع النقيضان فتكون اما زوجا أو فردا ، وكل منهما متناه ضرورة حصره بين حاصرين ، فإن كل زوج أقل من الفرد بعده بواحد ، وأكثر منه قبلـه بواحد ، كالأربعة بعد الثلاثة وقبل الخمسة ، وكذا الفرد مع الـزوج كالثلاثة بين الأثنين والأربعة " (١) .

وهذا الوجه ملاحظ فيه انقسام أفراد السلسلة الى :

ا ـ متسـاويين ، كأن تقسم السلسلة نصفين متساوين فرضا ، وعلـى سبيل الحصر ، حتى لايرتفع النقيضان .

ب ـ غير متساويين . فمثلا يكون أحد النصفين منتهيا برقم فردى بينما الآخر منتهيا برقم زوجي ، أو العكس .

فاذا كان النصفان متساويين : بأن كانت نتائجهما واحدة فـردا أو زوجا ، أو كانا غير متساويين ، بأن كان أحدهما زوجا والثاني فردا

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢ .

....

ــ ولاشك أن التسلسل على هذا النحو باطل ، أما لماذا ؟ فلأننا لو فرضناه فردا فقد انحصر فى فرديته والمنحصر متناه ، ولو فرضناه زوجا ، فهو ايضا متناه ، لأن الزوج أقل من العدد الذى بعده بواحد فمثلا ٢ أقل من ٣ بواحد ، وأكثر مما قبله بواحد ، وهذه كلها منحصرة ،والمنحصر متناه · فثبت أن التسلسل باطل ·

الوجه السابع : ابطال التسلسل بتقسيم السلسلة :

ومؤدى هذا الدليل : ان " السلسلة محتوية على آحاد وألوف ، فإن كانت عدة آحادها مساوية لعدة جملها اذا قسمت الوفا لزم مساواة الآحاد للألوف ، وان تفاوتا فبقدر متناه ، اذ ليس الا بقدر ما يزيده الألف على الواحد ، والمتفاوت بالمتناهى متناه" (١) ·

فكأن هذا الوجه يراعى فيه مبدأ التقسيم النظرى بين آحاد السلسلة والافها ، بأن نجعل من ١ ــ ٩٩٩ قسما مستقلا ، ثم نجعل الافها كما جعلنا احادها قسما مستقلا كذلك ، وليكن مثلا ٩٩٩ الف اذن معنا قسمتان هما :

ا ــ ٩٩٩ واحد

ب ــ ٩٩٩ الف

فاذا قلنا ان القسمة ا ــ مساوية للقسمة ب ــ رغم أن (ا) كلها لاتساوى الا واحدا من (ب) التى هى جمل الآلاف ــ كان مساواة الآحاد

---

(١) حاشية الشيخ الأمير ص ٦٢

الموجودة بالقسمة (أ) مع الألوف الموجودة بالقسمة (ب) ، ولا يقول بهذا عاقل لأن الفرق كبير جدا ، واذا قلنا ان بينهما تفاوتا فلاشك أنه انحصر فى الآحاد الموجودة بالقسمة (أ) ومادام قد انحصر فلاشك أنه تناهى والمعروف ان المتفاوت بالقدر المتناهى يكون متناهيا . فثبت أن التسلسل باطل على هذا الوجه أيضا (١) .

وهذا الوجه والذى قبله سلف تناول بعض مواد هما فى الوجوه السابقة عليهما فليتأمل . ونعد بالرجوع اليها وتوضيحها ان شاء الله رب العالمين .

الوجه الثامن : الاضطراد والانقطاع :

ومجمل هذا الوجه قائم على أن كل فرد فى التسلسل لابد أن يحكم " بأنه فرغ قبله غيره ، فإما أن تستمر سلسلة الأحكام فتكون أزلية ، وهى مسبوقة بسلسلة المحكوم بوجودها قبل ، فيلزم سبق الأولى - من السلسلة - للأزلى ، وهو تناقض ، اذ المتأخر ليس أزليا ، أو تنتهى لفرد لايحكم بأنه فرغ قبله غيره فتنقطع السلسلة لكن هذا انما يتم اذا لزم من سبق الفرد للفرد سبق المجموع للمجموع(٢) ،

---

(١) أشار الأمير الى أن هذه الزيادات من الرابع حتى السابع استفادها من شرح المقاصد الذى اقتصر على هذه السبعة فى بحث إبطال التسلسل من كتابه شرح المقاصد .

(٢) حاشية الشيخ محمد الأمير ص ٦٢ .

....

ورغم وجاهة هذا الوجه الا أن عليه ضرورة اثبات أمور كثيرة حتى يسلم هو من الضغط الفكرى عليه ، من ذلك اثبات الحكم، وصحة الحكم، وكونهما أمورا حقيقية أو اعتبارية ، موجودة فى الذهن، أو فى الخارج، أو فى نفسها .

مع أن التحقيق قائم على أن " الحكم بل وصحته أمور اعتبارية لاثبوت لها فى الخارج " (١) وان كان لها ثبوت فى نفس المستدل بها أو المعتبر لها ، فبطل التسلسل ، وثبت احتياج الكل الى خالق قادر هو الله تعالى .

الوجه التاسع : ضرورة اجتماع الوجود والعدم :

أما كيف . فلأننا اذا قلنا بالتسلسل ، فلاشك أن " كل فرد مسبوق بعدمه الأزلى ، وقدم السلسلة يستدعى وجود الأفراد فى الجملة أزلا ، فاجتمع فى الأزل وجود ذلك الموجود وعدمه " (٢) فى آن واحد وهو باطل لأن معناه أن تكون السلسلة موجودة فى أفرادها ولا موجودة ، ومعدومة فى أفرادها ولا معدومة ، أو يجتمع الوجود والعدم فى آن واحد فى شىء واحد ، وهو محال .

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢
(٢) المصدر السابق ص ٦٢

....

الوجه العاشر : عدم وجود فراغ لانهائي :

ومؤدى هذا الوجه هو أن القول بالتسلسل يلزم عليه اثبات وجود فراغ لانهائي حتى يستوعبه ، لأن القول بلزوم فراغ مالانهاية له قول باطل " اذ أن كل شيء له بداية حتى الفراغ نفسه ، وربما يقال : أن الفراغ فيما لايزال ، وعدم النهاية من طرف الأول ، لكن هذا القول مدفوع ، وحاصل الدفع هو " أن معنى حوادث لانهاية لها ، أنه دخل في الوجود حوادث فقد حصرها الوجود وفرغ منها متعينة ماوجدت ، فكيف تكون لانهاية لها ، هذا تناقض وتهافت" (١)، قائم على اثبات التسلسل حالة كونه معتمدا على القول بوجود فراغ مالانهاية له ، ومن ثم : فقد بطل التسلسل ، وثبت أن للكائنات نقطة ابتداء ، خلقها الله تعالى ،وهو وحده العالم بها .

الوجه الحادي عشر : ابطال التسلسل بحدوث أفراده .

ذلك أن كل فرد في السلسلة حادث ، وحيث كان كل فرد حادثا فقد كان " مجموع السلسلة حادثا قطعا ، ضرورة أنه لاوجود للكل الا بأجزائه ، ولاللجنس الا بأفراده ، فان الزمونا التسلسل في المستقبل كنعيم الجنة ، قلنا : هذا يرجع لعدم وقوف مقدورات القادر المطلق عند حد ، وماقلتم به يرجع لوجود الممكن أزلا ، وهو محال بالطبع لاتتعلق به القدرة" (٢) .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٦٢
(٢) حاشية الأمير ص ٦٢

....

وهكذا انتهينا من عرضنا لوجوه أبطال التسلسل بأنواعه ، وكما أبطلنا الدور بأنواعه ، فقد أعاننا الله تعالى على اثبات أوجه بطلان التسلسل بأنواعه ، ولعلك تلاحظني قد سرت معك شوطا في المسألة ما كان أغناك عنه ، لكن ما الحيلة وقد وقعت على دُرَر أخاف عليها ان لم أودعها لديك أمانة بين يديك ، تغشاها وقت حاجتك اليهـا ، اذ لو تركتها وأدرت عنها أنا ، ثم حاولت أنت الحصول عليها فمن أيـن لك بها ، وأنت احدى الكواعب الناعمة ومانزال معلوماتك تمثل غـادة في غصن ندى .

أتراني قد أطلت معك الحديث ، وأطلت عليك القول ، لكـن ماذا أنا فاعله ، وقد وقعت بين أمانتين أخشى اضاعة لهمـا أو لاحداهما ، أما الأولى : فهي العلم الذي تقف على أبوابه ونحـن طلابه ، وننظر أعقابه ، ونفكر في ثوابه ، وحيث وجدته أمانة بين يـدى فلابد من صيانتها ، واخراجها من بين السطور ، وما تحت الكلمـات واقتناصها من خلف المعاني المجهولة .

وأما الثانية : فهو أنك طالب العلم ، الذي جعل الله له أجـر شهيد ، وأثبت أنه من حجج الله على غيره ، وممن تقبل لهم الشفاعة كما أنهم أهل الخوف من الله والخشية له ، فهل أضيعك أنا وقد كرمك الله ، ماذا أنا فاعل يوم أن ألاقيه ويسألني عن أماناتي وعلى وما أنـا صانع فيه ، فتقبل عذري يا أرحم الراحمين ، وأجعلني عندك مـن المقبولين ، ووفقني لما فيه رضاك والخير لأمة المسلمين .

والأول بقسميه باطل لما مر ، فى مرصد العلة والمعلول من الأمور العامة ، فتعين الثانى وهو المطلوب ، ولايذهب عليك أن ما ذكره تطويل ورجوع بالآخرة الى اعتبار الامكان وحده ، والاستدلال به" *

---

* قصد الشيخ اثبات أن الدور والتسلسل باطلان ، وهو القسم الأول مما سبق أن عرضه ، ويبقى القسم الثانى ، وهو انتهاء الموجودات فى العالم الى مؤثر واجب الوجود لذاته ، وهو الأمر المطلوب الذى تم اثباته أثناء الحديث عن ابطال الدور والتسلسل ٠

ويبدو أن الشيخ الجرجانى يميل الى أن اثبات وجود الله تعالى يتم بطريق دليل الامكان ، أقرب مما يتم بالأدلة الأخرى ، لأنها تذهب بصاحبها الى جدل طويل ، وتقسيم للعالم كبير بجانب أنها فى النهاية ترجع الى دليل الامكان الذى أحبه المتكلمون من المتأخرين دون أعلانهم عن هذا الحب ، أو اظهار نزعتهم نحوه ، خشية أن يقال أن المتكلمين مع الفلاسفة يتعاطفون ٠

وربما عبر الشيخ المرعشى عن هذا المكنون حيث قال : " البرهان على وجود واجب الوجود ، وفيه مسالك كثيرة والمشهور منها اثنان :

المسلك الأول للمتكلمين : أعلم أن العالم ، اما جوهر أو عرض ، وقد يستدل على وجود الصانع بكل واحد منهما ، اما بامكانه أو حدوثه بناء على أن علة الحاجة عند المتكلمين ، اما الحدوث وحده ، أو الامكان مع الحدوث شرطا كان الحدوث أو شطرا فهذه وجوه أربعة " (١) والملاحظ

---

(١) الشيخ المرعشى – نشر الطوالع ص ٢١٩ مكتبة العلوم المصرية ط ١ سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م ٠

....

أن الشيخ المرعشي قدم الامكان على الحدوث ، مما يشير من طرف خفي الى اعتداده به في الذهن كما هو في الذكر ، فليتأمل .

ويمكن الجمع بين الاتجاهين على النحو الذي قرره الشهرستاني حين قال : " سلك المتكلمون طريقين في اثبات الصانع تعالى ، وهو الاستدلال بالحوادث على محدث صانع ، وسلك الأوائل طريقا آخر وهو الاستدلال بامكان الممكنات على مرجح لأحد طرفي الامكان " (١) .

وطبقا لهذا فمن اتجه نحو دليل الحدوث فلا شك أن له سلفا اتبعهم فيه ، ومن سلك الامكان فلا شك أنه تلألأ في ضياء فؤاده بريقه فسار معه ، ولم يتلكأ فيه ، وكلاهما يؤدي المطلوب منه ، والله أعلم .

---

(١) الامام الشهرستاني - نهاية الاقدام في علم الكلام ص ١٢٤ ، ١٢٥

والمشهور : أن المتكلمين استدلوا بأحوال خصوصيات الآثـــار ، على وجود المؤثر ، فقالوا : ان الأجسام محدثة لما مر ، فكذا الاعراض فلابد لها من صانع ، ولايكون حادثا ، والا احتاج الى مؤثر آخــر ، فيلزم الدور أو التسلسل ، أما الانتهاء الى قديم ، والأولان باطـــلان والثالث هو المطلوب. *

---

* قرر الشيخ أن المشهور من الأدلة لدى المتكلمين ، هو استدلالهم بأحوال خصوصيات الآثار ، باعتبار أن الأحوال المتبدلة تمثل أعراضـــا قائمة ، كما أن الأعراض المنتقلة لاتخلوا عن أحوال لها تقوم فيها وتعبر عنها كما أنهم - المتكلمون - قد يعبرون بالاحوال عن دليل الحدوث في الأعراض على ما سبق ذكره في وجه حدوث الأعراض(١) .

على أن مسلك الحدوث ، أو دليل الحدوث عند المتكلمين قـــد انتهى الى اثبات واجب الوجود ، لكن الشيخ ههنا عرض دليل الحدوث مثبتا أولا حدوث الجواهر ، ثم قاس عليها الأعراض ، وليس العكس كمـــا أنه حاول اثبات حدوث الأجسام باعتبارها صورة العالم الجوهري العنصري ثم يسحب الحكم على الموجودات المخلوقة غير العنصرية ، وهي طريقـــة سهلة المأخذ ، قريبة المنال .

وبعد أن اثبت حدوث الأجسام لجأ الى اثبات حدوث الأعراض على وجه الاجمال ، انتهى الى أن للأجسام والأعراض صانعا حكيما قديمـــا ضرورة ، ولو كان حادثا لاحتاج الى مؤثر آخر وهلم جرا ، ويلزم بعد ذلك - على القول باحتياج العالم الى مؤثر اخر أحد امور ثلاثة هي :

---

(١) الوجه الثالث من أوجه اثبات وجود الله ، وسبقت دراسته في هـذا الكتاب فليرجع اليه من شاء .

:.................................

---

١ - الدور : وقد ثبت بطلانه بكافة أقسامه ، عدا الدور المَعِيّ على ما سبق بيانه .

٢ - التسلسل : وقد ثبت بطلان التسلسل بأنواعه ، وقدمنا لذلك أحد عشر وجها .

٣ - الانتهاء إلى قديم مؤثر ، وهو الله سبحانه وتعالى الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، وهو المطلوب .

فثبت أن العالم كله محتاج في وجوده الى مؤثر حكيم قديم ، له كافة صفات الجلال والكمال ، وهو الله رب العالمين .

«الفصل الرابع»

((أدلة المعتزلة على اثبات وجود الله تعالى))

أدلة المعتزلة على وجود الله تعالى

سلف الحديث عن قضية الاستدلال على وجود الله لـــدى السلف الصالح ، وكانت الاشارة أقرب ما يكون الى المراد ، ثـــم تحدثنا عن أدلة الماتريدية بنوع من التفصيل الذى تقتضيه ظـروف الكتابة ، وهو ترتيب طبيعى .

ثم تحدثنا عن أدلة الأشاعرة ، رغم أن المعتزلة أسبق وجــودا من الماتريدية والأشاعرة ، وأنما الذى دفع الى ذلك هو موقف الامام الايجى من عرضه أدلة الأشاعرة أولا ، وكانت متابعته أمرا لا مفر منه من ثم كان الحديث عن أدلة المعتزلة لاحقا مجاراة للامام الايجـى الذى أشار فقط الى المعتزلة لا الى أدلتهم تفصيلا ، فما هـــو موقف المعتزلة ؟

موقف المعتزلة من اثبات وجود الله تعالى ، لم يذكر فى هــذا المقصد على سبيل الاستقلال ، ويبدو أنه جاء مطويا فـى ثنايا المتكلمين حسبما ذكرهم الامام الايجى وشارحه ولم أتبينه ، لذلك سأسوق موقف المعتزلة من أدلة اثبات وجود الله تعالى ، على وجه الاجمال .

* لم يعول المعتزلة على الدليل النقلى ، وانما كان استدلالهـــم قائما على العقل وحده ، وربما يقال : لم فعلوا ذلك ؟ والجواب من وجوه

الأول : أن المعتزلة وجدوا فى وقت كانت الفتن الاسلامية على أشدهـــا ، فاستخدامهم الدليل العقلى لمواجهة المجادلين أمر طبيعى ، لأنهم مـــن غير المسلمين ، والدليل النقلى لاينهض فى مواجهتهم ، وانما يلزمهـــم الدليل العقلى ولذلك تسلح المعتزلة به ، فاذا أخذنا رواية الملطـــى

....

المتوفى سنة ٣٧٧ هـ وأن المعتزلة نشأوا أيام تنازل الحسن بن على عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ، لأنهم كانوا من أصحاب على فاعتزلوا الناس ولزموا البيت والمساجد قائلين " نشتغل بالعلم والعبادة ، فسموا بذلك معتزلة " (١) كان لنا القول بأن دفاعهم العقلى عن العقيدة كان راجعا لرغبتهم القوية فى حماية أصول الدين ، ولكن بمنهج المجادل حتى يكون أوقع فى قلبه وأقرب الى غلبته .

وكان هذا منهج متقدمى المعتزلة على أكثر تقدير ، أما منهج المتأخرين فقد اختلف كثيرا عن منهج المتقدمين ، سواء فى الموضوعات التى تم تناولها ، أو طرق المعالجة ، والباحث الجيد يدرك هذه وتلك كما يمكنه التمييز بينها جميعا ، أما رجم الجميع بحجة أو أخرى ، فلا شك أن فيه نوعا من الغبن لايرتضيه المسلم لنفسه ، باعتبار أصول دينه .

الثانى : أن اتجاه المعتزلة وان كان اتجاها عقليا ، الا أنه ليس اهمالا للنقل ، وانما هو استلهام النقل فى العقيدة والعبادة والسلوك ، واستلهام العقل فى جدل المجادلين الذين لايقرون بوجود الله ، ولايؤمنون بدين اذ ن المعتزلة لم يكونوا بدعا من القول ، أو نشازا فى السلوك ، وبخاصة عند متقدميهم ، وكانوا مضطرين الى استخدام العقل .

---

(١) الدكتور / مصطفى حلمى - منهج علماء الحديث والسنة من أصول الدين علم الكلام ص ٨٤ دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع بالاسكندرية .

....

الثالث : اتساع الترجمة ودخول الثقافات المختلفة الى البيئة الاسلامية كل هذا ألقى عبئا على الفكر المسلم ، وكان الاتجاه العام يرشح المعتزلة الذين كانوا فرسان العقل ، وفصحاء بلاغة ، ورؤساء الفكر المنقول ، من ثم كان اتجاههم العقلى قائما على تلك المؤهلات التى سبقت ، وكانت لبنات قوية فى بناء الفكر الاسلامى الاعتزالى ، الذى قام أساسا على النقل ثم نهج منهج العقل فيما بعد ، فما هى أدلة المعتزلة على اثبات وجود الله تعالى ؟ لاشك أنه الدليل العقلى بأجزائه التى منها :

الدليل الأول : دليل الحدوث :

يقوم هذا الدليل عندهم على معرفة أنواع الدلالة ثم تقسيم العالم الى أعراض وأجسام ، فما هى أنواع الدلالة أولا ، ثم ماهى أجزاء دليل الحدوث :

أولا : أنواع الدلالة :

يقرر القاضى عبد الجبار أن : أنواع الدلالة أربعة هى :

١ - حجة العقل ٠ ٢ - الكتاب ٣ - السنة ٤ - الاجماع ٠

ومعرفة الله تعالى لاتنال الا بحجة العقل ، أما لماذا لاتنال معرفة الله الا بالعقل وحده ؟ فالجواب " أن ماعداها فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده ، وعدله ، فلو استدللنا بشئ منها على الله تعالى والحال هذه ، كنا مستدلين بفرع للشئ على أصله ، وذلك لايجوز " (١) ٠

(١) القاضى - عبد الجبار بن احمد - شرح الأصول الخمسة ص ٨٨ تحقيق / د / عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة ٠

....

ويكرر القاضي هذا المعنى ويردده كثيرا ، فمثلا يقول : " ان الله تعالى لايعرف ضرورة ، وكل ذات لاتعرف ضرورة ، فالطريق اليها لايعدو أحد أمرين :

أ - اما أن يكون حكما صادرا عنه .
ب - واما أن يكون " فعلا واقعا من قِبَلِهِ " (١)

ونفس المعنى أكده ابن متويه (٢) حيث يقول : " التعلق في الذوات لايخرج عن وجهين :
أ - اما أن يكون تعلق الفعل بالفاعل .
ب - واما أن يكون " تعلق العلة بالمعلول . (٣)

اذن هم يذكرون أنواع الدلالة ، ويرجحون منها حجة العقل لكن لايهملون غيرها ، انما يجعلونها في مرتبة تالية حين الاستدلال على العقيدة مع المفكرين ، وليس مع المؤمنين .

ثانيا : أجزاء دليل الحدوث عندهم :
أ - حدوث الأعراض .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٨٩
(٢) قام الصديق الدكتور / سعيد مراد بتقديم رسالة علمية عن ابن متويه يمكن الاستفادة منها .
(٣) ابن متويه - المجموع من المحيط جـ ١ ص ١٠١ .

....

حيث يقوم حدوث الأعراض على اثبات أولا أنها موجودة ، ثم ثانيا على اثبات أنها حادثة ، فاثبات وجودها يسبق اثبات حدوثها " ثم الانتهاء الى احتياجها لمحدث فاعل ، مخالف لنا ، وهو الله تعالى " (١) .

ب - حدوث الأجسام :

ويقوم على اثبات حدوث الأجسام بأحد طرق ثلاثة :

١ - الاستدلال بالأعراض على الله ، وصحة السمع ، ثم يستدل بالسمع على حدوث الأجسام .

٢ - الاستدلال بالأعراض على الله ، ونعلم قدمه تعالى ، ثم نقول: لو كانت الأجسام قديمة لكانت مثلاً لله تعالى ، لأن القدم صفة من صفات النفس ، والاشتراك في صفة من صفات النفس يوجب التماثل ولا مثل لله ، فيجب أن لا تكون الأجسام قديمة ، وانما يجب أن تكون محدثة " .

٣ - الاستدلال بالدلالة المعتمدة ، وهي أن " الأجسام لم تنفك من الحوادث ، ولم تتقدمها ، ومالم يخل من المحدث يتقدمه يجب أن يكون محدثا مثله " (٢) وهذا الوجه قائم على أساس اثبات الأكوان ، واثبات أنها حادثة .

(١) القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة ص ٩٢
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٩٤ ، ٩٥

الدليل الثاني : الاحتياج :

ويؤدى هذا الدليل قريب من دليل الامكان الذى سلف ذكـــره عند متكلمي الأشاعرة ، أما كيف ؟ فلأنه يقوم على افتقار الأجسام والأعراض واحتياجها الى من يخرجها من العدم الى الوجود ، وهذا المخـــرج هو نفسه المحدث لها ، فهى مفتقرة اليه حتى يحدثها ،.وهذا الافتقـــار هو الاحتياج بعينه .

يقول القاضى عبدالجبار : " الأجسام والألوان وغيرها مفتقرة فـــى حدوثها الى محدث ما ، اذ لابد عند العلم بذلك من أن يكون له معلوم وليس بمعلومه الا الله عز وجل " (١) وهذا الدليل يؤدى الى الامكان كمـــا يؤدى الى الحدوث ، فمتى رجع لأيهما كان له فيه نصيب .

الدليل الثالث : قياس الغائب على الشاهد :

وهو يقوم على عملية المقايسة بين أفعالنا الاختيارية ، واحداثنـــا لها ، وكوننا فاعليـــن ، وهى محتاجة الينا فكذلك الأعراض والأجســـام محتاجة الى الله تعالى باعتباره الفاعل لها ، يقول القاضى عبدالجبـــار " نعلم أولا اثبات حوادث هى أفعالنا ، ثم نعلم أنها انما كانت أفعالنا لأنا أوجدناها وأحدثناها ، ومن حيث كانت محدثة احتاجت الى فاعـل ، ثم نعلم أن ذلك المحدث لايجوز أن يكون الا خالقنا وهو القديم تعالى "(٢)

(١) القاضى عبدالجبار ـ المحيط بالتكليف ص ٧٥ تحقيق عمر عزمى ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٢) القاضى عبدالجبار بن احمد ـ المختصر فى أصول الدين ص ٢٠٧ ضمن رسائل العدل والتوحيد ط دار الشروق القاهرة ١٩٨٧م .

....

أجل دليل قياس الغائب على الشاهد ، لم يسلم من النقـود ات القوية العنيفة ، سواء ذكره الأشاعرة أم استدل به المعتزلة حتى أن هذه الانتقادات التى وجهت اليه لم تبق له ركنا يعول فيه عليه ، لدرجـة أن الأشاعرة أنفسهم نكروا فى التنصل منه ، بعد أن وجهت اليه السهـــام القوية التى لم يتمكن من ترميم ما أحدثته فى بناء الدليل نفسه .

وجهة نظر : اثبات وجود الله تعالى بالضرورة العقلية :

حيث تقوم الضرورة العقلية هـهنا ، على أساس أن هذه الأجســام والأعراض كانت معدومة ، ثم وجدت ، وهى فى ذات الوقت محتاجة امـــا لاستمرار عدمها ، أو لاستمرار وجودها ، أو لتجدد وجودها ، بعد أن خرجت من العدم الى الوجود ، وحينئذ تقرر الضرورة العقلية ما يلى :

أ — هذه الأجسام اما أن تكون قد أحدثت نفسها .

ب — أن يكون قد أحدثها غيرها .

لايجوز أن تكون قد أحدثت نفسها ، لأن من حق القادر علـــى الشئ أن يكون متقدما على فعله ، فلو كان الجسم هو الذى أحدث نفسه لزم أن يكون قادرا ، وهو معدوم ، والمعدوم لايجوز أن يكون قادرا[1] ، وهذا مما تحكم ضرورة العقل بكونه مستحيلا ، اذ كيف يكون معدوما قـادرا فى نفس الوقت ، هذا على اعتبار أن الأجسام ربما تكون قد أحدثت نفسها

(١) شرح الأصول الخمسة ص ١١٩ .

....

أما الثانى ـ أن يكون قد أحدثها غيرها ـ فننظر الى هذا الغير ، فان كان مثلا لها ، عاد الأمر الى الوجه الأول وهو باطل ، وان كان المحدث لها غيرا مخالفا ، فلاشك أنه قد ثبت وجوده بحكم الضرورة العقلية ، وهذا الغير المخالف للأجسام كلها ، هو الله رب العالمين ، فثبت أنه موجود ، وأنه قديم ، وأنه تعالى رب العالمين اذن المعتزلة كان لهم جانب ايجابى فى اثبات وجود الله تعالى .

﴿الفصل الخامس﴾

((أدلة الحكماء على اثبات وجود الله تعالـــى))

، المسلك الثاني : للحكماء ،

وهو أن في الواقع موجودا ، مع قطع النظر عن خصوصيات الموجودات وأصولها ، وهذه مقدمة تشهد بها كل فطرة ، فان كان ذلك الموجود واجبا ، فذاك هو المطلوب ، وان كان ممكنا : احتاج الى مؤثر ولابد من الانتهاء الى الواجب ، والا لزم الدور أو التسلسل ، وفي هذا المسلك طرح لشرنات كثيرة ، كانت في المسلك الأول متن بيان حدوث العالم ، وامكانه ، وما يتوجه عليه من الأسئلة والأجوبة عنها فانها سقطت ههنا كما ترى *

---

* لسنا ندري مَن مِنَ الحكماء عناهم ، لأنا نعلم أن للفلاسفة على اثبات البارى جل علاه أدلة من أبرزها دليل الامكان الذى يقوم على تقسيم العالم الى :

١ ـ واجب .
٢ ـ ممكن .

وهنا يسوق معنى الدليل نفسه ، لأن الفطر السليمة تشهد بوجود موجود كشف عن الوجود العدم ، فصار الممكن المعدوم ، ممكنا موجودا ، ولا شك أن الذى حوّل المعدوم الى موجود لايمكن أن يكون مثلا له ، أو أحد أجزائه . ولذلك نرى الشيخ يقرر أن هذا الموجود اذا نظر اليه بعيدا عن أحوال الموجودات ، أمكن التصديق بها باعتبارها موجودات تشهد بها الفطر السليمة ، والعقول النقية ، ويقر بها الحس الصحيح .

....

ثم يعود الشيخ لتقرير أن هذا الوجود الذى تشهد به الفطر اما أن يكون واجبا ، فيقف أمر الدليل عند هذا الحد ، وهو اثبات واجب الوجود ، وهو المطلوب ، واما أن يكون هذا الموجود فى الواقع ممكنا كبقية الممكنات فيحتاج الى مؤثر ، ويلزم الدور أو التسلسل (١) ، وكلاهما باطل ، من ثم لابد من الانتهاء الى قديم واجب الوجود ، وهو الله رب العالمين .

ثم ينبه الشيخ الى أن المسلك الثانى الخاص بالحكماء قد تفادى ملاحظات ، وتخطى حواجز كانت قائمة فى المسلك الأول : وبخاصة فى دليل حدوث العالم وامكانه ، ونظرا لأن هذا المسلك الثانى موجز ومركز فقد سقطت عنه كافة الأسئلة وتوفرت كل الأجوبة ، ثم توجه المجهود المبذول الى أمر آخر . غير أن الفلاسفة لهم على اثبات وجود الله - واجب الوجود - اكثر من دليل يحسن بنا أن نذكرها مجملة ثم نفصل بقدر ما يطيقه البحث ، واستعير عبارة الاستاذ العقاد التى يقول فيها " نحن لانحصى هنا جميع البراهين التى استدل بها الفلاسفة على وجود الله ، فانها كثيرة مشابه بعضها بعضا فى القواعد ، وان اختلف قليلا فى التفصيلات والفروع " (٢) .

---

(١) سبق الحديث عن الدور والتسلسل وأحكامهما فليرجع اليهما من شاء .
(٢) الاستاذ / عباس العقاد - الله كتاب فى نشأة العقيدة الالهية ص ٢٧ ط ٧ دار المعارف بمصر .

....

وأبرز أدلة الفلاسفة هي :

(١) دليل الوجوب .
(٢) دليل العناية .
(٣) دليل الاختراع .
(٤) دليل الامكان العام .
(٥) دليل الامكان البحت(١)
(٦) دليل انقطاع تسلسل الأسباب .
(٧) دليل الوجوب اللاذاتي .
(٨) الدليل الغائي .
(٩) دليل الاخلاق أو وازع الضمير . (٢)
(١٠) دليل الاستكمال والاستقصاء .

وهناك العديد من الأدلة أتت بها المباحث الفلسفية عبر تاريخ رحلتها التي ماتزال مستمرة فعلى سبيل المثال توجد :

(١١) البراهين الميتافيزيقية .
(١٢) البراهين الطبيعية .
(١٣) البراهين الأخلاقية . (٣)

غير أني سألتقط بعضها لذيوعها وشهرتها ، أو لتواردها في مؤلفات الفلاسفة المسلمين ، ومن هذه الأدلة :

(١) الدكتور / محمد غلاب – مشكلة الألوهية ص ١٥١ وهو يصور اثبات وجود الله تعالى عند الفارابي .
(٢) الاستاذ العقاد – الله كتاب في نشأة العقيدة الالهية ص ٢٠٧ .
(٣) الدكتور / محمد غلاب مشكلة الألوهية ص ٧١ بتصرف .

....

---

(١) دليل الوجـوب :

يتردد دليل الوجوب بين المتخصصين ، نظرا لوجود بعض الصعوبة فيه ، بخلاف دليل الامكان ، وذلك أن دليل الوجوب قائم على القسمة العقلية والتردد بين مانعة الجمع والخلو من ناحية ، كما أن فيه صورة دليل السبر والتقسيم من ناحية أخرى .

بيد أنه يلاحظ فيه اثبات التفرقة بين وجودين لموجودين أحدهما موجود لذاته ، وثانيهما موجود من غيره ، اذن يقوم الدليل على تقسيم الوجود الى :

أ - موجود لذاتـه .

وهو وجود الواجب جل علاه ، لأنه الحق بذاته ، الواجب الوجود من ذاته ، انه قيوم السماوات والأرضين .

ب - موجود من غير ذاته :

وهو وجود الممكن ، الذى يحتاج فى وجوده الى مرجح يرجح وجوده على عدمه ، ولايكون هذا المرجح الا من خارج .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا : " كل موجود اذا التفت اليه من حيث ذاته ، من غير التفات الى غيره ، فاما أن يكون بحيث يجب له الوجود فى نفسه ، أو لايكون ، فان وجب فهو الحق بذاته ، الواجب الوجود من ذاته ، وهو القيوم " (١) وهو القسم الأول من الدليل ، وأعنى به الموجود لذاته .

---

(١) أبو على الشيخ الرئيس ابن سينا - الاشارات والتنبيهات - القسم الثالث ص ١٩ تحقيق المرحوم د/سليمان دنيا - دار المعارف ط ٣ .

....

فاذا لم يجب له الوجود من ذاته ، بل كان وجوده من خارج ذاته ، كان ممكنا ، رغم أنه موجود ، الا أن وجوده ليس من ذاته وهو في نفس الوقت ممكن ، لأنه لايجب له الوجود ، وليس ممتنع الوجود ، من حيث أنه ممكن ، اذن دليل الوجوب لدى الفلاسفة مكنهم من اثبات وجود الله تعالى على طريقتهم التي أطلقوها في دليل الوجوب .

(٢) دليل الامكان :

يقوم دليل الامكان عند الفلاسفة على اعتبار حال الوجود ، لاحال الموجود ، فقصروا علمهم على النظر في الوجود ، وأنه واجب أو ممكن يقول الشيخ الجرجاني : حصروا مذهب الحكماء " منهم من اعتبر حال الوجود واستدل بالنظر في الوجود وأنه واجب أو ممكن على اثبات الواجب ، وهو الطريق الذي سلكه الشيخ أبو علي في كتابه الاشارات" (١) .

اذن دليل الامكان عند الفلاسفة يقوم على :

أ - وجود واجب .

ب - وجود ممكن .

وحيث أن الوجود - في حد ذاته - صفة ، وشأنها متابعة الموصوف ، فلاشك أن وجود الواجب يكون من ذاته ، فلايحتاج الى غيره بينما وجود الممكن يكون وجودا اضافيا يحتاج الى غيره ، وحتى ثبت

---

(١) الشريف الجرجاني ، حاشية الجرجاني على مطالع الأنظار ص ٢٢٢ .

....

وجود واجب ، ووجود ممكن ، فقد ثبت وجود الله تعالى ، باعتبـــاره وجودا مستغنيا عن غيره ، والكل مما سواه محتاج اليه وحده .

الفرق بين امكان الفلاسفة وامكان المتكلمين :

قد يرد على الخاطر سؤال مؤداه ، اذا كان المتكلمون قـــــد استدلوا – من جملة أدلتهم – بدليل الامكان ، على اثبات وجود اللــه تعالى ، وكذلك استدل الفلاسفة على وجود الله بدليل الامكان ، فمـــا الفرق بينهما ، حتى تقول : ان هذا دليل امكان المتكلمين ، وهـــذا دليل امكان الفلاسفة .

والجواب من وجوه :

الأول : ان امكان المتكلمين قائم على تقسيم الموجود الى امكان الجواهر وامكان الأعراض ، بينما هو عند الفلاسفة تقسيم حال الوجود الى واجب وممكن ، والفرق كبير .

الثاني : ان امكان المتكلمين قائم على أن علته هى الحاجة التى بها يخرج الممكن من العدم الى الوجود ، والعكس ، بينما هو عند الفلاسفة قائم على مجرد الفرض الذهنى الذى تمليه الضرورة العقليـــة ، ويسير فى السبر والتقسيم على سبيل الانحصار .

الثالث : ان امكان المتكلمين فى الجواهر قائم على تركبها ، وفى الأعراض : قائم على محالها ، وهذا الحصر غير منضبط على وجه اليقين ، بل انه لم تسلم مقدماته من الطعن عليه ، حتى اذا أنتهى الى غايـــة

كانت هى حدوث العالم ، بينما امكان الفلاسفة يبدأ من حيث انتهى امكان المتكلمين ، اذ هو يلتقط اما الوجود ، واما الوجوب ثم يقيم امكانه فى أحدهما ، فان كان الأول فهو الامكان العام وان كان الثانى فهو الوجوب على ما مر ذكره ، والله أعلم .

الرابع : ان امكان المتكلمين لابد أن يسبقه افتراض العدم فى الممكن وهى مما فيه النزاع عند القائلين بامتناع الخلاء ، بينما عند الفلاسفة لايطلب العدم ، انما يطلب الوجود من حيث هو لذاته فيكون واجبا ، أو لغيره فيكون ممكنا .

وأنوه هنا ، الى أن هذه النتائج لاعلاقة لها بالاعتقاد من حيث هى وانما هى تتعلق بالأدلة فقط ، ولايغرب عن ذى بال أنى لا أرجح اعتقادا وانما أرجح أدلة ، والفرق بين ترجيح الاعتقاد وترجيح الاستدلال ظاهر والله أعلم .

أجل . نال دليل الامكان عند الفلاسفة ذيوعا وسعة انتشار ، حتى أنه ربما غلب أقرانه من أدلة الفلاسفة ولكن ليس معنى هذا أن جميع الأدلة حوله انهارت أمام النقد ، وبقى هو وانما معناه أن بُعْدَ الصيت الذى لحقه يماثل نفس الجو العام الذى أحاط دليل الحدوث عند المتكلمين فهو تغلب على أقرانه غلبة اشتهار فقط ، والا فالاستعمال يجمع كل الأدلة .

لكن هناك نقطة مهمة يحسن الالتفات اليها ، وهى أن الكندى فيلسوف العرب ، لم يستعمل الا دليل الحدوث ، مع أنه فيلسوف ، والشائع

....

أن الفلاسفة استعملوا الامكان والوجوب ، ولم يستعملوا دليل الحدوث، فلماذا صنع الكندى هذا الصنيع ؟

والجواب : ما ذكره الدكتور البهى ، من أن الكندى كان فيلسوفا فى فكره ، ولكنه كان معتزلى العقيدة ، بل كان " من قادة مذهب الاعتزال ، وله فى خدمته وخدمة الدفاع عن العقيدة مواقف مشهورة " (١) من ثم فلا عجب أن رأيناه يدافع عن العقيدة ، ويتمسك بأدلة الحدوث، كما فعل المتقدمون من المعتزلة بجانب ما استخدموا من أدلة .

(٣) دليل العناية :

وهذا الدليل ينبنى على أصلين :

الأول : موافقة جميع الموجودات لوجود الانسان الذى هو أرقى المخلوقات المكلفة .

الثانى : أن هذه الموافقة مقصودة من قبل فاعل ضرورة .

وهذا الدليل مما نبه ابن رشد اليها ، وركز على أن الشرع الشريف قد دعا الناس لمعرفة الله تعالى من خلالها ، ولذلك تراه يقول عن الأصلين :

---

(١) الدكتور : محمد البهى ـ الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص ٣٤٨ ـ دار الكاتب العربى بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م ط ٤ .

....

" أحدهما : أن جميع الموجودات ههنا موافقة لوجود الانسان والأصل الثاني : أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد ، اذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق " (١) .

ويدخل في هذا موافقة الليل والنهار ، والشمس والقمر ، ومافيهما من منافع ، وكذلك الأجرام العلوية ، ووقف هذه المنافع على وجود الانسان ومدى استفادته منها ، مما أفاض فيه المتخصصون - قديما وحديثا - القول .

وكذلك يدخل فيه موافقة الأزمنة الأربعة ، والأرض من حيث هي كروية ومن حيث هي قشرة وتربة وما فيها من منافع ، وكثير من الحيوان والنبات ، والجماد والأمطار ، بل والرياح " كذلك موافقة أعضاء الانسان ، وأعضاء الحيوان لحياته ووجوده ، وكل هذا من دليل العناية الذي يدفع الى ضرورة الاعتقاد بوجود اله واحد له من صفات الجلال والكمال مالا يشاركه فيه غيره .

(٤) دليل الاختراع :

وهو الطريق الثاني مما أدعى ابن رشد أن الشرع الشريف قد نبه اليه في الكتاب العزيز : " وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء والموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل " (٢) . ويدخل

---

(١) ابن رشد - مناهج الأدلة في عقائد الملة ، مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام تقديم د / محمود قاسم ص ١٥٠ ط ٢ الانجلو المصرية ١٩٦٤م .

(٢) ابن رشد - مناهج الأدلة ص ١٥٠

....

فيها وجود الحيوان كله ، ووجود النبات ، ووجود السماوات ، وهـذه الطريقة تنبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس :

أحدهما : أن هذه الموجودات مخترعة .

أما الأصل الثاني : فهو أن كل مخترع فله مخترع" (١)

والملاحظ أن دليلي ابن رشد – العناية والاختراع – لايبتعدان كثيرا عن أدلة الماتريدية ومعهم الأشاعرة ، بل أنه بالرجوع الى الأصل يكون دليل السلف الصالح الكوني القرآني (٢) هو عين دليلي ابن رشد والذي اعتد به أبو الحسن الأشعري (٣) ، وجاء عند المتكلمين كوجه ثالث تحت " الاستدلال بحدوث الأعراض في الأنفس والآفاق " (٤) .

وكان قولهم هناك مبنيا على " أن حدوث هذه الأطوار لامن فاعل محال ، وكذا صدورها عن مؤثر لاشعور له ، لأنها أفعال عجز العقلاء عن ادراك الحِكَم المودعة فيها ، وأما في الآفاق كما نشاهد من أحوال الأفلاك ، والعناصر والحيوان ، والنبات والمعادن ، والاستقصاء مذكور في الكتاب المجيد ، ومشروح في التفاسير (٥) .

(١) المصدر السابق ص ١٥١ .
(٢) راجع دليل السلف فيما سبق .
(٣) ذكرت رأيه وأنه كان يميل الى رأي السلف فليرجع اليه من شاء .
(٤) هو الوجه الثالث من مسلك المتكلمين على ما سبق الحديث عنه .
(٥) شرح المواقف – الموقف الخامس ص ٦ تحقيق د / أحمد المهدي .

بل ان الملاحظ هو أن الآيات القرآنية التى اعتمد عليها ابن رشد فى اثبات دليلى العناية والاختراع وبسط هذين الدليلين ـ العناية والاختراع ـ لهى التى اعتمد عليها زعماء الماتريدية ، بحيث يمكن اعتبار استخدامهم ألفاظ ، حادث ، ومحدث ، وجسم ، وعرض ، إنما هو صورة من صور التعبير عن المعانى بالألفاظ التى تؤدى نفس النتائج ، أو أنهم فرغوا هذه المصطلحات من معانيها عند اصحابها الى معان أخرى تتفق مع النقل المنزل ٠ (١)

(٥) الدليل الغائى :

وهو يقوم على أن كافة الكائنات فيها حكمة ، وتجرى نحو غاية ، وقد كثر استخدام هذا الدليل لكن تحت مسميات عديدة ، وان كانت دلالته واحدة " فقد ورد هذا الدليل تحت عناوين مختلفة ، تدل كلها على العناية من جانب خالق معتن بما خلق ، وذلك قبل الخلق وبعده ".

" ويسمى دليل التدبير ، لأنه يدل على قوة دبرت الكون على هذا النحو الرائع المدهش ، ويسمى " دليل التظاهر " الذى يوحى بقوة عالمة وراء هذا الكون الذى يسير وفق قوانين بلغت حد الاعجاز ، ويسمى " الدليل الغائى ، بمعنى خلق الكائنات على نحو يشعر بأنها تسعى الى هدف معين ، سواء فيما يتعلق بكل كائن وظاهرة على حدة "

(١) لطالب المزيد مراجعة كتاب التوحيد لأبى منصور الماتريدى ، والمسايرة للكمال بن الهمام ، بلوغ المرام وغيرها من كتب الماتريدية ٠

....

أو بالنسبة للكل بهدف أحكم وضعها منذ البداية ، مما يدل على قوة بلغت الحكمة فى الصنع والترتيب ورسم الغاية" (١) .

وأكتفى بعرض ما سبق تاركا للآخرين التفصيل الذى يرونه ، فالعلم قاسم مشترك ، والذى يرزق فيه بشئ فليحمد الله عليه ، وليعذر للآخرين فالمعقول من عند الله نعمة ، وفهم العلم نعمة ، والمنعم فى الكل هو الله رب العالمين .

ســؤال وجوابــه

قد يتبادر إلى بعض الأفهام سؤال مؤداه ، لماذا لم يتحدث القرآن الكريم مباشرة على إثبات وجود الله تعالى ، ذاتا ، وصفات ، وأفعالا ، حتى يقع الالتزام من الكل ، وينال القبول من الجميع ؟ أليس ذلك أسلم وأحكم ؟ .

والجواب :

أن القرآن الكريم لم يضع وجود الله تعالى موضع الاحتمال والفرض ولا موضع الجدل والنقاش ... والاستدلال بالآيات الكونية وغيرها لا يقصد بها نفى طرف فى قضية لها طرفان ليثبت الطرف الآخر ، وإنما القصد من هذه الاستدلالات توجيه المدارك العقلية ، والمشاعر الوجدانية إلى جلال سلطانه ، وعظمة تدبيره" (٢) .

---

(١) د / محمد مصطفى ، د / طه عبد السلام خضير ، د / محمد ربيع جوهرى - دراسات فى العقيدة الاسلامية والأخلاق ص ١٧ ط أولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٢) الاستاذ الشيخ / محمد الصادق عرجون - القرآن العظيم ص ١٤

كما أن قضية وجود الله تعالى ، لو وضعت موضع الاستدلال ، لوقعت بين القبول والرد ، ولكان اثباتها بعد الطعن على أصلها أمرا غاية الصعوبة ، من ثمّ لم تذكر في القرآن الكريم كقضية منصوص عليها وان كانت كل الآيات القرآنية دليلا عليها ، وفرق بين النص عليها ، وبين فهم الدليل الموصل اليها .

ولذلك رأينا كل مفكر يستخدم امكانياته للاستدلال عليها أو التعرف . فهذا ينهل من الآيات القرآنية ما يبلغه غايته ، وهذا يستشف من الآيات الكونية ما يصل به الى معرفة الله جل علاه ، ويسمى الأول : مستدلا بالنقل ، والثاني : مستدلا بالكون .

بيد أن بعض الناس امتدت بهم ثقافاتهم ، وتنوعت معارفهم واتسعت مداركهم ، فربما استفادوا الدليلين أو الأدلة على وجود الله تعالى ، فمنهم من سلك طريق المعامل والتجارب حتى انتهى الى معرفة الله واثبات وجوده ، ومنهم من سلك التاريخ يستحث ذاكرته حتى تسعفه فلما ساقت له الآيات القرآنية أخبار الماضيين ، آمن بالله رب العالمين ، وكل يستخدم على صحة عقيدته ما تدفع اليه امكانياته ، والله أعلم .

﴿الفصل السادس﴾

((أدلة لبعض المتأخرين على اثبات وجود الله تعالى)).

المسلك الثالث : لبعض المتأخرين

يعنى صاحب التلويحات ، وهو أنه لاشك فى وجود ممكن : كالمركبات ، فان استند الى الواجب ابتداء ، وانتهى اليه ، فذاك وان تسلسلت الممكنات ، قلنا : جميع الممكنات المتسلسلة الى غير النهاية من حيث هو جميع ممكن ، لاحتياجه الى أجزائه ، التى هى غيره ، فله علة بوجدة ترجح وجوده على عدمه ، لما عرفت من أن الامكان محوج ، وهى لاتكون نفس ذلك المجموع ، اذ العلة متقدمة على المعلول ويمتنع تقدم الشيء على نفسه *

---

* قصد الشيخ ببعض المتأخرين ، وفهم الجرجانى أن هذا البعض يمثلهم صاحب التلويحات وهو الامام السهروردى ، الذى راح يقدم دليلا على اثبات وجود الله تعالى ، ليس على أساس تقسيم العالم الى جواهر واعراض ، وانما على أساس التسليم بوجود الممكن من حيث هو ممكن.

واستخدم الأمثلة ليدلل على امكانه ، كالجواهر المركبة (١) ، فان كانت مستندة فى وجودها الى الواجب مباشرة ، فقد ثبت وجود الواجب من اقصر طريق وانتهى الأمر الى هذا الحد ، هذا وجه ، يقف عند استنادها الى الواجب مباشرة .

أما إن كانت مستندة الى بعضها (٢) فلاشك أنها محتاجة الى أجزائها ، باعتبار أن الاحتياج قاسم يضمها جميعا ، وانها لاتكون مجموعا الا اذا ضمت أجزاؤها الى بعضها ، ويعود الأمر الى الأجزاء ، فان

(١) سلف الحديث عن الجواهر وأنواعها فليرجع اليها من شاء .
(٢) على طريقة التسلسل التى أبطلناها ، فليرجع اليها من شاء .

....

كانت كذلك فلابد لها من علة موجدة ، تكون مهمتها ترجيح وجود الممكن على عدمه ، لأن طبيعة الممكن قاضـــية بذلك .

ثم ينتقل الحديث الى العلة الموجدة هذه ، فان كانت خارجة عـن الممكنات فهى الواجب وثبت المطلوب ، وان كانت آحاد الممكنات نفيـــه مخالفة لبدهيات العقول ، لأن معناه ضرورة تقدم العلة على نفسها حتى توجدها ، وتأخرها عن نفسها حتى تكون معلولا لها ، وهو محال ضرورة ، ولقريـــه لا يعبأ به ، ولا يؤبـــه له ، لأنه فى عداد غير العاقلين ، هذا على فرض أن العلة الموجدة هى مجموع الممكنات .

ولا جميع أجزائه لأنه عينه ، ولاتكون أيضا جزاءه ، أى بعض أجزائـه ، اذ علة الكل علة لكل جزء ، وذلك لأن كل جزء ممكن محتاج الى علـة فلو لم تكن علة المجموع علة لكل واحد من الأجزاء لكان بعضها معلـلا بعلة أخرى ، فلا تكون تلك الأولى علة للمجموع ، بل لبعضه فقـط ، وحينئذ فيلزم أن يكون الجزء الذى هو علة المجموع ، علة لنفســـه ، ولعلله أيضا *

---

* بعد أن أبطل الشيخ كون المجموع معلولا لنفس المجموع ، راح يبطل كون المجموع معلولا لجميع أجزائه ، بمعنى كون العلة هى جميع الأجـزاء الممكنة ، لأن الجميع هو عينه ، كما لاتكون العلة بعض أجزاء المعلـول — جميع الممكنات — لأن علة الكل ، هى نفسها علة لكل جزء على أساس أن كل جزء منها ممكن محتاج ، والكل فى مجموعه كذلك ممكن محتاج .

فاذا افترضنا أن بعض الممكنات له علة ، وبعض آخر له علة أخـــرى ، فمعنى هذا تعدد العلل ، ولايكون المجموع من حيث هو مجموع معلــولا لعلة واحدة ، انما لعلتين أو أكثر ، وهذا باطل لأنه يترتب عليه :

(١) أن يكون الجزء الذى هو علة للبعض علة للمجموع أيضا .

(٢) أن يكون الجزء الذى هو علة المجموع علة ومعلولا فى وقت واحد .

(٣) أن يكون الجزء الذى هو علة المجموع علة لنفسه ، ويلزم تقدم الشىء على نفسه ، وتأخره عنها ، وقد سبق بطلان هذا .

(٤) أن يكون الجزء الذى هو علة المجموع ، علة لنفسه ولعلله أيضا علـى وجه الاجمال وهذا كله باطل فتعين أن يكون المجموع الممكن مستندا فى وجوده الى علة خارجة عن جميع العلل الممكنة ، وهو حتما يكـون

....

واجب الوجود ، الله رب العالمين .

اذن الشيخ هنا أبطل ما يلى :

(١) أن تكون علة المجموع نفسه .

(٢) أن تكون علة المجموع جزءاً .

(٣) أن تكون علة المجموع أمرا داخلا فيه .

وأثبت ما يلى :

(١) كون السلسلة الممكنة محتاجة .

(٢) احتياجها لايكون لمثلها .

(٣) أن الذى تستند اليه فى وجودها ، هو أمر خارج عنهما جميعا والخارج عن جميع الممكنات واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى .

واذا لم تكن علة المجموع نفسه ، ولا أمرا داخلا فيه ، فاذن هو أمر خارج عنه والخارج عن جميع الممكنات واجب لذاته ، وهو المطلوب ولابد أن يستند اليه شيء من تلك الممكنات ابتداء فتنتهي بــــه السلسلة .*

---

* قصد الشيخ هنا ما سلف ذكره من ابطال أمور واثبات أخــرى ، حتى أنتهى الى المطلوب ، وهو اثبات أن الممكنات لاتستند الـــى شيء منها ، ولابد من انتهاء السلسلة الممكنة الى الواجب الوجـــود جل علاه ، وهو خارج عن جميع الممكنات بل هو الخالق لها جل علاه ، وهي تستند اليه في كل شيء .

واعترض عليه بوجوه :

الأول : المجموع يشعر بالتناهي ، لأن ما لا يتناهى ، ليس له كل ، ولا مجموع ، ولا جملة بل ذلك انما يتصور في المتناهي ، وتناهي الممكنات يتوقف على ثبوت الواجب ، فاثباته به ، أى اثبات الواجب بما يدل على تناهي الممكنات ، مصادرة على المطلوب *

---

* قصد الشيخ هنا ابراز الاعتراضات الواردة على مسلك المتأخرين ، وقدم أجوبة عنها ضمن الاعتراضات القول بأن لفظ المجموع الذى استخدمه صاحب التلويحات فيه إشعار بتناهي الممكنات ، والدليل أن ما لا يتناهى لا يقال له كل ، ولا مجموع ، ولا جملة ، انما يوصف بأنه لا يتناهى فقط ، وحيث استخدم صاحب التلويحات ألفاظ الجملة والمجموع ، والكل فقد قصد به التناهي ، وهم لا يسلمون بأن الممكنات متناهية .

وفرق المعترض بين مفهومين .

الأول : ما لا يتناهى . ويعني أنه لا يوصف بأنه كل ، أو مجموع ، أو جملة ، أو ما يفيد حصره بين حاصرين .

الثاني : ما يتناهى . ويعني أنه الذى يمكن وصفه بأنه كل أو مجموع ، أو جملة الى غير ذلك من الأوصاف الحاصرة له ، والتي تؤدى كلها أو بعضها الى القول بتناهيه .

ثم ركز المعترض على أن اثبات تناهي الممكنات يتوقف على ثبوت الواجب واثبات الواجب بناء على تناهي الممكنات فيه دور ، كما أن فيه مصادرة على المطلوب ، وبالتالي فأمر تناهي الممكنات المعترض لا يقر به ، ومن ثم راح الشيخ يصوغ الجواب على هذا الاعتراض .

والجواب . أن المراد به ، أي بالمجموع ، وما يرادفه في هـذا المقام ، هو الممكنات بأسرها بحيث لايخرج عنها شيء منها ، وذلـك متصـور في غير المتناهي ، اذ يكفيه ملاحظة واحدة اجمالية شاملة لجميع آحاده ، انما الممتنع ، أن يتصور كل واحد مما لايتناهى منفصلا ،ويطلق عليه المجموع بهذا الاعتبار *

---

* أراد الشيخ تقديم جواب على الاعتراض السابق ، يقوم هـــذا الجواب على التفرقة بين مفهوم المجموع من حيث انحصاره وعدم الانحصار فأكد الشيخ أن المراد هو مجمل الممكنات بعيدا عن الألفاظ الحاصـرة بمعنى المراد الممكنات عموما ، بحيث لايخرج عنها شيء منها ، وذلـك متصور فعلا في غير المتناهي ، كما هو متصور في المتناهي تماما بتمام .

أما كيف ؟ فلأن الممكنات منحصرة في الممكن ، والمنحصر محـدود طالما عرفت حدوده ، فلفظ المجموع ، أو أي لفظ آخر لايعتد فيـــه بخلاف ، لأن ملاحظة واحدة اجمالية على آحاد الممكن تفيد انحصار كل واحد منه في حدوده سواء الزمانية أو المكانية ، أو الافتراضية ، وهـذا ليس بممتنع لا عقلا ، ولا عرفا — لأن كافة الممكنات ممثلة في آحاد أفرادها وهذا نوع من الانحصار .

أما الممتنع ، فهو تصور كل واحد مما لايتناهى منفصلا ، ثم يطلـق عليه لفظ المجموع باعتبار الانفصال الذي عرضنا له ، اذن النزاع قائم فـي الاعتراض على لفظ المجموع ، والمعنى المراد فيه ، فاذا تبين لنـا أن لفظ المجموع لم تكن له دلالة واحدة عند المتنازعين حتى يتم تحرير محـل النزاع ،أدركنا أن ما فهمه المعترض ليس هو ما قصده الشيخ عند تصـوير مذهبه . فليتأمل .

الثاني : ان أردت بالمجموع كل واحد من آحاد السلسلة ، فعلته ممكن آخر متسلسلا الى غير النهاية ، بأن يكون كل واحد منها علة لما بعده ، ومعلولا لما قبله ، من غير أن ينتهي الى حد يقف عنده .

وان أردت به الكل المجموعى فلا نسلم أنه موجود ، اذ ليس ثمـــة هيئة اجتماعية الا بحسب الاعتبار وما جزؤه اعتبارى لايكون موجودا خارجيا *

---

* أراد الشيخ تصوير الاعتراض الثاني على المسلك الثالث فقال : لعـل المعترض ينتقل الى معنى آخر من معاني مجموع الممكنات ، بحيث يقع على النحو التالي :

١ ــ أن يراد بالمجموع كل واحد من آحاد السلسلة .

وبالتالي فان المجموع من حيث هو مجموع آحاد ، لابد له من علـــة تستمر معه وتستمد وجودها من سلسلة الممكنات ، ويظل الأمر هكذا كـل واحد من آحاد سلسلة الممكنات علته ممكن آخر الى غير النهاية ، علـى أن يكون كل واحد منها علة لما بعده ، ومعلولا لما قبله ، ويظل الأمر هكـذا من غير أمد يقف الى حده، أو ينتهي اليه .

٢ ــ أن يراد بالمجموع الكل المجموعى الشامـل .

وفي هذه الحال يدعى الخصم أنه غير موجود في هيئة اجتماعية تعرف بأنها الكل المجموعى الشامل من حيث هو كل أما لماذا ؟ فلأنه ليـس هناك هيئة اجتماعية الا بحسب الاعتبار فقط ، لابحسب الوجود الخارجي ومن ثمّ . فان ما كان جزؤه اعتباريا لايكون موجودا خارجيا . ويبطل بهـذا الحكم على الممكنات من حيث أنها جمع ممكن ، وبالتالي تظل مسألة تسلسل العلل والمعلولات قائمة ، ولاتقف عند حد يسمى الواجب .

....

غير أن هذا الاعتراض تخالفه قواعد المنطق التى تعرّف الكل بأنه حكمنا على المجموع ، أى على جملة الأفراد من حيث كونها مجموعة بحيث لاينتقل فرد منها بالحكم ، كقولنا : كل بنى تميم يحملون الصخرة العظيمة ، أى هيئتهم المجتمعة من الأفراد ، لا كل فرد منهم على حدته ومنه قول الله تعالى : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾. فانه حكم بالحمل على الهيئة المركبة من كل من الثمانية مجتمعين ، لا على كل منهم باستقلاله. (١)

وبهذا يندفع الاعتراض الثانى على لغة المنطق ، وهو الذى لجأ اليه الشيخ فيما بعد حين تمسك بأن المراد من المجموع هو الكل من غير بحث عن حقيقته ، وحسنا صنع .

(١) شيخ الاسلام / حسن درويش القويسنى - شرح الشيخ القويسنى على متن السلم فى المنطق ص ١٨ ط الحلبى ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩م .

والجواب : أنا نريد بالمجموع الكل من حيث هو كل ، ولاحاجة الى اعتبار الهيئة الاجتماعية ، اذ الكل ههنا عين الآحاد كما في مجموع العشرة ، ولاشك أن الكل بهذا المعنى موجود ههنا *

---

* قصد الشيخ ههنا الجواب عن الاعتراض بأن المقصود من المجموع هو الكل من حيث هو كل بغض النظر عن أي معنى آخر ، ولاداعي لأي توابع أخرى ، بل ولاحاجة الى اعتبار الهيئة الاجتماعية ، اذ الكل ههنا المراد منه نفس آحاده ، فاذا قيل لفظ عشرة ، فليس المقصود هو لفظ العقود ، وانما المراد هو كل واحد من أفراد العشرة ، وان عبر عنها بالمجموع ، لأن " الكل في الحقيقة : هو الموضوع الذي هو المجموع المحكوم عليه" (١)

ولاشك أن هذا المعنى يكفي في الدلالة على أنه موجود ، سواء سميناه جملة الممكنات ، أو كل الممكنات ، أو الممكنات بأسرها ، أو أي لفظ آخر ، فانا نقصد أنها جميعا بأسرها محتاجة الى علة فاعلة موجدة تامة ، هي واجب الوجود ، وهو المطلوب اثباته .

---

(١) الشيخ / ابراهيم محمد الجيزاوي الباجوري ـ حاشية الباجوري على متن السلم ص ٤٢ ط الحلبي سنة ١٣٤٧ هـ .

....

كلمة حول الكلى وأنواعه :

الكلى يطلق باطلاقات عدة سواء فى علم المنطق ، أو فى علـــم التوحيد ، أو فى الفلسفة يجدر بنا أن نسجلها ههنا ، لأن الكلـــى هو : ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه .

(١) الكلى الحقيقى :

ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه كالانسان ، فانه كلـــى حقيقى يشترك فيه أفراد الانسان ، كأحمد ، محمد ، خالد ، وهبة الله ونعمة الله ، وحازم ، وبدر الدين ، ونصر الدين ، وكافة أفراد الانسان .

وانما سمى كليا ، لأن كلية الشئ انما هى بالنسبة الى الجزئى ، والكلى جزء الجزئى ، لأنه يتركب من كليّه بالتشخص ، كما أن الجزئـــى منسوب الى الجزء الذى هو كليّه " (١) . فيكون ذلك الشئ منسوبا الـــى الكل ، والمنسوب الى الكل كلى .

(٢) الكلى الاضافى : وهو الأعم من شئ .

" اعلم أنا اذا قلنا أن الحيوان مثلا كلى فهمنا كأمور ثلاثة هى :

أ - الحيوان من حيث هو هو فرس .

ب - مفهوم الكلى من غير اشارة الى مادة من المواد .

جـ - الحيوان الكلى ، وهو المجموع المركب منهما ، أى من الحيـــوان، والكلى .

---

(١) الشيخ الصبان - حاشية على شرح السلم ص ٦٢

....

والتغاير بين هذه الأمور الثلاثة ظاهر ، فان مفهوم الكلى ما لايمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه ، ومفهوم الحيوان الجسم النامى الحساس المتحرك بالارادة ، والفيصل فى هذه الأمور هو معرفة قواعد علم المنطق الذى قيل فيه : " انه كالسيف الذى يمكن أن يستخدم فى الحرب المقدسة ، أو لقطع الطريق " (١) .

(٣) الكلى الطبيعى :

هو الموجود فى طبائع الأشياء فى الخارج ، وسمى طبيعيا لأنه موجود فى الطبيعة على ما هو عليه كلفظ حيوان ، فانه كلى طبيعى ، لأنه طبيعة وحقيقة . أى ما صدق مفهوم الكلى عليه ، من حيث أنه معروضه كحيوان فيسمى كليا طبيعيا .

(٤) الكلى المنطقى :

وسمى كليا منطقيا ، لأن المنطق يبحث فيه .

وهو المفهوم الذى لايمتنع فرض صدقه على كثيرين ، أى الذى يعرض فى الذهن للمفاهيم المنتزعة من أفرادها الخارجية ، أى الحكم بالكلية ولأنه يبحث فيه من حيث هو أى من غير اعتبار بشىء مخصوص من ما صدقاته .

(٥) الكلى العقلى :

وسمى كليا عقليا ، لأنه لاوجود له الا فى العقل

وهو : المجموع المركب من العارض والمعروض ، ويسمى كليا عقليا لأنه لاوجود له الا فى العقل (٢) .

(١) فرد ريك روزنتال - التراث القديم فى الحضارة الاسلامية تقديم وتعليق د / عبد الله حسن المسلمى ص ١٤٨ ط مكتبة سعيد رأفت .

....

(٦) الكلى الذاتى :

وهو الذى يدخل فى حقيقة جزئياته ، كالحيوان بالنسبة للانسان والفرس عند تعريف كل منهما ، لأنا نعرّف الانسان بأنه : حيوان ناطق ، ونعرف الفرس بأنه حيوان صاهل .

(٧) الكلى العرضى (١)

هو الذى لايدخل فى حقيقة جزئياته ، بأن لايكون جزءا منها ، أو بأن يكون خارجا ، كالضاحك بالنسبة للانسان حين نعرّفه بأنه حيوان ضاحك .

وبعد فلعل هذه النبذة العجلى ، تكون قد أخذت بيدك الى ناصية عقلك ، فأعملت فيها الجد وانتظمت طريق الجادة ، فعلمت أن أن هنالك معلومات خبئة لو اقتنصتها فربما أراحتك فى حل مسائل كثيرة ، آملا منك دعوة صالحة ، وقلبا مبتهلا الى الخالق الكريم بالدعاء .

---

(١) راجع التعريفات للجرجانى ص ١٦٤ ط الحلبى .
والكل فى مباحث المنطق .

الثالث : ان أردت بالعلة ـ العلة التامة ، فلم لايجوز أن تكون نفسه؟
قولك : العلة متقدمة قلنا : لانسلم ذلك فى العلة التامة ، فانهـــا مجموع أمور كل واحد منها مفتقر اليه فيكون كل واحد من تلك الأمـــور متقدما على المعلول ، ولايلزم من تقدم كل واحد تقدم الكل ، كما أن كل واحد من الأجزاء متقدم على الماهية ، ومجموعها ليس متقدما ، بـــل هو نفس الماهية ، وان أردت بها أى بالعلة : الفاعل وحده فلم لايجوز أن يكون جزأه ؟

قولك : لأنه علة لكل جزء : فيكون علة لنفسه ، ولعلله ، قلنـــا : ذلك ممنوع ، ولم لايجوز أن يحصل بعض الأجزاء بلا علة ، أو بعلـــة أخرى ؟ *

---

* هذا هو الاعتراض الثالث على المسلك الثالث ، وهو يقوم علـــى محاولة اثبات أن الموجودات مستندة الى ذاتها ، وليست منتهية الـــى واجب الوجود ، واتخذ لذلك ما يلى :

أولا : أن علة الموجودات المتسلسلة هى العلة التامة المنحصرة فى ذات السلسلة .

ثانيا : لانسلم تقدم العلة وتأخرها فى العلة التامة ، لأنها مجموعـــة أمور كل واحد منها مفتقر اليه ، ولايلزم من تقدم كل واحد من أفرادهـــا تقدم الكل .

ثالثا : لانسلم أن علة كل جزء تكون علة لنفسه ولعلله حتى نقع فى مخالفة الضرورة العقلية ، فما المانع أن يحصل بعض الأجزاء بلا علة أو يحصـــل بعض آخر بعلة أخرى . =

والجواب : أن المراد بالعلة : هو الفاعل المستقل بالفاعلية ، وهو في مجموع كل جزء منه ممكن لابد أن يكون فاعلا لكل من الأجزاء ، على معنى أنه لا يستند شيء منها بالمفعولية الا اليه ، أو الى ماصدر عنه ، والا وقع بعض أجزائه بفاعل آخر ، لم يصدر عنه ، فاذا قطع النظر عنه ، أي عن الآخر لم تحصل الماهية المعلولة التي هي المجموع ، فلم يكن ذلك الفاعل فاعلا مستقلا بالمعنى المذكور ، وهو خلاف القدر .

استشعار :

فان قيل هذا الذي ذكرتموه منقوض بالمركب من الواجب والممكن ، فان مجموعهما من حيث هو مجموع لا شك أنه ممكن ، لاحتياجه الى جزئه الذي هو غيره ، مع أن فاعله ليس فاعلا لكل واحد من أجزائه .

وأيضا لو كان فاعل الكل بالاستقلال فاعلا لكل جزء منه كذلك ، للزم في مركب في أجزائه ترتب زماني كالسرير مثلا :

أ ـ اما تقدم المعلول على علته .

ب ـ أو تخلف المعلول عن علته المستقلة ، اذ عند وجود الجزء المتقدم

ولا شك أن هذا الاعتراض كسابقيه تم تناولها في صلب المسلك الثالث كما تم بسط القول فيها فلن نطيل في هذا المسلك لأن كل الاعتراضات من هذا القبيل الذي تبدو فيه صفة التكرار ، ولذا سأذكر جواب المتن والشارح في كل ما يتعلق بهذا المسلك على ما هو عليه اللهم الا اذا فرضت الضرورة نفسها ، ولو بوضع عناوين .

كالخشب ان وجدت العلة المستقلة للكل ، لزم الأمر الثانى ، وان لم توجد لزم الأمر الأول ، وكلاهما محال .

الجواب عن الاستشعار :

قلت : الجواب عن الأول ، وهو النقض أنا قيدناه أى الكل بما كل جزء منه ممكن ، كما مر آنفا فاندفع النقض .

فان قيل : نحن نمنع كون فاعل الكل فاعلا لكل جزء منه ، ونسنده بالمركب من الواجب والممكن ، فلا يجديكم أخراجه بقيد الامكان .

قلنا : هذا المنع مندفع بما قررناه من الدليل على أن الفاعل المستقل للكل يجب أن يكون فاعلا لكل جزء منه اذا كانت آحاده بأسرها ممكنة .

وعن الثانى — من الاستشعار — وهو المعارضة : — نقول جوابا — أن التخلف عن العلة الفاعلية المستقلة بالمعنى الذى صورناه لايمتنع انما الممتنع هو التخلف عن العلة الفاعلية المستجمعة لجميع ما يتوقف عليه التأثير ، أعنى العلة التامة ، على أنا نقول : كيف يتجه علينا ما ذكرتم ، والمراد بقولنا : علة الكل يجب أن تكون علة لكل جزء منه أن علته أى علة الجزء لاتكون خارجة عن علة الكل ، وبذلك الذى ذكرناه من المراد يتم مقصودنا .

وهو أن علة المجموع المركب من الممكنات كلها : لايجوز أن تكون جزاءه اذ يلزم حينئذ أن لاتكون علة ذلك الجزء خارجة عنه ، فهى :

أ ـ اما نفسه ، وهو محال .
ب ـ أو ما هو داخل فيه ، فينقل الكلام اليه حتى ينتهى الى ما يكون علة لنفسه .

وعلى تقدير التسلسل نقول : كل جزء فرض علة فى تلك السلسلة ، فان علته أولى منه بأن تكون علة لها ، فيلزم ترجيح المرجوح ، هذا خلف ، ولك أن تتمسك فى ابطال علية الجزء بهذا ابتداء .

ولا يلزم ما ذكرتم من أحد الأمرين ، اذ قد تكون علة كل جزء من الأجزاء جزء علة الكل ، بحيث يكون الكل علة الكل ، فعند وجود الجزء المتقدم توجد علته التامة ، وعند وجود الجزء المتأخر ، توجد علته التامة ، ويكون مجموع هاتين العلتين : علة تامة للكل ولا محذور فيه

نعم لو كانت العلة المستقلة للكل : عين العلة المستقلة لكل واحد من أجزائه لزم ما ذكرتموه .

﴿الفصل السابع﴾

((أدلة الايجي والشارح على اثبات وجود الله تعالى))

١ ــ وهو القائم على النظر الى وجوب الوجود له جل علاه

(المسلك الرابع : وهو ما وفقنا لاستخراجه)

ان الموجودات لو كانت بأسرها ممكنة : أى لو لم يوجد الواجب، لانحصرت الموجودات فى الممكن ، ولو انحصرت فيه لاحتاج الكل ، أى المجموع بحيث لايشذ عنه شىء من أجزائه الممكنة الى موجد ، لكونه ممكنا مركبا من ممكنات ، مستقل فى الايجاد . *

---

* هذا المسلك بديع متى فهم مراد الشيخ منه ، لأنه يقوم على ملاحظة :

١ - حالة الموجودات باعتبارها كلها ممكنة .

٢ - حالة افتراض عدم وجود الواجب .

٣ - حالة عدم المعلول بالقياس الى علته .

فافترض الشيخ أن الموجودات لو كانت بأسرها ممكنة : بمعنى أنه لم يوجد واجب الوجود ، وانحصرت كل الموجودات فى الممكن فقط ، فلا شك أن هذا الممكن كله محتاج الى أجزائه التى هى مكملاته ، بحيث لايشذ عنها شىء منها أبدا باعتبارها جميعا ممكنة .

ثم احتاج الكل الى موجد مستقل لكونه - الممكن - محتاجا الى هذا الموجد المستقل فى الايجاد له كله ، باعتبار أن الممكن مركب من ممكنات ، وفى نفس الوقت لايكون الموجد مستندا فى ايجاد هذه الممكنات أو تركيب أجزائها الى شىء من أجزائه كموجد ، بل الى الموجد المستقل سواء كان هذا السبب صادرا عن الموجد المستقل أو كان الموجد المستقل نفسه .

....

على أن هذا الموجد المستقل لكل الممكنات لابد أن ترجع اليه جميعها ، إما :

أ _ اليه وحده ابتداء ومباشرة .

ب _ واما بواسطة هي منه أيضا .

فاذا صح الفرض الأول واستقام في الذهن ، وهو أن الموجودات كلها ممكنة ، فقد استقام احتياجها الى موجد مستقل عنها وهو الله سبحانه وتعالى .

اما اذا افترض عدم وجود الواجب ، ففى نفس الوقت لابد من افتراض عدم وجود موجودات ، وهو مالايقول به عاقل ، اذ معناه أن العلة منعدمة فكذلك معلولها ، بينما الفطر والعقول تقر بأن الممكنات موجودة فثبت احتياجها الى موجد مستقل ، وهو الله رب العالمين .

بأن لايستند وجود شئ من أجزائه إلا اليه ، أو الى ما هو صادر عنه فيكون هو الموجد لكل واحد منها ، أما ابتداء ، أو بواسطة هي منه أيضا ، يكون ارتفاع الكل مرة ، أى بالكلية ، وذلك بأن لايوجد الكل ولا واحد من أجزائه أصلا ممتنعا بالنظر الى وجوده ، أى وجود ذلك الموجد المستقل اذ مالايمنع جميع أنحاء العدم لايكون موجبا للوجود ، لما عرفت من أن الممكن ما لم يجب وجوده من علته لم يوجد * ويلزم من ذلك امتناع عدمه من أجلها ، بحيث لايتطرق اليه العدم أصلا بوجه من الوجوه *

---

* قصد الشيخ هنا أثبات أن علة جميع الممكنات يجب أن تكون خارجة عن الجميع ، مباينة له ، ولاعبرة بملاحظة كون ذلك الجميع متناهيا ، لأن ثبوت الواجب يستلزم التناهي ، فمتى ثبت احتياج جميع الموجودات اليه على نحو ما فقد ثبت احتياجها يتناهيها ، وهو المطلوب اثباته ·

غير أن الشيخين — رحمهما الله — نظرا الى أمر وراء الممكنات ، وهو عدمها جميعا ، فكما لوحظ احتياجها الى موجد لها حتى توجد ، فقد قرراهنا مالو كان ارتفاعها كلها بالكلية الى دائرة العدم سواء كان الارتفاع كلية أو ارتفاع بعض أجزائه ، ولايكون ذلك أمرا ممتنعا فيها لأن طبيعة الممكن تقبل الوجود والعدم ·

وحيث أن الممكن لايمتنع من العدم فقد ثبت أنه ليس بواجب ، وما ليس بواجب يحتاج حتما الى موجد مستقل يدفع عنه العدم وينقله الى دائرة الوجود ، لأن مالايمنع جميع انحاء العدم لايكون موجبا للوجود ، وانما يكون ممكنا ، كما أن الممكن مالم يجب وجوده من علته لم يوجد ·

....

---

* امتناع العدم على الموجود الممكن كامتناع الوجود تماما بتمام ، من حيث أنه قابل لهما ، فمتى ثبت وجوده من علته الموجدة ، فقد امتنع عدمه من أجلها ، سواء كان عدما كليا ، أو عدما جزئيا ، أما لماذا ؟ فلأن العلة الموجدة تعمل معه العناية والاختراع ، وتحافظ على وجوده بما فيه منافعه ويصون عليه ذلك الوجود ، بل وتمنع من تطرق العدم اليه على أى نحو كان .

لأن وجوه العدم كثيرة ، منها فساد مبنى الممكن ، ومنها فقدان منافعه ، ومنها الاخلال بالغاية الموجودة فيه ، وهذه أجزاء عدمية بحيث يصح القول بأنها وجه من وجوه العدم الجزئى ، أما العدم الكلى ففيه اطاحة بالموجود كله الى دائرة الفناء ، وهو المراد بالعدم الكلى الشامل .

كما أن العدم أقسام بجانب أنه وجوه — فمن أقسامه

(١) عدم المخلوقات الأزلى — الماضى

ولا تتعلق به القدرة والارادة اتفاقا ، لأنه ليس ممكنا ، بل واجب العدم .

(٢) عدم المخلوقات فيما يزال

ويعنون به عدم المخلوقات فيما يزال قبل وجودها ، فان القدرة والارادة يتعلقان به بمعنى أنه فى قبضتهما ان شاءتا أبقتاه وان شاءتا أزالتاه ، وجعلتا الوجود مكانه .

....

(٣) عدم المخلوقات بعد وجودها في المستقبل

ويعنون به عدم المخلوقات بعد وجودها فيما يأتي من مستقبل الأيام ، فان القدرة والارادة يتعلقان به .

(٤) عدم الممكنات التي علم الله أنها لاتوجد .

كايمان أبي جهل ، فان القدرة والارادة يتعلقان به بالنظر الى ذاته (١) .

---

(١) شيخ الاسلام عبد الله الشرقاوي _ حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي ص ٦٥ بتصرف يسير .

ولا شك أن عدم المجموع يكون على أنحاء شتى : فانه قد يعدم بعدم هذا الجزء ، وبعدم جزء آخر ، وهكذا فالموجد المستقل للكل يجب أن يكون بحيث يمتنع بسببه جميع العدمات المنسوبة الى أجزائه والشيء الذى اذا فرض عدم جميع الأجزاء ، أى عدم أى واحد منها كان ذلك العدم ممتنعا نظرا الى وجوده يكون خارجا عن المجموع لانفسه ، ولاداخلا فيه ، لأن عدم شيء منهما ليس ممتنعا نظرا الى ذاته ، والاكان واجبا لذاته ، فيكون ذلك الخارج عن جميع الممكنات واجبا وجوده فى حد ذاته ، اذ لاموجود فى الخارج سوى الممكن والواجب وهو المطلوب *

---

* قصد الشيخ ابانة عدم المجموع ، وأنه يكون على أنحاء كثيرة منها
أ — عدم هذا الجزء بعينه الذى نعلمه نحن ونشاهده .
ب — عدم جزء آخر لانعلمه ولكنه مقدر فى الأذهان ، كما هو موجود فى الاعيان .

ثم وقف الشيخ عند نقطة هامة تكشف عن صفات الموجد المستقل وأهمها أنها تمتنع بسببه جميع العدمات من الوصول الى الممكن وكذلك من صفاته استمرار المحافظة على الكل الموجود بما يصونه .

كما أن هذا الموجد المستقل لايكون الا :

أ — خارجا عن مجموع الممكنات .

ب — مباينا لها جميعا من كافة الوجوه .

جـ — أن ذلك الخارج عنها المباين لها يكون واجب الوجود فى حد ذاته .

فان قلت : ثبوت الواجب على تقدير انحصار الموجودات فى الممكن يكون خُلْفًا لازما على تقدير نقيض المطلوب ، لامطلوبا ، كأنه قيل ، ان لم يكن الواجب موجودا لزم انحصار الموجود فى الممكنات ، ويلزم من وجود هذا الانحصار عدمه ، فيكون محالا ، فيبطل نقيض المطلوب فتظهر حقيقته :

قلت : نعم لكن الخلف اللازم قد يكون عين المطلوب ، ولذلك يقال هذا خلف ومع ذلك فهو مطلوبنا .

وهذا المسلك غير محتاج الى ابطال الدور التسلسل ، ومستخرج من ملاحظة حال عدم المعلول بالقياس الى علته ، كما أن المسلك السابق لوحظ فيه حال وجوده مقيسا اليها *

ثم انتهى الى أن الموجود اثنان لاثالث لهما وهما :

١ — الممكن وقد ثبت احتياجه ، وان له موجدا .

٢ — الواجب وقد ثبت وجوده واستغناؤه واحتياج الكل اليه .

وهو المطلوب ، ولو كان هناك شىء ثالث لكشف عنه البحث ، أما وأنه لم يكشف عنه ، فقد تقرر أنه لايوجد الا الممكن والواجب بأحكامهما التى سلف ذكر بعضها .

* هنا مجرد افتراض سؤال : يقوم على أن اثبات الواجب بانحصار الموجودات فى الممكن والواجب ، واثبات احتياج الممكن الى الواجب

....

فيه خلف (١) لازم على تقدير نقيض المطلوب ، ومعناه : إن لم يكن الواجب موجودا انحصرت الموجودات في الممكن وحده ، حتى يلزم المحال .

فأجاب بأن الخلف اللازم هنا هو عين المطلوب ، وبالتالي يبطل انحصار الموجودات في الممكن وحده ، ويلزم اثبات وجود واجب الوجود ، وهو عين المطلوب .

---

(١) الخلف هو اثبات الشيء بابطال نقيضه ، ويعرف عند رجال القانون بمفهوم المخالفة فمثلا تقول أنت الآن رجل صالح ، فإن المخالفة يعني أنك قبل الآن لم تكن صالحا .

المقصد الثاني

عرض الآراء في اثبات المماثلة أو عدمها

((الفصل الأول))

((نفي المماثلة))

(المسلك الخامس : وهو قريب مما قبله)

لو لم يوجد واجب لذاته ، لم يوجد واجب لغيره ، أى ممكن ، وحينئذ ، فيلزم أن لايوجد موجود أصلا ، ضرورة انحصار الموجود فى الواجب والممكن .

أما الأول : وهو أنه اذا لم يوجد واجب ، لم يوجد ممكن ، فلأن الواجب اذا لم يوجد كانت الموجودات بأسرها ممكنة ولاشك أن ارتفاع الجميع المركب من الممكنات فقط مرة ، أى بالكلية لايكون على ذلك التقدير ممتنعا لا بالذات ، وهو ظاهر لأنه وآحاده برمتها ممكنة ، ولا بالغير لما عرفت من أن الغير الذى يمتنع به رفع الجميع بالمرة لابد أن يكون موجودا خارجا عنه ، واجبا لذاته ، والمفروض عدمه .

وأما الثانى : وهو أنه اذا لم يوجد واجب بذاته ولابغيره ، لم يوجد موجود أصلا ، فلأن مالم يجب ، أما بالذات ، واما بالغير لايوجد كما تقدم من أن الموجود اما :

١ – واجب مسبوق وجوده بوجوبه الذاتى . واما

٢ – ممكن : مسبوق وجوده بوجوبه من علته .

وهذا المسلك : كالرابع فى الاستغناء عن حديث الدور والتسلسل ، وقريب منه مكشوف لا سترة به" (١)

---

(١) وقريب منه مكشوف فان الرابع : ناظر الى وجوب الوجود ، والخامس: ناظر الى امتناع العدم : وهما متقاربان ، الموقف الخامس فى الالهيات تحقيق د / احمد المهدى ص ١٥ .

(المسلك السادس : ما أشار اليه بعض الفضلاء)

وتحريره : أن الممكن لايستقل بنفسه فى وجوده ، وهو ظاهــر ، ولا فى ايجاده لغيره ، لأن مرتبة الايجاد بعد مرتبة الوجود ، فــان الشئ مالم يوجَد ، لم يوجِد ، فلو انحصر الموجود فى الممكن ، لــزم أن لايوجَد شئ أصلا ، لأن الممكن وان كان متعددا لايستقل بوجــود ولا ايجاد ، واذ لاوجود ولا ايجاد ، فلاموجود لابذاته ، ولابغيــره وهذا المسلك أخصر المسالك وأظهرها .

وقد ذكر ههنا أى فى مقام اثبات الصانع شبهات كثيرة ، أورد هـا الامام الرازى فى كتبه ، وأجاب عنها ، لكن حاصلها عائد الى أمر واحد وهو أن يوجد ههنا وفى كل مسألة تراد مذهبان متقابلان ، فيردد بينهما ترديدا مانعا من الخلو ، ثم يبطل كل واحد منهما بدليل الآخر ، ليلزم نفــى القدر المشترك .

وحلها اجمالا : هو القدح فى دليل الطرف الضعيف مــــن المذهبين ، أو فى دليلهما ان أمكن ، ولااستبعاد فى امكان القــدح فى دليلهما معا ، اذ قد يكون دليل الطرفين ضعيفا ، ولايلزم مــــن بطلان دليلهما بطلانهما ، حتى يلزم ارتفاع المتقابلين ، وذلك لأن : الدليل ملزوم المدلول ، وانتفاء الملزوم لايستلزم انتفاء لازمه .

ولنذكر منها ، أى من تلك الشبه مع اجوبتها عدة ، لتطلع بهــا على أحوال نظائرها .

<u>الأولى</u> : لو كان الواجب موجودا ، لكان وجوده : اما نفس ماهيتــه أو زائدا عليها ، أذ لامجال لكونه جزءا منها .

والأول باطل ، لأن الوجود مشترك كما مر ، والماهية غير مشتركة .

والثانى : باطل : والا كان وجوده معلول ماهيته ، لامتناع كونه معلولا لغيرها فتقدم ماهيته عليه ، أى على وجوده بالوجود ، وهو محال كما سلف .

والجواب : وجوده نفسه ، ونمنع الاشتراك فى الوجود الذى هو عينه بل المشترك هو الوجود بمعنى الكون فى الأعيان : أعنى مفهوم الوجود العارض للموجودات الخارجية ، وأما ماصدق عليه الوجود فلا اشتراك فيه ، وذلك كالماهية والتشخص ، أو وجوده غيره ، أى زائد عليه ، ومعلول لماهيته ، وتقدم الماهية عليه ليس بالوجود كما تقدم .

الثانية : من تلك الشبه ، لو كان الواجب موجودا لكان اما مختارا أو موجبا ، والأول باطل لأن العالم قديم بدليله ، والقديم لايستند الى المختار ، والثانى باطل : والا لزم قدم الحادث اليومى أو التسلسل ، وكلاهما محال .

والجواب : لانسلم أن العالم قديم ، وقد مر ضعف دلالته .

الثالثة : منها - أى من الشبه - لو كان الواجب موجودا لكان اما عالما بالجزئيات أو لا ، والأول - علمه بالجزئيات - باطل ، والا لزم التغير فيه ، أى فى ذات الواجب تعالى ، لتغير المعلوم الجزئى من حال الى حال ، فان زيدا مثلا يتصف تارة بالقيام ، وأخرى بعدمه والعلم لابد فيه من أن يطابق معلومه ، فيتغير أيضا بحسبه ، فلايكون

الواجب على هذا التقدير واجبا ، بل حادثا ، لأن محل الحوادث حادث .

والثانى : عدم علمه بالجزئيات ـ باطل : لأنا نعلم بالبديهة ، أن هذه الأعمال المتقنة المشاهدة فى الجزئيات ، لاتستند الى عديم العلم .

والجواب : نختار أنه عالم بالجزئيات ، والتغير اللازم فى العلم انما هو فى الاضافات لافى الذات ، أى لافى صفاته الحقيقية ، فان علمه تعالى صفة واحدة حقيقية قائمة بذاته ، ومتعلقة بالمعلومات كلها ،فاذا تغيرت لم تتغير تلك الصفة ، بل تغيرت تعلقاته بها ، واضافاتـه اليها ، فيكون تغيرا فى أمور اعتبارية ، لافى صفات حقيقية ، وانه جائز فى الواجـــب كما سيأتى .

ولنقتصر على هذا القدر ، فان هذا منشأ للشبهات التى طـــول بها الكتب ، وعد ذلك التطويل تبحرا فى العلوم ، وتوسعا فى التحقيق والتدقيق ، وعليك بعد الاهتداء اليه بما نبهناك به من الضابطة والأمثلة ان توقر من أمثاله الأباعر جمع بعير .

خاتمة للمقصد الأول :

لما ثبت أن الصانع تعالى واجب وجوده ، وممتنع عدمه ، فقـــد ثبت أنه أزلى أبدى ولاحاجة الى جعله مسألة برأسها .

قال الامام الرازي فى الأربعين كلاما محصله : انه لما ثبت انتهاء الموجودات الى واجب الوجود لذاته ، والعدم على الواجب ممتنع لزم كونه تعالى أزليا أبديا ، فلاحاجة الى جعله مسألة على حدة ، لكن المتكلمين لمّا لم يسلكوا تلك الطريقة ، بل أثبتوا أن هذه الممكنات المحسوسة محتاجة الي موجود سواها ، احتاجوا فى ذلك الى وجوه أخرى ، فقالوا : مثلا لو لم يكن أزليا ، لكان محدثا محتاجا الى محدث آخر ، وتسلسل ، ولو لم يكن باقيا دائما ، لكان عدمه بعد وجوده

أ - اما لذاته وهو باطل ٠

ب - واما بفاعل ، وهو أيضا محال ، لأن العدم نفى محض ، فيمتنع كونه بالفاعل ٠

جـ - واما بطريان ضد : وأنه مستحيل ، لأن القديم أقوى الضد به أولى من انعدامه بالضد ٠

د - واما بزوال شرط ، وهو ممتنع لأن المحدث لايكون شرطا للقديم وان فرض له شرط قديم ، نقلنا الكلام اليه ، ولزم التسلسل ٠

ولما بطلت الأقسام كلها ، امتنع طريان العدم على الصانـــع ، والمصنف صرح بأول كلامه ، ثم أشار الى آخره بقوله : والمتكلمـــون انما احتجوا بوجوه أخر عليه ، أى على كون الصانع أزليا أبديا ، قبـــل اثبات ذلك ، أى قبل اثبات كونه واجبا ، وعنه أى عن الاحتجاج بتلك الوجوه . على هذا المطلوب بعد بيان كونه واجبا ، غنى : فلانطول به الكتاب ، كما طول به الامام كتابه* على ما أشرنا اليه *

---

* قصد به الامام فخر الدين الرازى ، وكتابه الأربعين فى أصـــول الدين ، وتم تحقيقه عدة مرات ونشرته مكتبة الكليات الأزهرية .

* سلك الشيخان طريقا منضبطا بحيث وصل بهما فى النهاية الـــى أن العدم يلحق الممكن ولايلحق الواجب وهذا فى حد ذاته من الأدلة القوية على اثبات وجود الله تعالى لأنه الواجب الثابت الذى لايلحقـــه العدم بوجه من الوجوه .

وحيث أن الأقسام التى سلف بيانها قد ثبت بطلانها ، فقـــد امتنع حدوث العدم على الله تعالى — الصانع — وفى هذا كفاية لمـــن أراد الاكتفاء ، وفيه باب موصل الى منافذ كثيرة لمن أراد الاسترســـال فى المسألة .

غير أن الشيخ ذكر موقفا من مواقف المتكلمين يتعلق باثبات صفات لله عز وجل ، بعد أن ثبت وجوب وجوده ، منها أنه تعالى :

(١) أزلى : لا أول له .

(٢) أبدى : لا آخر له .

....

وكذلك سائر صفاته ، ولكن المصنف - رحمه الله - أشار الى أن اثبات كونه تعالى واجبا تأخر عن اثبات كونه تعالى أزليا أبديا وما دام قد ثبت أنه تعالى أزلى بمعنى لا أول له ، وأنه أبدى بمعنى لا آخر له ، فقد ثبت وجوب وجوده ، جل علاه .

وبهذا يكون قد انتهى المقصد الأول فى اثبات الصانع ، من المرصد الأول فى الذات ، من الموقف الخامس فى الالهيات ، حيث يمكننا الانتقال الى المقصد الثانى ، فى أن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات .

﴿الفصل الثامن﴾

٢ ـ أدلة اثبات وجود الله تعالى بناء على امتناع العدم
عليــه جل عــــــلاه

مع تحيات محمد كمال حسنين
للنسخ والطباعة ـ بالزقازيق شـــرقية
ت : ٠٥٥/٢٣٣٨٠٩

(المقصـــد الثانى) *

---

* الغرض من هذا المقصد هو عرض الآراء التى طرحها المتكلمون فى مسألة مماثلة ذات الله تعالى لغيرها من الذوات ، أو مغايرتها لها ، أعنى عدم المماثلة ، كما أنه بعد عرض الآراء يتم هدم الرأى الـــذى لايستقيم منها ، والابقاء على الآخر الذى ترجحه الأدلة النقليـــة ، ولايتعارض مع أصل سمعى .

والمعروض هنا أمور منها :

١ - اثبات أنه تعالى ذات لا كالذوات .

٢ - ان ذاته تعالى لها من صفات الكمال والجلال أعلاها .

٣ - أن ذات الله تعالى من حيث الحقيقة والكنه لايعلمها الا هو جل علاه ، يقول الامام الغزالى : رحمه الله - " لايعرف الله سبحانه وتعالى كنه معرفته الا الله تعالى " (١)

٤ - ان ذات الله تدرك بآثارها ، لا من حيث الحقيقة الذاتية "وقـــد حجب - الله - الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياتـــه ، والقلوب تعرفه ، والعقول لاتدركه ، ينظر اليه المؤمنون بالأبصار فى الآخرة ، من غير احاطة ، ولا ادراك نهاية " (٢)

٥ - رغم أن الذات الأقدس معرفته بالعقل ممكنة ، الا أن هذه المعرفة لاتجاوز فهم الآثار المنبثة فى الكون دالة عليه سبحانه وتعالـــى ،

---

(١) الامام الغزالى - إلجام العوام عن علم الكلام ص ٩٤

(٢) الامام الفخر الرازى عجائب القرآن ص ١٤٤ تحقيق عبد القادر أحمد عطا دار الكتب الاسلامية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م .

....

أما أن يدرك العقل ذات الله على حقيقتها فذلك محـــال

أما لماذا ؟

فلأن الله تعالى غير متناه ، والعقل متناه ، فهل يمكن للمتناهي وهو العقل أن يعرف حقيقة اللامتناهي وهو الله سبحانه وتعالى ؟ يقول الامام الفخر الرازى : " الله سبحانه وتعالى غير متناه فـى الذات والصفات ، والعقل متناه فى الذات والصفات والمتناهـى - العقل - لاسبيل له الى ادراك غير المتناهى ، وهذه هـى النكتة المستحسنة " (١)

٦ - أن ذات الله أزلية ، وكذلك صفاته تعالى ، ومع هذا فان صفاته تعالى ليست متغايرة فى نفسها ، يقول الامام الباقلانـــى : " صفات ذاته - تعالى قديمة أزلية ، ولم يزل موصوفا بهـــا ، ولايزال كذلك ، ولاتشبه بصفات المخلوقين ، ولايقال أنهـــا هو ولاغيره ، ولاصفاته متغايرة فى أنفسها (٢) .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٦ .

(٢) الامام الباقلانى - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به ص ٣٨ بتصرف يسير تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى طبعـة ٢ الخانجى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

....

٧ - أن ذات البارى حقيقة ثابتة ، أما صفاته تعالى ، فما هى الا معان أزلية " قائمة بذاته تعالى (١) ، وهى فى ذات الوقت ثابتة له تعالى وتعلقها بالذات قائم على نفس المعنى ، من حيث الأزلية والدوام .

٨ - أن ذات الله تعالى ، مخالفة لكل مخلوق " من أنس وجن وملك وغيرها ، فلا يصح اتصافه تعالى بأوصاف الحوادث ، من جلوس وقعود وجوارح ، فهو تعالى منزه عن الجوارح ، من فم وعين وأذن وغيرها ، فكل ما خطر ببالك من طول وعرض ، وقصر وسمن فالله تعالى بخلافه تنزه الله عن كل أوصاف الخلق " (٢) .

كما أن هذا المقصد الثانى ، عرض موقف الفريقين من المسألة ، ولئن كان عرضا مبسطا فيه الكثير من النتائج التى تم استخلاصها ، الا أنه أعطى مساحة كبيرة لمن يريد اعادة النظر فى المسألة فضلا :

١ - عرض موقف نفاة الأحوال .
٢ - عرض موقف مثبتى الأحوال .
٣ - عرض موقف قدماء المتكلمين .
٤ - حجّم الشبه التى يعترض بها على المذهب الحق ، ثم كرّ عليها بعد أن جمعها .

---

(١) الامام الشهرستانى - نهاية الاقدام فى علم الكلام ص ١٨١
(٢) الشيخ / محمد بن الشافعى الفضالى - كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام ص ٣٦ ، ٣٧ هامش تحقيق المقام .

....

---

٥ - دافع عن كل من الفارابي وابن سينا ومن معهما ، في الزعم عليهم بأنهم قالوا : ان ذاته تعالى ، وجوده المشترك بين جميع الموجودات ، ويمتاز عن غيره بقيد سلبي ، ثم قال : ولم يتحقق عندي هذا النقل عنهم ، بل قد صرح الفارابي وابن سينا بخلافه فانهما قالا الوجود المشترك الذي هو الكون في الأعيان زائد على ما هيته تعالى بالضرورة ، وانما هو مقارن لوجود خاص هو المبحث.

وبهذا تنتهي من عرض موجز للمقصد الثاني ، فيها ننتقل الى المصنف والشارح في عرضهما محتويات المقصد ، والآراء المطروحة فيه والتعليقات عليه .

... فى أن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات

اليه ذهب نفاة الأحوال : قالوا : والمخالفة بينه وبينها لذاتـــه المخصوصة ، لا لأمر زائد عليه ، وهو مذهب الشيخ الأشعرى ، وأبى الحسين البصرى ، فانهما قالا : المخالفة بين كل موجودين من الموجودات ، انما هى بالذات ، وليس بالحقائق اشتراك الا فــى الأسماء والأحكام دون الأجزاء المقومة * وعلى هذا فهو يتنزه عن المثل المشارك فى تمام الماهية ، والند الذى هو المثل المنادى ، تعالــى عن ذلك علوا كبيرا *

---

* القصد هنا بيان أنه تعالى ذات ، وأنها مخالفة لسائر الذوات، والمخالفة خصوصية من خصوصيات ذاته تعالى ، وليست الخصوصية أمر زائد على الذات الالهية ، وانما هى من ضروريات ذاته ومن ثم بدا لنا فريقان :

الفريق الأول : نفاة الأحوال :

الذين قالوا : ان المخالفة بين ذات الله ، والذوات الأخرى ، خصوصية من خصوصيات الذات ، ونفس هذا الرأى يمثل مذهب الأشعرى وأبى الحسين البصرى الذين مالا الى القول : بأن المخالفة بين كـل موجودين ، أى بين شخصين ، لأنه لاتوجد بين أفراد الانسان عندهم حقيقة مشتركة ، ومتى سلم بأن الشيخ الأشعرى قال " ان وجود كـل شئ عين حقيقته مع نفيه الوجود المطلق " (١) .

---

(١) د / أحمد المهدى - شرح المواقف - الموقف الخامس ص ٢١
وقد دارت تعريفات القوم للحال على نواح شتى أبرزها أن الحال هو :
أ - الواسطة بين الموجود والمعدوم .
ب - الحال صفة لموجود غير متصفة بالوجود ولا بالعدم - الامام الجوينى الارشاد ص ٨٠ =

....

كما أن هذا الفريق يميل الى القول : بأنه لاتوجد حقائق مشتركة الا فى الأسماء والأحكام أما الأجزاء المقومة فلا اشتراك فيها ، ومن هذا الباب استطاع نفاة الأحوال تنزيه الذات البارى عن :

١ – المثل المشارك فى تمام الماهية ، من حيث انها تمام الماهية ·

٢ – الند الذى هو المثل المنادى ، أى المعادى حيث أن مفهوم الند المعادى هو الشريك الناهض للآخر ، ومن ثم تنزه الله تعالى عن المثل المشارك له فى الألوهية ، والند المعادى له فى الخلق والايجاد ·

على أن نفاة الأحوال وان قصدوا بتنزيه البارى جل علاه ، عن المثل المشارك فى تمام الماهية ، وكذلك الند المعادى فى صفات الالهية ، فان هذا لايمنع من عرض رأى الفريق الثانى وهم مثبتة الأحوال (١) على ما سيأتى بيانه ·

= جـ – ان الحال يصعب تقديم تعريف له بالحد والرسم ، بالحد لأنه يقوم على الذاتيات ، والحال ليس له حد حقيقى حتى يعرف به·

د – ان الحال يمكن تعريفه بالرسم والخاصة حيث يكشف عن وظيفة الحال صفة من صفاته ، تراجع كتب الكلام فى المسألة ·

(١) مثبتة الأحوال ، ونفاة الأحوال : فريقان لكل منهما توجه فكرى واتجاه سائد فى الفكر الاسلامى وأول المسائل التى وقعت تلك التى كانت فى :

أ – تعريف الحال ب – وجود الحال من عدمه ·

جـ – الغرض عند المثبتة والنفاة ·

د – النتائج المترتبة على هذا الخلاف ·

وقال قدماء المتكلمين : ذاته تعالى مماثلة لسائر الذوات في الذاتية والحقيقة ، وانما تمتاز عن سائر الذوات بأحوال أربعة : الوجوب ، والحياة ، والعلم التام ، والقدرة التامة .

أى الواجبية ، والحيية ، والعالمية ، والقادرية التامتين ، هذا عند أبى على الجبائى ، وأما عند أبى هاشم فانه يمتاز عما عداه من الذوات بحالة خامسة هى الموجبة لهذه الأربعة نسميها الالهية .

قالوا : ولايرد علينا قوله تعالى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " * لأن المماثلة المنفية ههنا هى المشاركة فى أخص صفات النفس ، دون المشاركة فى الذات والحقيقة *

---

* سورة الشورى الآية رقم ١١
* هنا جاء دور

الفريق الثانى : مثبتو الأحوال :

الذين يرون وجود نوع من المماثلة بين الذات الالهية وبين سائر الذوات الأخرى لكن ليست مماثلة مطلقة ، أو على كافة الانحاء ، وانما هى مماثلة فى أمرين هما :

أ _ المماثلة فى الذاتية :

ويعنون بها أن ذات الله يطلق عليها ذات ، وكذلك كل ذات ، فانها من جهة هى ذات يقع فيها المماثلة ، وهى لاتعدو أن تكون مماثلة فى اطلاق اسم الذات على الجميع .

ب _ المماثلة فى الحقيقة

ويعنون بها الحقيقة اللغوية ، ذلك لأن الأصل فى الكلام الحقيقة

....

فاذا قيل مماثلة فى الذات فقد قصد الذاتية والحقيقة ، وهذا عند مثبتة الأحوال لاشىء فيه ٠

غير أن مثبتة الأحوال لجأوا الى تفرقة حاسمة بين الذات الالهيـة وغيرها من الذوات من حيث أن الذات الالهية تمتاز عن غيرها بأحـوال أربعة هى :

(١) الوجوب ٠ أى الواجبيـة ٠

(٢) الحياة ٠ أى الحييـة ٠

(٣) العلم التام ٠ أى العالمية التامة ٠

(٤) القدرة التامة أى القادرية التامة ٠

وهذه الامتيازات محل قبول من الجُبّائى وأبى هاشم ، لكن أبـو هاشم يزيد على ما سبق حالة أخرى تمتاز بها الذات الالهية عن غيرهـا من الذوات يسميها :

(٥) الالهيـة ٠

وهذه الصفة الخامسة ، أو الحال الخامس التى أضافها أبو هاشم تعتبر صمام الأمان فى كل الأحوال لأنها الموجبة لهذه الأربعة ، ولذلك خصها أبو هاشم بوصف الالهية ٠

لكن ربما عرض لهم ايراد مؤداه أن الله تعالى نفى المثلية عن نفسـه من كافة الوجوه فكيف وقعتم فى قبول المماثلة ؟ وذلك من مثل قوله تعالى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ " ؟ اجابوا بأن المماثلة أنواع :

....

---

(١) مماثلة فى الذات والحقيقة ، وهى لاتمنعها ، ولايرد عليهــا الاعتراض ٠

(٢) مماثلة فى أخص صفات النفس دون المشاركة فى الذات والحقيقــة وهى المقصودة بالنفس فى الآية ، وهم يقرون بنفيها عن اللــه ، وبالتالى فهم قد فهموا فى الآية فهما يقوم على الخصوص وليس على العموم والاطلاق ، حتى ماكان على جهة الورود فى الآيــــة القرآنية الكريمة ٠

فان قيل : المذكور في الموقف الثاني الموجودية ، بدل الوجوب وهو الموافق لما في المحصل والأربعين .

أجيب : بأن الوجود عند مثبتي الأحوال : مشترك بين الموجودات كلها ، فلا يتصور كونه مميزا ، فالمراد بالموجودية المميزة : هو الموجودية المقيدة بالواجبة ، فيرجع التمييز بالحقيقة الى القيد ، وتندفع المنافاة بين الكلاميين *

---

* هنا تصوير اعتراض يقوم على مراجعة الأحوال الأربعة التي تتميز بها الذات الالهية عن غيرها من الذوات ، وان المذكور في الموقف الثاني هو لفظ الموجودية ، بينما المذكور هنا هو لفظ الوجوب ، والفرق بين الوجوب والوجود كبير ، لأن الوجوب حكم بينما الوجود وصف .

أجاب مثبتو الأحوال بأن الوجود مشترك عندنا بين الموجودات كلها ، من حيث أنه وصف عام فكل موجود يوصف بالوجود ، وبالتالي فلا يعتبر مميزا لذات عن أخرى لأنه مشترك ، فلا يصح التميز به ، لأننا لو قلنا : محمد موجود ، وعلى موجود ، والشجر موجود ، والكتاب موجود ، فلا شك أنها جميعا مشتركة في الوجود ، وبالتالي فلا يصح الوجود مميزا بينها .

من ثم نقل مثبتو الأحوال القول الى الوجوب ، مع أن المراد عندهم من لفظ الوجود الوارد في محصل الرازي وأربعينه ، هو الموجودية المميزة ، وهي لاتكون مميزة الا اذا قيدت بكونها واجبة ، وعليه فيكون المميز هو الموجودية المقيدة بالواجبة ، من ثم يرجع التمييز بالحقيقة الى القيد المذكور بكونها الوجود الواجب ، وبهذا تندفع المنافاة بين الكلاميين ، وينقطع الاعتراض ، ويزول الاشكال .

لنا فى اثبات المذهب الحق أنه تعالى ، لو شاركه غيره فى الذات والحقيقة خالفه بالتعين ضرورة الاثنينية ، فان المتشاركين فى تمام الماهية لابد أن يتخالفا بتعين وتشخص ، حتى تمتاز به هويتهما متعددا ولاشك أن ما به الاشتراك غير ما به الامتياز ، فيلزم التركيب فى هوية كل منهما ، وهو ينافى الوجوب الذاتى ، كما تقدم *

---

* بعد أن عرض الرأيين ، وقف الشيخ عند اثبات المذهب الذى يراه حقا فى المسألة ، ولكن تبدو فى عبارته لهجة الموافقة لنفاة الأحوال ، ومن ثم نراه قد اتجه الى ابطال رأى المثبتة مباشرة ، رغم دعواه أنه يثبت المذهب الحق ، ويبدو أنه المذهب الذى ارتضاه فاعتبره حقا ، ونحن لاننازعه فيما رآه وهذا مجمل قوله :

افترض أننا رضينا المشاركة فى الذات والحقيقة ، لكن لو أن الله تعالى شاركه غيره فى الذات والحقيقة ، كما أدعى مثبتة الأحوال وهم الفريق الثانى — لوقعت المخالفة فى التعين ضرورة الاثنينية ، على معنى لو أن ذات البارى وذات غيره اشتركا فى الذات والحقيقة ، فلابد من مميز حتى نعرف أن هذه ذات الله ، وتلك ذات غيره ، ومن ثم فلابد من وقوع الاثنينية والتعين الملازم لها ، أما لماذا ؟

فلأن المتشاركين فى تمام الماهية ، كمحمد ، واحمد مثلا ، فانهما لابد أن يتخالفا بتعيين وتشخص حقا — احمد حيوان ناطق وهو تمام ماهيته ، ومحمد مثله ، لكن أحدهما أول ، وثانيهما ثان . أحدهما طويل وثانيهما غيره ، أحدهما فيلسوف وثانيهما نحوى ، ومن ثم نستطيع القول : محمد الفيلسوف ، واحمد النحوى مثلا .

....

حتى تمتاز هوية كل واحد منهما عن هوية الآخر ، وتتعددا لأنهما ليسا نسخة واحدة ، فاذا نقلنا هذا المعنى الى ما نحن فيه قلنـــا : ان ذات البارى تختلف عن ذات غيرها امتيازا بما به الهوية والتعـدد ، بحيث نقول : هذه ذات البارى ، وتلك ذات غيره مثلا .

ولاشك أن ما به الاشتراك فى الذات والحقيقة ، غير مابه الامتياز فى الهوية والتعدد ، ومن ثم يلزم التركيب فى هوية كل منهما ، ذات البارى وذات غيره ، ولاشك أن التركيب فى الهوية ان صح فى الممكنـات والواجب بغيره فلايصح فى الوجوب الذاتى كما تقدم من أن الوجوب الذاتى لاتركيب فيه ولاكثرة ، والا لزم الاحتياج .

وبهذا يكون الرد قد تم على القائلين بالمشاركة فى الـــذات والحقيقة ، من شبهة الأحوال ، ونظرا لأن سياق الرد كان فيه الجـدل بينا ، فقد وجدنا الآخرين يحتجون بأكثر من جهة محاولين اثبات أن الذات الالهية تشاركها غيرها فى الذاتية والحقيقة ، وتمتاز ذات البارى جل علاه بالوجوب والحياة والعلم التام والقدرة التامة ، والالهية علـــى ما سلف ذكره .

احتجوا : على كون الذات مشتركة بين الواجب وغيره بما مر فى اشتراك الوجود من الوجوه وتقريرها هنا : أن الذات تنقسم الى :

(١) الواجـــب .

(٢) الممكـــن .

ومورد القسمة مشترك بين أقسامه :

وأيضا : فنحن نجزم به ، أى بالذات ، مع التردد فى الخصوصيات من الواجب والجواهر ، والأعراض على قياس ما مر فى الوجود .

وأيضا : فقولنا : المعلوم ، أما ذات ، واما صفة ، حصر عقلى ، فلولا أن المفهوم من الذات شئ واحد ، لم يكن كذلك *

---

* احتج مثبتو الأحوال على ما أثبته الشيخ باحتجاج يحمل الكثير من الوجوه .

الوجه الأول : أن الذات تنقسم الى الواجب والممكن ، وهذا على سبيل الحصر العقلى قائم ، ولأن الذات هى مورد القسمة فلا شك أنها مشترك بين الذات الواجب ، والذات الممكن ، والمقصود ههنا مجـــرد اشتراك تفرضه طبيعة القسمة ، ولايستلزم هذا تركيب فى الذات الأقدس، لأنها واجبة الوجود بخلاف الذوات الأخرى الممكنة .

الوجه الثانى : نحن نجزم بالاشتراك فى الذات مع التردد فى الخصوصيات وهى ميدان تمتاز فيه كل ذات عن الأخرى بما يميزها من الواجـــب ، والجواهر ، والأعراض وهذا الاشتراك فى الذات لاينافيه الامتياز لأن : الواجب له ذات بصفاتها ، من كونها لاتوصف صفاتها بأنها أعراض ، وهذا التمايز يجعل الأمر مقبولا .

....

الوجه الثالث : قولنا المعلوم ، أما ذات ، واما صفة أمر قائم فى النفس على سبيل الحصر العقلى ، وهل هناك معلوم ليس ذاتا وليس صفة ومن ثم فان المفهوم من الذات فى كل شىء واحد ، لم يكن كذلك .

بهذه الوجوه الثلاثة يكون مثبتو الأحوال قد دافعوا عن وجهة نظرهم ، بل وحاولوا اشباع المسألة ردودا ، لكن لم تسلم لهم احتجاجاتهم والردود ، حتى أن المصنف أنبرى للجواب على كل ما أثاروه .

والجواب : أن المشترك مفهوم الذات ، أعنى ما يصح أن يعلم ، ويخبر عنه ، أو ما يقوم بنفسه ، وأنه أى مفهوم الذات على الوجهين أمر عارض للذوات المخصوصة ، المخالفة الحقائق ، على مآل قولهم : ان الأشياء متساوية فى تمام الماهية مع اختلافها فى اللوازم ، وهو غير معقـــول ، ومآل قولنا : الى عكس ذلك ، وهو ممكن .

وهذا الغلط منشأه عدم الفرق بين مفهوم الموضوع الذى يسمى عنوان الموضوع ، وبين ما صدق عليه هذا المفهوم : أعنى الذى يسمى ذات ـ الموضوع ، وقد ثبتت فى غير هذا الفن ، أن العنوان قد يكون :

أ ـ عين حقيقة الذات .

ب ـ وقد يكون جزءها .

جـ ـ وقد يكون عارضا لها .

فمن أين يثبته التماثل ، والاتحاد فى الحقيقة بمجرد اشـــتراك العنوان ؟ وهذه المغالطة منشأ لكثير من الشبه ، فى مواضع عديـدة ، فاذا انتبهت له ، أى لهذا المنشأ ، ووقفت على حاله ، وكنت ذا قلب شيحان ، أى يقظان غيور على حرمه التى هى بنات فكره ، انجلت عليـــك تلك الشبه ، وقدرت على أن تغالط غيرك ، وأمنت من أن تغالط أنت*.

---

* هذا الجواب الذى قدمه الامام الايجى وشارحه على احتجاجات مثبتى الأحوال يقوم على عدة أمور :

<u>الأمر الأول</u> : أن هناك خطأ وقع فيه المثبتون للمماثلة ، هذا الخطأ ناشئ عن عدم تفرقتهم بين عنوان الموضوع ، وبين ما صدق عليه هـــذا

---

(1) عنوان الموضوع هو المفهوم .

....

الموضوع(١) ، أما كيف ؟ فهو أن مفهوم الذات مشترك ، ويعرّفه بأنه ما يصح أن يعلم ، ويخبر عنه ، أو مايقوم مقامه بنفسه ، هذا عن مفهوم الذات الذى يقع فيه الاشتراك ، وأنه ينحصر بين وجهين هما : أنه يصح أن يعلم ويخبر عنه ، الثانى : أنه ما يقوم بنفسه •

ومفهوم الذات على أى وجه من الوجهين السابقين أمر عارض للذوات المخصوصة ، وليس ذاتيا لها ، على أساس أنها أمور متخالفة فى الحقيقة وان اشتركت فى المفهوم ، ومثبتة الأحوال ، أصحاب تماثل الذات الالهية من الذوات الأخرى وتمايزها بالوجوه الخمسة التى سلف ذكرها ـ يقولون : ان الأشياء متساوية فى تمام الماهية مع اختلافها فى اللوازم وهو غير معقول ، بينما الشيخ يذهب الى أن الأشياء المتساوية فى الماهية متساوية فى اللوازم وهو أمر ممكن •

وعلل هذا الخطأ بأن منشأه عدم فهم الفرق بين مفهوم الموضوع ، الذى هو عنوان الموضوع وبين ما صدق عليه هذا المفهوم ، يعنى الذى يسمى ذات الموضوع •

<u>الأمر الثانى</u> : اشتراك العنوان لايعنى التماثل والاتحاد فى الحقيقة أما كيف ؟ فلأن العنوان قد يكون :

١ ـ عين حقيقة الذات •

٢ ـ جزء حقيقة الذات •

٣ ـ عارضا لحقيقة الذات•

---

(١) الماصدق هم الأفراد الذين يصدق عليهم المفهوم •

وبالتالى فلا يثبت التماثل حتى نقول أن الذات الالهية تماثل غيرها من الذوات ، لأن كل ما يمكن التسليم الجدلى به هو اشتراك العنوان ، واشتراك العنوان لايثبت التماثل والاتحاد فى الحقيقة فثبت أنه لاتماثل .

الأمر الثالث : اشتباه العارض بالمعروض

العارض هو مفهوم الموضوع ، والمعروض هو ما صدقاته ، ولما لم يمكن فهم حقيقة كل منهما على حدة فقد وقع الخلط والخطأ ، بل ان الكثيرين الذين لايفرقون بين المفهوم والماصدق يقعون فى أخطاء كثيرة ، وشبه عديدة ناشئة عن عدم التماس التفرقة فضلا عن ممارستها .

ولذلك قدم الشيخ الايجى والجرجانى نصيحة لكل طالب علم ومعرفة هو الانتباه لمنشأ الخطأ فى كل الشبه ويعنون به عدم التفرقة بين المفهوم والماصدق ، بل انهما يدفعان طالب العلم الى الوقوف على حاله ، على أن يكون طالب العلم ذكيا فطنا غير غفل أو نائم ، وبالتالى فستنجلى أمامه كل الشبه ، ويستطيع أن يغالط غيره ، وفى نفس الوقت لايستطيع أحد أن يغالطه .

الفصل الثاني

((شبه القائلين بالمماثلة ودفعهـــــــا))

منها ، أي من تلك الشبه :

(١) قولهم : الوجود مشترك ، اذ نجزم به ، ونتردد في الخصوصيات
فنقول : المجزوم به مفهوم الوجود — العنوان — لا ماصدق عليه الوجود ،
— ذات الموضوع — لجواز أن يكون المفهوم خارجا عن حقائق أفـراده ،
المخالفة ، فلاتكون حقيقة الوجود أمرا واحدا مشتركا مجزوما به والنزاع ،
انما وقع فيه — ذات الموضوع — لافي مفهوم عارض لحقيقته .

(٢) ومنها قولهم : الوجود زائد ، اذ نعقل الوجود دون الماهيـة
كما في الواجب مثلا ، وبالعكس ، أي نعقل الماهية دون الوجود كمـا
في المثلث ، فلايكون الوجود عينا ، ولا داخلا ، قلنا فيه ما تقـدم
من أن الزائد مفهومه لا حقيقته .

(٣) ومنها الوحدة عدمية ، والا تسلسل .

= قلنا : اللازم من دليلكم على تقدير صحته أن يكون مفهوم الوحـدة
عدميا لا وجوديا ، اذ حينئذ يلزم تسلسل الوحدات الوجودية الـتي
مالانهاية لها ، ولايلزم هذا التسلسل فيما صدق عليه ، فانه مختلف ،
فبعضه وجودي ، وبعضه عدمي ، وبعضه زائد ، وبعضه نفس الماهيـة
كما مرت اليه الاشارة في مباحث الوحدة .

(٤) ومنها : الصفات زائدة على الذات ، والالكان المفهوم من العلم
ومن القدرة ، ومن الصفات الأخر شيئا واحدا ، هو عين الـذات ،
ولا شبهة في استحالته .

= قلنا : يكون ماصدقاه ، أي ماصدق عليه العلم ، والقدرة مثلا واحدا

وأما المفهوم : فلا يكون واحدا ، بل لكل منهما مفهوم على حدة ، وأمثال ذلك أكثر من أن تحصى ، فلنكتف بما ذكرنا ، اذ لا تخفى عليك حالها *

---

* نظرا لأن هذه الشبه الأربع واضحة ، وجاءت الردود عليها من كل ناحية حتى اقتلعتها من أطرافها ، فلن أطيل الكتاب بشرحها لوضوحها ، واضمار أغلبها فيما مر من شبه وردود .

تنبيـــــــــه

نقل عن الحكماء أنهم قالوا : ذاته تعالى وجوده المشترك بين جميع الموجودات ويمتاز عن غيره بقيد سلبى ، وهو عدم عروضه للغير فان وجود الممكنات مقارن لماهية مغايرة له ، ووجوده ليس كذلــك ، وفى هذه العبارة نوع قصور *

---

* صُوِّر ههنا رأى نقل عن الحكماء مؤداه ، أن ذاته تعالى هى وجوده المشترك بين جميع الموجودات ، لكنه يمتاز عن غيره مـــن الموجودات بقيد يقوم على السلب ، وليس على الايجاب ، ويعنـــون بهذا القيد ، عدم عروضه للغير . أما لماذا ؟

فلأن وجود الممكنات مقارن مقارنة تامة لماهية مغايرة له ، بمعنى أن وجود الممكنات من حيث هو وجود ، مقارن لماهية مغايرة لــذات الوجود وليست موافقة له .

أما وجوده تعالى ، فليس مغايرا لماهيته ، وبالتالى فان ذاتــه تعالى هى نفس وجوده المشترك .

وقد لوحظ فى العبارة نوع قصور نبه اليه الشيخ فى مضمون متنــه وكذلك فصله الشارح فى عبارته ، فلينظر اليهما معا .

والأظهر أن يقال : ذاته الوجود المشترك بين الجميع ويمتاز عن غيره بقيد سلبي ، هو أن وجوده ليس زائدا عليه ، بل هو عينه ، بخلاف سائر الموجودات ، فان وجودها زائد على ماهياتها .

أو يقال : ذاته ، وجوده المساوى لسائر الوجودات ، بناء على اشتراك الوجود ، ويمتاز عنها بعدم عروضه لماهيته ، بخلاف وجودات الممكنات ، فانها عارضة لماهياتها ، وهذا بطلانه ظاهر *

---

* حاول الجرجاني اصلاح القصور في عبارة الحكماء ، فنبه الى موطن القصور وهو : أن عبارة الحكماء ساوت بين ذات الاله تعالى ، وذوات الممكنات الموجودة من حيث أن وجود الله تعالى زائد عليه ، كما أن وجود سائر الموجودات زائد عليها وهذا لايليق .

لأن وجود الله ليس زائدا على ذاته ، بل هو عينه ، أما يكفى أنه الصفة النفسية الوحيدة من بين الصفات التي يسميها المتكلمون ويعدّونها عشرين بالاتفاق ؟ أما وجود الممكنات فزائد عليها ، من حيث هي ، ومن حيث ماهياتها ، وهذا نوع من اصلاح العبارة .

النوع الثاني : أن يقال في اصلاح العبارة : ذاته تعالى وجوده المساوى لسائر الموجودات ، بناء على اشتراك الوجود ، لكن ذاته تعالى تمتاز عن باقي الموجودات بأن الوجود ذاتي لها وليس عارضا عليها ، بينما باقي الموجودات يعرض لها الوجود في الماهية ، لأنها ممكنة ، والممكن يقبل الوجود والعدم ، والوجود بالنسبة لماهية الممكنات عارض بخلاف : ماهية الذات الأقدس ، ومع هذا فان ما نقل عن الفلاسفة ظاهر البطلان . أما لماذا ؟ فهذا ما فصله الشيخ الجرجاني فيما بعد فلنذهب اليه .

أما على المعنى الأول ، فلأنه يلزم منه أن تكون حقيقة الواجب أمرا مخالطا لجميع الممكنات حتى القاذورات ، ولايخفى استحالته .

وأما على المعنى الثاني ، فلأنه يلزم منه التساوي في الصفات اللازمة *

---

* بعد اصلاح القصور الوارد في عبارة النقل عن الفلاسفة نبه الشيخ الجرجاني الى بطلان هذا المنقول من ناحيتين وعلى معنيين .

(١) المعنى الأول : ذاته وجوده المشترك بين جميع الموجودات . وهذا المعنى باطل ، لأنه يلزم منه ، أن تكون حقيقة الواجب جل علاه ، أمرا مخالطا لجميع الممكنات حتى القاذورات ، وهذا أمر مستحيل ، يجب تنزيه الباري جل وعلا عنه ، فثبت أن ذاته تعالى ليست مماثلة غيرها من الذوات .

(٢) المعنى الثاني : ذاته وجوده المساوي لسائر الموجودات من حيث أنها تشترك جميعا في وصف الوجود ، وهذا باطل ، لأنه يلزم من هذه المساواة التساوي في كافة الصفات اللازمة ، وحيث يبطل هذا المعنى ، فقد بطل اتجاه النقل عن الفلاسفة في مؤازرتهم غيرهم .

قال المصنف : ولم يتحقق عندى هذا النقل عنهم ، بل قد صرح الفارابى وابن سينا بخلافه ، فانهما قالا : الوجود المشترك الذى هو الكون فى الاعيان زائد على ماهيته – تعالى – بالضرورة وانما هو مقارن لوجود خاص .

هو البحث ، هل هو زائد عارض لماهيته ، أو ليس بزائد ؟ *

---

* هذا الموقف يمثل شجاعة علمية وأدبية معا ، اذ لم يخض المصنف وشارحه فى الفلاسفة ، ولم يقبلا ما نقل عنهم ، ولو قبلاه ونالا منهم قدحا وقبحا وتجريحا ما كان عليهما تثريب ، لأن الجو العام مايزال معبأ بشحنات عدائية للفلسفة والفلاسفة ، حتى انك ترى من لايفهم عن الفلسفة شيئا يجادل فيها ، وربما أحل فيها أو حرم ، مع أنه لم يحلم عنها شيئا .

من ثم . أكد المصنف اللبيب الامام الايجى على أمور .

الأمر الأول : سلامة قلبه نحو الفلسفة والفلاسفة .

" الثانى : رغبته نصرة الحق أينما كان .

" الثالث : أن النقل عن الفلاسفة دخله الكثير من الاضافة والانتحال

" الرابع : تواضع الشيخين ودليلنا العبارة نفسها ،"ولم يتحقق عندى" حتى يترك الباب لمن يتحقق عنده النقل عنهم ، وارتضى الشارح الموقف من المصنف فلم يرفض أو يهاجم وما كان أيسره لو فعل .

الأمر الخامس : صحة النقل عن الفارابى وابن سينا ، وانهما قد صرحا بأن الوجود المشترك الموجود الذى هو الكون – الوجود فى الأعيان أمر زائد على ماهيته تعالى بالضرورة وهذا لايليق اطلاقه على الله تعالى .

....

انما الأليق أن يقال : ان وجود ـ الله تعالى ـ وجود مشـــترك لكنه مقارن لوجود خاص به جل علاه قام عليه هذا المقصد الذى فرغنا منـه ، وهو أن وجوده تعالى عين ذاته ، وليس زائدا عليـه ، كمـــا أنه وجود غير عارض لماهيته جل علاه ، بل هو ذاتى له ٠

المقصد الثالث

العلاقة بين وجود الله تعالى وماهيته

المقصد الثالث: هل وجوده تعالى نفس ماهيته ؟ *

* هذا المقصد عقده الشيخ كنتيجة للمقصد الثاني ، لأنه مرتب عليه ، ومرتبط به أيما ارتباط ، وهو قائم على عدة أمور منها :

(١) هل وجود الله تعالى نفس ماهيته ؟
(٢) هل وجود الله تعالى زائد على ماهيته ؟
(٣) لعل وجود الله مساو لوجود الممكنات ؟
(٤) هل وجود الله مخالف لوجود سائر الممكنات ؟

تلك هي الأسئلة الأربعة التي حملتها الينا أنباء المقصد الثالث وحيث قد ذكرت هذه الأمور الأربعة فيما سلف ذكره ، وتقدم في الموقف الثاني شرح واستطراد لهذه فلا نطيل القول : فيها أما لماذا؟! فلأن الموقف الثاني في الأمور العامة تناول ، مما تناول :

(١) المرصد الأول في الوجود والعدم وفيه سبعة مقاصد :
المقصد الأول : في تعريف الوجود .
المقصد الثاني : في أنه مشترك .
المقصد الثالث: في أنه زائد على الماهية أو نفسها أو جزؤها .
المقصد الرابع : في الوجود الذهني .
المقصد الخامس: في تمايز المعدومات .
المقصد السادس: في شيئية المعدوم .
المقصد السابع : في الحال والمذاهب فيه .

....

(٢) الموصد الثاني : في الماهية ، وفيه أثنا عشر مقصدا هـــذا مجملها :

المقصد الأول : تمييز الماهية عما عداهـــا .

المقصد الثاني : اعتبار الماهية بالقياس الى عوارضها .

" الثالث : رأى أفلاطون في وجود مجرد أزلي .

" الرابع : تقسيم الماهية الى بسيطة ومركبة .

" الخامس : تقسيم الأجـــزاء .

" السادس : في أن الماهيات مجعولة أم لا ؟

" السابع : المركب اما ذات واما صفة .

" الثامن : في تركب الماهيـــــة .

" التاسع : احتياج اجزاء الماهية المركبة بعضها الى بعض .

" العاشر : في تركب الماهية من الجنس والفصل وكون الفصل علة .

" الحادي عشر : في أن الماهية تقبل الشركة دون التعيين .

" الثاني عشر : في أن التعيين ، إن علل بالماهية انحصر نوعها في الشخص .

المقصد الثالث : فى أن وجوده نفس ماهيته كما هو مذهب الشيخ وأبى الحسين ، والحكماء ، أو زائد عليها كما هو مذهب جمهور المتكلمين ، وأنه مساو لوجود الممكنات ، أو مخالف ، وقد تقدم فى الأمور العامة ما فيه كفاية ، فلا معنى للاعادة *

ولاشك أن المرصدين السابقين قد استوفيا الحديث عن الوجود والماهية ، وعلاقة كل منهما بالآخر وأرى فى اعادة حكايتهما مرة أخرى نوعا من الاطالة التى لاتجدى نفعا ، وفيهما أكثر من اجابة على المقصد الثالث "هل وجوده تعالى نفس ماهيته"

- محتوى هذا المقصد الثالث :

كان نتيجة للمقصدين السابقين ، ومن ثم نجد مايلى :

(١) الرأى الأول : أن وجوده تعالى نفس ماهيته ، وهو مذهب نفاة الأحوال ، وهو مذهب الشيخ الأشعرى ، وأبى الحسين من المعتزلة والحكماء ، وهم نفاة الأحوال .

(٢) الرأى الثانى : أن وجوده تعالى زائد على ماهيته ، وهو مذهب جمهور المتكلمين .

لكن هذا الوجود الزائد ينقسم الى :

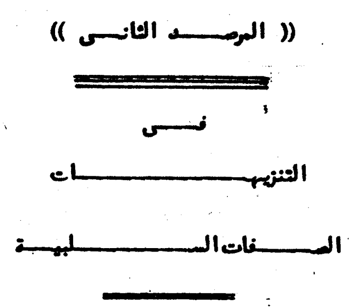
أ — وجود مساو لوجود الممكنات .

ب — وجود مخالف لوجود الممكنات .

وغنى عن البيان القول بأن الشيخين الايجى والجرجانى ، قد ذكرا المقصد الثالث ، متضمنا موقف الفريقين دون ترجيح ظاهر ، ولكن

....

يبدو أن مسألة الترجيح قد ساقها الشيخان فى المقصد الثانى ، وهو الميل الى نفى الأحوال ، ولذلك رأيناهما يعارضان مثبتة الأحوال ، ويؤكدان على أن المماثلة بينه تعالى وسائر الممكنات منفية من كافة الوجوه على ما سبق ذكر طرف منه ، وبهذا فان المرصد الأول قد انتهى ، فلنمد رحلنا الى المرصد الثانى فى التنزيهات .



((المرصد الثاني))

في

التنزيهات

الصفات السلبية

المرصد الثاني (١)

هذا المرصد يمثل بالنسبة للامام الايجي الصفات السلبية والتي تسمى صفات الجلال ، لأن المشهور هو أن الصفات الوجودية تسمى صفات الاكرام بينما السلبية تسمى صفات الجلال ، وهذا المرصد قد جعله الرجل في الصفات السلبية أعني التنزيهات مقدما اياه على غيره ، فان قيل لم فعل الامام الايجي هذا فقدم التنزيهات ـ الصفات السلبية ـ على غيرها مما لابد منه واعني به الوجودية ؟ ، قلنا أن الصفات الوجودية تخص صفات الكمال بينما السلبية فيها تنزيه عن النقائص والمعلوم أن ما فيه تنزيه عن النقائص أهم وأولى من اثبات الصفات الوجودية سواء كانت زائدة على الذات ـ عند القائلين بها ـ أو غير زائدة .

كما أن التنزيهات فيها نفي للنقائص كلها عن الله واثبات الكمالات له سبحانه وتعالى ـ وهذا في حد ذاته ربما كان القصد الأسمى من بعثة الأنبياء والمرسلين ، بل المعروف أن الشيء يثبت بابطال نقيضه ، فاذا انتفت السلبيات فقد ثبتت كافة الكمالات وهو المقصود .

---

(١) المرصد هو : الموضع الذى تعين فيه حركات الكواكب وتسجل فيه الزلازل وجمعه : مراصد / المعجم الوجيز مادة رصد ص ٢٦٦/ وقد استخدم الامام الايجي كلمة المرصد على أنه قعد للأمر يرقبه فكأن المرصد هنا هو الموقع الذى تنتظر فيه المسائل حتى تعرض عرضا جيدا بعد نقدها ومناقشتها .

....

وقد جعل الايجى هذا المرصد سبعة مقاصد ، ضمن الأول منها نفى الجهة عن الله ـ تعالى ـ ونفى المكان بحيث أكد على أن الله تعالى ـ ليس فى جهة ولا فى مكان ما يتخيله العقل أو يتوهمه ..... وأكد أن الجهة والمكان ما هما الا مفاهيم أن ثبتت فى حق المخلوقين فلا تثبت على ذات النحو للخالق ـ جل علاه ـ لأن الصفات السلبية " هى ما سلبت نقصا لايليق بمولانا عز وجل " (١) .

كما انه فى المقصد الثانى نفى الجسمية عن الله وما يلحقها ، وان الجسمية يلزمها أمور يجب نفيها عن الله تعالى ، أما فى المقصد الثالث فقد خصه الشيخ بنفى الجوهرية والعرضية عن الله تعالى وأكد أن الله تعالى ليس جوهرا سواء عند المتكلمين أو الحكماء ، لأن الجوهر (٢) عند كليهما يوصف ويحد ويحتاج الى أعراض تقوم به أو محل يقع فيه والله سبحانه وتعالى منزه عن هذا كما نفى العرضية عن الله ، لأن العرض (٣) يحتاج الى محل يقوم به والله سبحانه وتعالى مستغن ولايقال عليه محتاج

---

(١) د / سليمان سليمان خميس / محاضرات فى العقيدة ص ٥٨ مطبعة عطايا أول ١٩٦٣ .

(٢) الجوهر ينقسم الى بسيط روحانى كالعقول والنفوس المجردة ، والى بسيط جسمانى كالعناصر ، والى مركب فى العقل دون الخارج ـ كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والعقل ، والى مركب منهما كالمولدات الثلاث " التعريفات ص ٧١ .

(٣) العرض هو " الموجود الذى يحتاج فى وجوده الى موضع أى محل يقوم به كاللون المحتاج فى وجوده الى جسم يحله ويقوم هو به وينقسم العرض الى نوعين : =

....

وستفنى في آن واحد ، من هنا أكد الشيخ على نفى الجسمية والعرضية عن الله سبحانه وتعالى .

كما أنه جعل المقصد الرابع في نفى أن يكون الزمان وعاء لوجود الله - تعالى الله عن ذلك - بمعنى نفى الشيخ أن يكون الله موجودا يجرى عليه الزمان ، واكد على هذا القول بتحريك معنى الزمان عند المتكلمين والحكماء وأرباب الملل وكان الشيخ دقيقا حينما أعلن عن وجود أسرار أخر تتعلق بهذا المقصد خشى الشيخ اعلانها نظرا لعدم تمكن العقول من فهمها .

ثم أنه في المقصد الخامس نفى أن يتحد الله بغيره ، وأكد على أن الاتحاد والحلول فيهما حصول تبعية واحتياج الى محل وهذا في حد ذاته ينفى عن الله الوجوب الذاتى ، ومن ثم لجأ الشيخ الى ابطاله وعدم التعويل عليه ، وبين أن أصحاب القول بالحلول بالاتحاد كلامهم فيه فرق لقدرات العقل وقبح لايقبله المسلم .

أما المقصد السادس فقد اعتبره الشيخ قائما على امتناع قيام الحوادث بذاته تعالى سواء على معنى أن الحادث هو الذى كان بعد أن لم يكن ، وأن الحادث هو الذى لم يكن ثم كان ، ففى الأول - كان بعد أن لم يكن - ايجاد بعد عدم ، وفى الثانى - لم يكن ثم كان -

---

(١) النوع الأول : قار الذات : وهو الذى يجتمع أجزاؤه فى الوجود كالبياض والسواد .
النوع الثانى : غير قار الذات : وهو الذى لايجتمع أجزاؤه فى الوجود كالحركة والسكون - التعريفات ص ١٢٩ .

....

العدم بعد الوجود ، وأكد الشيخ على أن الله واحد بذاته لايتحد بغيره ، ولاتقوم الحوادث به وهكذا وصل الشيخ الى حقيقة هامة وقف عندها وهى تقسيمه الصفات الى أقسام ثلاثة ينضبط بها الموقف وهى :

١ ـ حقيقة محضة كالسواد والبياض والوجود والحياة ٠

٢ ـ حقيقة ذات اضافة كالعلم والقدرة ٠

٣ ـ اضافية محضة كالمعية والقبلية وفى عدادها الصفات السلبية

من ثم فان الصفات السلبية هى النوع الثالث ، وأعنى به الاضافية المحضة أما المقصد السابع فقد جعله الشيخ تحصيلا لحاصل أو نتيجة لسابق فقد ذكر فيه اتفاق العقلاء على أن الله تعالى لايتصف بشىء من الأعراض المحسوسة بالحس الظاهر كالطعم واللون ، ولا بالحس الباطن كالرائحة والألم ، وأكد أن الله سبحانه وتعالى لايتصف بشىء منها أبدا ثم انتهى الى سلب كافة الصفات عن الله واثبات التنزيهات له جل علاه على ماسوف نتناوله بشىء من التوضيح أثناء حديثنا عن المرصد الثانى وبالله التوفيق ٠

المقصد الأول

((نفي الجهة والمكان عن الله تعالى))

الفصل الأول

((عرض أدلة نفي الجهة والمكان))

المقصد الأول

المرصد الثانى فى تنزيهه تعالى وهى الصفات السلبية ، وفيه مقاصد سبعة :

المقصد الأول : ما أنه تعالى ليس فى جهة ولا فى مكان *

---

* قصد الشيخ بهذا المقصد أن يفصل أمرين :
الأول : نفى أن يكون الله فى جهة من الجهات .
الثانى : نفى أن يكون الله تعالى فى مكان من الأمكنة ، أما لماذا ؟ فلأن المعنى الأول وهو : نفى الجهة عن الله قائم بنص القرآن الكريم فى قوله تعالى : " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير" ومن ثم فالله لايوصف بأنه فى جهة معينة والا لزم انحصار - سبحانه وتعالى - فى هذه الجهة والانحصار دليل على المحدودية والتناهى ، والله سبحانه وتعالى ليس محدودا وليس متناهيا .

وأما على نفى المكان من الله سبحانه وتعالى ، فهو أمر بدهى لأن ما يكون فى مكان يجب أن يكون جوهرا أو عرضا حتى يقبل القول بحلوله فى مكان ما ، ولو ثبت مكان الله سبحانه وتعالى اما جوهرا أو عرضا ، وليس واجبا للوجود ، وبالتالى أكد الشيخ على نفى الأمرين السابقين معا ، وربما يقال : اذا لم يكن الله فى جهة ، فلماذا تعبدنا عند الدعاء بالتوجه الى السماء ؟ والجواب :
أن النصوص متوافرة على الدعاء ، أما تحديد الجهة فليس محل اجماع من العلماء وهذا أمر ، وأمر آخر هو : أن هذه الأمور تعبدية غير معقولة المعنى والأمر فيها قائم على صدق الايمان وصحة الاعتقاد من غير نظر الى حقيقة التكليف .

وخالف فيه المشبهة وخصصوه بجهة الفوق اتفاقا *

---

* قصد الشيخ بهذا أن يقرر رأى المشبهة فى المسألة الأولى وهى : الجهة حيث يرى المشبهة أن لله جهة لكن أى جهة قصدوا ؟ وأى مشبهة قصد الشيخ ؟ وبخاصة أن المشبهة أنواع منهم :

١ — مشبهة الحشوية " الذين أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة اذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد الى حد الاخلاص والاتحاد المحضين " (١)

٢ — مشبهة الشيعة الغالية : وهم الذين يتفقون مع الحشوية فى أن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض على ما حكاه عنهم الشهرستانى ويضاف اليهم الهشاميون من الشيعة وغير الذين صرحوا بالتشبيه وأولوا آيات القرآن الكريم الى هذه الأفكار التى انطلقوا اليها وهم فى مجملهم قد " زادوا فى الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها الى النبى — صلى الله عليه وسلم — وأكثرها مقتبسة من اليهود ، فان التشبيه فيهم طباع حتى قالوا : اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وأن العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الجديد ، وأنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع " (٢) .

---

(١) الامام الشهرستانى / الملل والنحل جـ ١ ص ١٠٥ / تحقيق الاستاذ / عبد العزيز الوكيل .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٦ .

....

اذًا يمكن القول بأن المشبهة هم فرقتان ، فرقة تشبه ذات الله بذات غيره من المخلوقين ، وفرقة ثانية تشبه صفاته تعالى بصفات غيره من المخلوقين ، وبهذا يمكن القول بأن المشبهة قد بان أمرهم .

والشيخ ههنا حكى وجه المخالفة الذى قام عليه المشبهة فى اثبات الجهة لله تعالى ، وحيث قد أثبتوها فان جهة الاثبات عند هم قامت على الفوقية وهى أن الله فوق عباده فوقية فعلية تتناسب مع مفهومهم السائد من اثبات الجسمية لله - تعالى - وبخاصة اذا عرفنا أن المشبهة سواء من غلاة الشيعة أو الحشوية يقررون فكرة الحلول ، حيث يرى بعضهم أن الحلول أمر لا مفر منه بل هو مذهبهم وبخاصة الغلاة من الشيعة الذين عُرفوا بمذهب الحلول ، بينما يرى أغلبهم جواز ظهور البارى جل علاه بصورة شخص بناء على أن جبريل الأمين - عليه السلام - كان ينزل للنبى - صلى الله عليه وسلم - فى صورة أعرابى وظهر لمريم رضى الله عنها فى صورة بشر سوى .

وهذه الفوقية محل اتفاق من حيث هى جهة الفوق لكنها ليست محل اتفاق من حيث الكنه والحقيقة ، ولذلك صورهم الامام الايجى وشارحه تصويرا أبان فيه موقفهم بوضوح وتفصيل .

ثم اختلفوا فيما بينهم :

فذهب أبو عبد الله محمد بن كرام الى أن كونه فى الجهة ككون الأجسام فيها وهو أن يكون بحيث يشار اليه أنه ههنا أو هناك ، قال وهو مماس للصفحة العليا من العرش ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات وعليه اليهود حتى قالوا : العرش يئط من تحته أطيط الرحل الجديد تحت الراكب الثقيل وقالوا انه يفضل على العرش من كل جهة أربعة أصابع ، وزاد بعض المشبهة كمضر ، وكهمس واحمد الهجيمى أن المخلصين من المؤمنين يعانقونه فى الدنيا والآخرة *

---

* قسم الامام الايجى وشارحه المشبهة الى أقسام حيث ذكر القسم الأول منها وهو قسم أبو عبد الله محمد بن كرام ، وهذا الفريق يذهب الى أن كونه تعالى فى جهة ككون الأجسام فى ذات الجهة ، بمعنى أن الأجسام تشغل حيزا من الفراغ فاذا وضعت فيه أمكن أن يشار اليها وان تحدد وتوصف والله سبحانه وتعالى كذلك لكنه فى جهة الفوق ويعنون بها الصفحة العليا من العرش .

وبالتالى فان الايجى وشارحه قد عملا على ابراز مذهب هذا الفريق من كل ناحية وأكدا أن هذا الفريق يجوّز على الله تعالى الحركة والانتقال وتبدل الجهات مع أن الحركة عرض يلزم جوهرا والانتقال كذلك ، وقد سبق أن الله منزه عن هذه وتلك ، وأنه تعالى لا يوصف بالجوهرية ولا العرضية ولذا حكم الايجى بأن هذه الأفكار التى يرددها هذا الفريق تمثل فى حقيقتها مذهب اليهود فى الله سبحانه وتعالى .

ويفرق الايجى بين هؤلاء المشبهة وغيرهم بزيادة صفات على ذات

....

الباري تتعلق باثبات الجسمية التي من لوازمها الجهة والحركة والثقل والخفة .

وقد بلغ من فجورهم أن قالوا : أن عرش الرحمن يحدث صوتا من ثقل الرحمن عليه تشبيها بالمركب الذي يكون على ظهر الدابة فيحدث صوتا عند استعماله ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ ورغم أن ماذكروه هو من قبيل أسماء الأصوات " صوت أطيط الرحل الجديد " فقد بلغت بهم الأوهام أن قالوا ، ان الرحمن في جلسته على عرشه فانه يزيد جسده على جسم العرش من كل جهة ، أربعة أصابع ورغم أنهم لم يعرفوا مفهوم الأصبع عندهم أو الزيادة التي يرددونها ، فان هذا على ميزان الاسلام لايقبل بل أن هؤلاء المشبهة كفرة بالاجماع ، لأنه أمر قائم على اثبات الجسدية التي ينهض لها الاحتياج ، وهذا كله مما لايقره الشرع الشريف بل أن العلماء والراسخين على نفي الجهة عن الله تعالى سواء من حيث هي أو على سبيل الكنه والحقيقة .

ولم يقف الشيخ عند هذا وانما ذكر من المشبهة مضر وكهمس واحمد الهجيمي الذين زادوا على غيرهم زيادات هي أدخل الى الكفر وأقرب الى الالحاد حيث ذكروا أن المخلصين من المؤمنين يعانقونه في الدنيا والآخرة رغم أن هذا الزعم وهذه الزيادة تنتهي بهم الى التجسيم والتشبيه الذي يرفضه كل مسلم ولايقره الا كل ملحد ، لأنه لم يقع في الدنيا لأحد ولو وقع لذكر لكنه لم يذكر ، اذاً هو لم يقع .

....

كما أن هذا الفريق قد عمد الى ارسال شبهة غير مدعمة بدليل وماذلك الا أثر من آثار الغالية الذين " غلوافى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة ، وحكموا فيهم بأحكام الألوهية فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير " (١)

---

(١) الملل والنحل/الامام الشهرستانى ص ١٧٣ .

ومنهم من قال هو محاذ للعرش غير مماس له ، فقيل بعد ، عنه بمسافة متناهية وقيل بمسافة غير متناهية *

---

* هذا هو الفريق الثاني من المشبهة الذين تشعبوا واختلفوا في مفهوم الجهة بعد أن اتفقوا على كونه تعالى في جهة، ومجمل رأى هذا الفريق هو أن الله — تعالى — في جهة فوق وأنه محاذ للعرش محاذاة كاملة غير مماس له ، وكأن العرش والرحمن خطان ممتدان من غير تماس لكن هذا الفريق لم يسلم من الاختلاف بين أعضائه لذلك رأيناه ينقسم الى قولين متباعدين :

— القول الأول: الذين يرون أن الله محاذ للعرش غير مماس له لأنه بعيد عنه بمسافة صغيرة متناهية في الصغر ، محصورة بين حاصرين .

— القول الثاني : الذين يرون أن الله محاذ للعرش غير مماس له بمسافة غير متناهية بمعنى أن المسافة بينهما لا يقع فيها التناهي وانما هي ممتدة لآخر مدى ، الا أن هذا الفريق بجزئيه عليه من الطعون والنقودات ما لا يكفى فيه الترميم ، ولذلك رأينا الامام الايجي وشارحه يذكران هذا الفريق ومن سبقه ثم يجعلان الرد على الجميع بعد حكاية المذاهب التي ارتضعوا ألبانها وافترشوا أرضها والتحفوا سمواتها .

ومنهم من قال ليس كونه فى الجهة ككون الأجسام فى الجهة والمنازعة فى هذا القائل راجعة الى اللفظ دون المعنى ، والاطلاق اللفظى متوقف على ورود الشرع به ٠٠ *

---

* أراد الايجى وشارحه ذكر الفريق الثالث من المشبهة الذين قالوا أن الله فى جهة غير أن هذا الفريق ينفى مفهوم الجهة على المعنى الذى ذكره الفريق السابق ، وهذا نوع من اللولبية ومحاولة الهرب من الأحكام ، اذ كيف تكون الجهة قائمة ولاتقع المشابهة طالما رضينا بوجود نوع من المماثلة وبالتالى ترجع المسألة الى اللفظ ذاته وما اذا كان متفقا مع المعنى أم مختلفا وما اذا كان الاطلاق اللفظى متوقفا على ورود الشرع أو غير متوقف الا أن هذا الفريق وان حاول الهرب من مفهوم الجهة فانه لاشك واقع فيه بل من لوازمه وماذلك الا لأن القوم — المشبهة قد وقعوا فى تشبيه ذات البارى بذوات غيره وتشبيه صفات البارى بصفات غيره ، وآية ذلك : أن المشبهة يقولون : روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : لقينى ربى فصافحنى وكافحنى ووضع يده بين كتفى حتى وجدت برد أنامله " (١) ٠

وبعيدا عن تقسيم المصنف وشارحه فان القول منا بنفى الجهة عن الله تعالى على وجه العموم أمر مقرر فى النصوص الشرعية بل المؤمن يقربه من غير ادخال لعقله فى المسألة اللهم الا أن يكون دوره بالنسبة لهما محددا فى تصورها كشبهة وردها لأنها لم تثبت على نحو مقبول ولذلك رأينا الايجى وشارحه يقيمان الأدلة على ابطال كون الله فى جهة واثبات تنزهه سبحانه وتعالى عن الجهة وغيرها بكافة الأنواع متى كانت مخلة بمبدأ التنزيهات بالنسبة لله رب العالمين ٠

---

(١) الامام الشهرستانى الملل والنحل ص ١٠٦

لنا في اثبات هذا المطلوب وجوه .

الأول : لو كان الرب تعالى في مكان أو جهة لزم قدم المكان أو الجهة وقد برهنا أن لاقديم سوى الله تعالى وعليه الاتفاق من المتخاصمين*

---

* القصد ههنا هو تقديم أدلة جديدة على نفي المكان والجهة عن الله تعالى ومؤدى هذا الدليل هو : اذا افترض أن الله تعالى في مكان ما ، لزم قدم المكان نفسه باعتباره محلا لله تعالى ، وحيث أن الله قديم فيلزم قدم المكان ويوجد بالتالي قديمان هما الله والمكان ومادام الأمر قد استقر بين المتكلمين وغيرهم على أن القديم واحد هو الله سبحانه وتعالى ، فقد لزم نفي المكان عنه جل علاه .

الفرض الثاني : لو كان الله تعالى في جهة ما لزم قدم الجهة ، ومادام الأمر قد وقف عند حدوث الزمان والمكان وعدم قدم أي منهما والجهة تابعة للمكان فقد ثبت نفي الجهة عن الله تعالى طبقا لانتفاء المكان على ما سلف بيانه أما لماذا ؟

فلأن المجسمة - رغم أنهم مثبتة - أثبتوا لله الجهة ، وحددوها بأنها جهة العلو فقط - الفوق - ونفوا عنه سبحانه وتعالى سائر الصفات الأخرى ، كما نفوا عنه تعالى بقية الأمكنة ، وذلك راجع الى طبيعة المكان حسب فهمهم له ، كما أن المشهور وقوع خلاف بين المتكلمين في المسألة - معنى المكان - على أنحاء شتى وأقوال متباينة ، منهم :

(١) فريق ذهب الى أن المكان - بُعْدٌ - مفروض ان شغله جسم يسمى " ملاء " .

(٢) فريق ذهب الى أن المكان - بُعْدٌ - مفروض ان لم يشغله جسم يسمى " خلاء " .

الثاني : المتمكن محتاج الى مكانه ، بحيث يستحيل وجوده بدونــه والمكان مستغنٍ عن المتمكن لجواز الخلاء ، فيلزم امكان الواجـــب ووجوب المكان ، وكلاهما محال *

هذا عند المتكلمين المتناولين له .

وعلى كل . فان هذا كله منفي عن الله تعالى ، لأن هناك محـل اتفاق بين الفـرقاء هو أن الله تعالى قديم وحده ، وماسواه حــادث ومنه المكان والجهة على ما أبان عنه المصنف وشارحه ، وثبت أنه تعالـى مخالف لسائر الحوادث ، ولاقديم سواه .

* حتى يثبت المصنف وشارحه أن الله تعالى مخالف للحوادث ، ونفى المكان والجهة عنه سبحانه وتعالى فقد سلك عدة طرق سبق ذكر الأول منها ويفصل الشيخ الثاني ههنا . بأن الله تعالى ليس في جهة علـــو ولا سفل ولاغيرها من الجهات أما لماذا ؟

فلأن " الجهات اما حدود وأطراف للأمكنة ، واما نفس الأمكنـــة باعتبار عروض اضافتها الى شئ ، فمثلا هذه الحجرة بالنسبة لما تحتها في جهة العلو ، وبالنسبة لما فوقها في جهة السفل ، فالجهات اذا : اما حدود الأمكنة ، واما نفس الأمكنة ، باعتبار عروض اضافتها الى شـئ آخر فاذا أنتفى عنه المكان انتفت عنه الجهة ، على أننا قد أثبتنا أنه تعالى ليس جوهرا ولا جسما ، واذا انتفى عنه ذلك انتفى كونه في مكـان أو جهة أو حيز ، لأن الذي يحتاج الى المكان أو الحيز أو الجهة انمـا هو الجوهر أو الجسم ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك فهو مـستغنٍ عن المكان والحيز والجهة " (١)

---

(١) دكتور / سليمان سليمان خميس — محاضرات في العقيدة ص ٦٥

....

ثم انه يعرض هنا لاثبات مطلوبه بدليل آخر قوام هذا الدليل هـو أن المتمكن محتاج الى مكانه الذى يشغله ، ومادام محتاجا فقد استحال استغناؤه عن مكانه ، وفى نفس الوقت فان المكان يستغنى عن المتمكـن اذ لاتوجد ضرورة قاضية بأنه متى وجد المكان وجد المتمكن ، بل العكس قائم ، وهو أنه متى وجد المتمكن احتاج الى المكان ، ومن ثم فان الرب تعالى لو كان فى مكان للزم قدم المكان ، واحتياج البارى جل علاه الـى المكان وهذا محال .

كما أن هذا الجانب يلزم عليه امكان الواجب ، وهو محـال لأن الواجب هو الثابت الوجود الذى لايقبل العدم أصلا ، بينما الممكـن هو الذى يتساوى وجوده مع عدمه ، فلو كان الله تعالى فى مكان لـزم أمور كثيرة منها :

١ ـ قدم المكـان .
٢ ـ احتياج المتمكن للمستغنى .
٣ ـ قلب الحقائق فى كل من الواجب والممكن .
٤ ـ احالة الممكن الى الوجوب رغم أن طبيعته الامكان وليس الوجوب .

ومن ثم . فان هذه الأمور كلها محالة ، لأن المكان حادث ، والمستغنى لايحتاج ، وحقائق الأشياء ثابتة ، وبالتالى فقد تم المطلوب وهو استحالة أن يكون الله تعالى فى جهة أو مكان ، وبطل قول المشبهة على كافة نواحيه التى سلكوها .

الثالث : لو كان فى مكان فإما :

١ - أن يكون فى بعض الأحياز

٢ - أو فى جميعها .

وكلاهمـــا باطـل .

أما الأول : فلتساوى الأحياز فى أنفسها ، لأن المكان عنـد المتكلمين هو الخلاء المتشابه ، وتساوى نسبته أى نسبة ذات الواجب اليها ، وحينئذ فيكون اختصاصه ببعضها دون بعض آخر منها ترجيحا بلا مرجح ، أن لم يكن هناك مخصص من خارج ، أو يلزم الاحتيـاج أى احتياج الواجب فى تحيزه الذى لاتنفك ذاته عنه الى الغير ، ان كان هناك مخصص خارجى *

---

* هنا أبرز المصنف وشارحه الفرض الثالث حتى يتم له مخالفته تعالى للحوادث ، وابطال المكانية والجهة عن الله تعالى ، واثبات تنزهـه تعالى عنهما ، بناء على أنه لو كان الله تعالى فى مكان للزم أحـد وجهين :

الوجه الأول : أن يكون الله تعالى فى بعض الأحياز .

بمعنى أن تشغل ذاته تعالى بعض المكان ، وليس كل المكـان وهذا الوجه باطل ، أما لماذا ؟ فلأن الأحياز كلها متساوية فـى أنفسها ، ولأن المكان عند المتكلمين - كما سبق ذكره - هو الخـلاء المتشابه ومن ثم فاختصاص ذات البارى ببعض الأحياز المتساوية فـى نسبتها الى الله تعالى ترجيح للأمر والاحتياج ثم يقع أحد أمريـن كلاهما باطل .

....

الأمر الأول : يلزم الترجيح بلا مرجح :

هذا الترجيح هو اختصاص ذات البارى ببعض الأحياز المكانية ، أو التى تمثل المكان على وجه الاجمال ، دون مرجح وهو باطل .

الأمر الثاني : يلزم الاحتياج

وهذا الاحتياج قائم على أن ذات البارى اختصت ببعض الأحياز دون بعض آخر ، وهذا الاختصاص فيه لزوم احتياج الواجب فى تحيزه الى الغير ، مع العلم أن الواجب لاتنفصل ذاته عنه حتى يحتاج الى الغير ، وصفة الواجب أنه الثابت الذى لايقبل العدم أصلا ، ومن ثم فان هذا الوجه باطل أيضا .

وثبت أن الله تعالى مخالف للحوادث ، كما أنه تعالى يستحيل أن يكون فى مكان أو جهة ، كما ثبت استحالة أن يكون له مخصص من خارج يرجح بعض الأحياز - بالنسبة له - على بعضها ، أو يكون البارى محتاجا اليه فيها .

وأما الثانى . وهو أن يكون فى جميع الأحياز ، فلأنه يلزم تداخل المتحيزين ، لأن بعض الأحياز مشغول بالأجسام ، وأنه أى تداخل المتحيزين مطلقا محال بالضرورة .

وأيضا فيلزم على التقدير الثانى . مخالطته لقاذورات العالم — تعالى عن ذلك علوا كبيرا *

---

* هذا هو الوجه الثانى الباطل من الافتراض الثالث ، اذ أن المصنف وشارحه بعد أن فرغا من ابطال كون الله فى بعض الأحياز ، شرعا فى ابطال كونه تعالى فى جميع الأحياز ، واستخدما طريقة العكس والطرد ، ومؤدى هذه الطريقة قائم على أنه اذا قيل أن لله مكانا ، فلا يخلو الأمر من أن يكون الله فى بعضه أو فى كله ، وبطل أنه فى بعضه لما سبق بيانه ، وبقى أمر آخر هو أنه فى كل الأحياز وهو باطل ، أما لماذا ؟ فلأنه يلزم :

(١) تداخل المتحيزين مطلقا وهو محال بالضرورة .

ذلك أن الله سيكون حسب قولهم — تعالى الله عن ذلك — حيزا ، والمكان نفسه متحيز ، فاذا قيل ان الله فى كل المكان فقد لزم تداخل ذاتين فى حيز واحد ، وهو محال . ووجه الاحالة قائم على أنه ما من جسم متحيز الا متداخل فى غيره كما أن غيره متداخل فيه حتى المكان نفسه متداخل فى ذاته باعتباره أجزاء صغيرة مركبة تمثل جوهرا متحيزا والخلاء على هذا ممنوع .

(٢) مخالطة ذات البارى — باعتباره جوهرا متحيزا — لكافة الجواهر والمتحيزات حتى قاذورات العالم التى تمثل حيزا ، وتشغل فراغا وتقوم فى مكان ، فهذا المكان اذا افترض أن الذات البارى جل علاه فى كل

....

الأحياز للزم أن تخالط ذات الله غيرها من الذوات الحالة فى ذات المكان ، فضلا عن أن تحل فى المكان ذاته وتخالطه عينه ، وفى تقديرى : أن هذا الجدل قد جاء من تأثر المسلمين بالثالوجيا التى هى علم الربوبية الذى يشبه علم التوحيد فى الاسلام ، وهو العلم الذى يبحث فى الله وصفاته وأفعاله ، وما يجب له ، وما يجوز عليه ، وما يستحيل ، ويؤيد ذلك بأدلة عقلية (١) .

بل يمكن القول : بأن هذا الأمر - وجود الذات البارى فى جميع الأحياز - يمثل لونا من الاتحاد الجوهرى ، والحلول الذاتى والتناسخ البدنى ، مما لايقول به أحد من أهل الاسلام ، لأن الله تعالى ليس جوهرا ، ولا عرضا ، ولايحل فى مكان ، ولاتوجد جهة تحده تعالى .

وهذا الأمر كسابقه محال بالضرورة ، وباطل عقلا ، وغير مقبول شرعا ، ولذلك نبه الشيخان الى ابطاله ، وأنه محال .

---

(١) الدكتور / عزت قرنى - مدخل الى الفلسفة ص ١٣٢ مكتبة سعيد رأفت .

الرابع : لو كان متحيزا لكان جوهرا ، لاستحالة كون الواجب تعالى عرضا ، واذا كان جوهرا فاما :

(١) أن لاينقسم أصلا .

(٢) أو ينقسم .

وكلاهما باطل .

أما الأول : فلأنه يكون حينئذ جزء لايتجزأ ، وهو أحقر الأشياء ، تعالى الله عن ذلك .

وأما الثاني : فلأنه يكون جسما ، وكل جسم مركب ، وقد مرّ أنه أى التركيب ينافى الوجوب الذاتى ، وأيضا . فقد بينا أن كل جسم محدث ، فيلزم حدوث الواجب *

---

* هذا الفرض الرابع قائم على أنه لو كان الله تعالى متحيزا لكان نوعا من الجواهر ، أما لماذا ؟ فلأن الواجب لايكون عرضا ، وبالتالى فيمكن أن يكون جوهرا ، لكن اذا فرضناه جوهرا فلن يخلو أمره من أحد وجهين :

الوجه الأول : أن يكون هذا الجوهر غير قابل للقسمة أصلا ، وهو باطل ومحال ، لأنه سيكون الجزء الذى لايتجزأ ، وهو أحقر الأشياء ، والله تعالى منزه عن ذلك كله . اذن كونه جوهرا غير منقسم أمر محال وباطل .

الوجه الثانى : أن يكون هذا الجوهر منقسما . ومن ثم يكون جسما لأنه قابل للانقسام ، وكل جسم يتكون من أجزاء صغيرة اذن هو مركب منها ، والمركب محتاج الى :

....

أ - أجزائه التي تركب منها .
ب - مركب يجمع هذه الأجزاء ويركبها .

وهذا كله ينافي الوجوب الذاتي ، وان كان يتفق مع الوجوب لغيره أو بغيره ، لأن الواجب بذاته واحد من كل وجه ، مستغن عن الغير ، لايقال عليه أنه مركب لامن أجزاء بسيطة ولا من غيرها ولايقال عليه أنه جوهر ولايقال عليه أنه عرض ، انه واحد من كافة الوجوه وعلى كافة الأنحاء مستغن عن الكل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

اذن ثبت كون الواجب تعالى ليس في جهة ، ولامكان ، ولاتحيط به جهة ولايتسع له مكان كما أنه قد سبق القول بأن كل جسم محدث لأنه محتاج الى أجزائه والى مركب لهذه الأجزاء ، فلايكون المحدث قديما ، والا لزم حدوث الواجب ، وهو محال ضرورة ، ممتنع لاتصدقه حقائق الأشياء وماهياتها بل تعانده وتعارضه ، لأن الواجب في ماهيته يخالف المحدث في تعريفه ، وحيث قد ثبت نفي الجهة والمكان عن الله تعالى ، فقد ثبت له تعالى من التنزيهات مخالفته تعالى للحوادث ، وأنه تعالى ليس في جهة ولا مكان .

وربما يقال في ابطال الثاني : لو كان الواجب جسما لقام بكل جزء منه علم وقدرة وحياة مغايرة لما قام به الجزء الآخر ، ضرورة امتناع قيام العرض الواحد بمحلين ، فيكون كل واحد من أجزائه مستقلا بكل واحد من صفات الكمال ، فيلزم تعدد الآلهة .

وهذا المستدل يلتزم أن الانسان الواحد علماء قادرون أحياء كيلا ينقض دليله بالانسان الواحد لجريانه فيه ، وهذا الاستدلال ضعيف جدا ، فجواز قيام الصفة الواحدة بالمجموع من حيث هو مجموع فلا يلزم ماذكر من المحذور*

---

* استشعر هنا أمرا قائما في الذهن يتأيد به ابطال كون الله تعالى في جهة من الجهات مع مراعاة حال الانقسام في الجسم نفسه ومؤدى هذا الاستشعار هو : لو كان الواجب جوهرا جسما لاينقسم فلاشك أنه سوف يقوم بكل جزء من أجزائه علم ، وقدرة وسائر الصفات مع مغايرة هذه الصفات الموجودة في ذات الجزء للصفات الأخرى الموجودة بالجزء الآخر ، أما لماذا ؟

فلأنه يمتنع قيام العرض الواحد بمحلين في وقت واحد ، حيث أن العرض إن حل في محل فقد امتنع على الآخر وبالتالي يكون كل واحد من أجزائه وحدة مستقلة لها من الصفات ما يميزها عن غيرها مع أن هذه الصفات كلها من صفات الكمال ، فيلزم من ذلك :

(١) تعدد صفات الكمال على عدد من الموصوفين - أجزاء الجسم ، الجوهر الذي لاينقسم ، باعتبار أن الله تعالى جوهر متحيز في جهة من الجهات ومكان من الأمكنة -

....

(٢) تعدد الآلهة ، لأن هذه الصفات التي هي صفات الكمال لايوصف بها الاله جل علاه وهذا كله باطل ومحال .

ورغم أن هذا الاستدلال يعضد السابق عليه مباشرة ، في عدم كون الاله تعالى في جهة أو مكان ، الا أنه فرض تعوزه أمور كثيرة ، لأنه يقوم على اعتبار أن الانسان الواحد تمثل اجزاؤه عددا كبيرا منه ونعنى به أفراد الانسانية ، لأن هناك فرقا بين الانسان الواحد الممثل فيه الانسانية ، وبين الانسان الواحد الذي يمثل فردا في هذه الانسانية والفرق كبير .

فمثلا الانسان الواحد تتمثل فيه الانسانية كلها ، والحيوان الواحد تتمثل فيه الحيوانية كلها ، وكذلك النبات الواحد ، والجماد الواحد ، أما واحد الانسانية أو واحد الحيوانية ، فهو فرد من جملة كثيرة ويصدق عليه أنه واحد منها ، ولايصدق عليه أنه ممثل لها .

وحيث أن المستدل قد تبنى الثاني — واحد الانسانية — فان استدلاله ضعيف جدا ، أما لماذا ؟ فلأن الصفة الواحدة يمكن وصف المجموع بها من حيث هو مجموع ، كالحيوانية التي يوصف بها محمد وأحمد والحصان والنباتية التي يوصف بها التفاح والحنظل ، وهذا الوصف قائم وجائز أن يوصف المجموع من حيث هو مجموع بالصفة الواحدة فلا يلزم تعدد الالهة على ما مال اليه المستدل .

نعم يلزم ما مال اليه متى كان المقصود هو استقلال كل جزء من الأجزاء ، بكل واحد من صفات الكمال وهذا مما لم يُسَلَّمْ له ولم يُسَلِّمْ به

....

الخصم ، وماذكر في بداية الفرض الرابع أقوى ما استشعروه في ابطال كون الله تعالى في جهة أو في مكان .

أجل بذل ابن سينا ومن معه مجهودات كبيرة لاثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز في جسم كالكليات الانسانية والحيوانية المشتركة ، باعتبارها كليات موجودة في الذهن وقد نجح في اثبات ذلك ، ولكن المسألة هنا قائمة على اثبات موجود خارج الذهن ليس بجسم قائم بنفسه لايمكن الاحساس به ، وقد نازعهم ابن تيمية المسألة ورد عليهم في اثباتها .

يقول أحد الباحثين :

« من ثم رد ابن تيمية على ابن سينا وأتباعه ، لما أرادوا اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز في جسم فقال : هؤلاء كان عمدتهم اثبات الكليات الانسانية المشتركة ، والحيوانية المشتركة وهذه كليات في الذهن فلم ينازعهم الناس في ذلك ، وانما نازعوهم في اثبات موجود خارج الذهن ليس بجسم قائم بنفسه لايمكن الاحساس به ، وكان الرد عليهم بأنه يمكن الاحساس به ، وان لم نحس به في الدنيا ، كما لانحس بالجن والملائكة ، ولكن غيرنا يحس به كالأنبياء الذين رأوا الملائكة وسمعوا كلامهم » (١) .

---

(١) الدكتور الطبلاوي محمود سعد ـ موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد ص ١٢٤ مطبعة الأمانة .

وربما يقال . فى نفى المكان عنه تعالى : لو كان متحيزا لكـــان مساويا لسائر المتحيزات فى الماهية فيلزم حينئذ أما :

١ ـ قدم الأجســـام .

٢ ـ أو حدوثـــــه .

لأن المتماثلات تتوافق فى الأحكام ، وهو أى هذا الاســـتدلال بناء على تماثل الأجسام ، بل على تماثل المتحيزات بالذات *

---

* هنا استثمار آخر قصد به نفى المكان عن الله تعالى بناء علـــى لزوم التساوى فى الماهية ومؤدى هذا الاستثمار هو :

لو أن الله تعالى كان متحيزا كسائر المتحيزات ، لكان مساويـــا لها فى الماهية والتعريف الخاص بها ، وحينئذ يقع الأمر بين واحـــد من أثنين كلاهما باطل .

الأمر الأول : أن تكون الأجسام قديمة ، لأنها مساوية لله تعالى فـــى الماهية والتحيز ، وهذا باطل لما سلف القول من أن ماسوى اللـــــه تعالى حادث (١) .

الأمر الثانى : حدوثه تعالى . وهذا محال لأنه ثبت كون البارى تعالى قديما أزليا أبديا ، ووجه بطلان الأمرين على هذا الفرض قائم علـــى ناحية واحدة وهى أن المتماثلات لابد لها أن تتوافق فى الأحكـــام ، والا كيف تكون متماثلة متخالفة فى وقت واحد .

وهنا نقطة لطيفة ، ونكتة ظريفة نبه اليهما المصنف والشــــارح ، وهى أن هذا الاستدلال ينهض على الاقرار بتماثل المتحيزات بالـذات

---

(١) تم تناول هذا الأمر فى المقصد الأول من المرصد الأول عن الموقف الخامس .

وربما يقال : لو كان متحيزا لساوى الأجسام فى التحيز ، ولابد من أن يخالفها بغيره فيلزم التركيب فى ذاته ، وقد علمت فى صدر الكتاب ما فيه ، وهو أن الاشتراك ، والتساوى فى العوارض لايستلزم التركيب *

وهذا أوقع فى القبول ، وأقرب الى بلوغ المراد من طريق قصير ، كما أن فيه نوعا من القفز الى سلم الأفكار القائمة حتى يأتى عليها من أصلها . لأن التساوى فى التحيز يلزمه التساوى فى الماهية والتساوى فى الماهية يلزمه التوافق فى الأحكام المنضبطة على هذا المنحى ، من ثم يلزم نفى المكان عن الله تعالى والالزم قدم الأجسام ، أو حدوث الله تعالى وكلاهما باطل ، وما دام قد ثبت بطلانهما ، فقد ثبت أنه تعالى ليس جسما ولايحل فى جهة ، كما أنه ليس متحيزا ولايقبل القسمة تعالى الله من ذلك علوا كبيرا .

* هذا الاستشمار الأخير ههنا قائم على ابطال المكان والجهة عن الله ، من باب لزوم التساوى فى التحيز ومؤدى هذا الاستشمار يقوم على أنه لو كان البارى جل علاه جسما ، لكان متحيزا ، ولو كان متحيزا لساوى الأجسام الأخرى فى كل من التحيز والجسمية وخالفها بأمر آخر هو المقتضى للتركيب فيلزم التركيب فى ذاته تعالى ، وهذا محال لما سبق القول به من أن التركيب يستلزم :

١ - احتياج المركب الى أجزائه .

٢ - احتياجه الى مركب يركب هذه الأجزاء ويجمعها .

والأمران ينافيان الوجوب الذاتى على ما سبقت الاشارة اليه .

....

اذن تمكن المصنف وشارحه من ضبط المسألة ، ورد الدعوى الى اصحابها ، واثبات أن المشبهة لاتقف دعاواهم على أرض قوية ، كما أن شبهها لاتنهض فى وجه الخصوم ، ومن ثم . لزم الاقرار بنفى الجهة والمكان عن الله تعالى ، وثبت تنزيهه جل علاه ، فلا نطيل القول فى المسألة الآن .

مع تحيات: محمد كمال حمانيـــن
للنسخ والطباعـة

الفصل الثاني

((أدلة المشبهة على اثبات))
الجهة والمكان لله ومناقشتها

(أدلة المشبهة (١) على اثبات الجهـة والمكـان لله تعالـى)

احتج الخصم على اثبات الجهة والمكان بوجوه خمسة * :

الأولى : ضرورة العقل . أى بديهية تجزم بأن كل موجود فهو متحيز أو حال فى فيه .

فيكون مختصا بجهة ومكان ، اما أصالة ، أو تبعا .

---

* هناك فرق بين المشبهة والمجسمة ، كما أن هناك أتفاقا ، وهـا نحن نعرض أدلة الخصوم العقلية والنقلية بعد بيان الفرق بين المشبهة والمجسمة .

(١) الفرق بينهما :

ان المشبهة هم الذين يشبهون الله تعالى بغيره من المخلوقـات على وجه العموم ، أما المجسمة : فهم الذين يزعمون أن الله تعالـى جسم ، وله أعضاء من عين ورجل وحجم وخلافه ، قال الامام الفخر الرازى " أعلم أن اليهود أكثرهم مشبهة وكان بـدو ظهور التشبيه فى الاسـلام من الروافض ، مثل بيان بن سمعان الذى كان يثبت لله تعالى الأعضاء والجوارح " (٢) .

---

(١) المشبهة : قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات ، التعريفات ص ١٩٢ .

(٢) الامام فخر الدين الرازى - اعتقادات فرق المسلمين والمشركيـن ص ٩٧ ومعه كتاب المرشد الأمين تحقيق طه عبد الرؤف - مكتبـة الكليات الأزهرية .

....

والمشبهة فرق خمس :

الأولى : الحكميـــــة :

أصحاب هشام بن الحكم ، وكان يزعم أن الله تعالى جسم ، وغير مذهبه في سنة واحدة عدة تغييرات ، فزعم تارة أن الله كالبصيلة الصافية ، وأخرى بأن الله كالشمع الذى من أى جانبيه نظرت اليه كان وجهه .

الثانية : الجواليقيـة :

هم أتباع هشام بن سالم الجواليقى الرافض ، وهم يزعمون أنه تعالى ليس بجسم لكن صورته صورة الآدمى ، وهو مركب من اليد والرجل والعين ، الا أن أعضاءه ليست من لحم ولا دم .

الثالثة : اليونسـية :

هم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمى ، وهم يزعمون أن النصف الأعلى من الله مجوف ، وأن النصف الأدنى منه مصمت .

الرابعة : الشيطانية :

أتباع شيطان الطاق * وهم يزعمون أن البارى مستقر على العرش والملائكة يحملون العرش وهم وأن كانوا ضعفاء بالنسبة الى الله تعالى لكن الضعيف قد يحمل القوى كرجل الديك التى تحمل مع دقتها جثة الديك .

....

الخامسة : الحواريـة :

هم أصحاب داود الحوارى ، وهو يثبت الأعضاء والحركة والسكون والسعى لله تعالى ، وكان يقول : سلونى عن شرح سائر أعضائـــه تعالى ماعدا شرح فرجه ولحيته (تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا " (١)

ويسميه الشهرستانى : " داود الجوارى ، وحكى عن أنه كان يقـــول " اعفونى عن الفرج واللحية ، وأسألونى عما وراء ذلك ، وقال : أن معبوده جسم ولحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولســـان وعينين وأذنين ، ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ، ودم لا كالدماء ، وكذلك سائر الصفات " (٢) .

وهذه الفرق من المشبهة والمجسمة — وأمثالها قيل فى عقيدتهـم الكثير ، ونال منهم العلماء العاملون قال نعيم بن حماد : " من شبه الله بشئ من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفـر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه .

وقال : اسحاق بن راهويه : من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم " (٣)

وبالتالى . فان كلام المشبهة والمجسمة على هذا المعنى ليسـوا من المسلمين لانطباق هذه الأحكام عليهم .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٩٧ — ٩٩ .
(٢) الامام الشهرستانى — الملل والنحل جـ١ ص ١٠٥ تحقيق الاستاذ / عبد العزيز الوكيل .
(٣) الامام ابن أبى العز الحنفى — شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧ ، ١١٨ المكتب الاسلامى ط ٨ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م .

....

(٢) الاتفاق بينهما :

البين من عبارات الرازى والشهرستانى أن احتياج الخالق الى أجزاء يتركب منها - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - يمثل قاسما مشتركا ، وان كان المشبهة يعتبرونه - جل علاه ممكنا لأنه يشبه الممكنات والمجسمة يعتبرونه تعالى مكونا من أجزاء هى جسمه من عين ورجل ونحوه حتى التفكير ، وان كانت الدقائق بينهما تحتاج تفصيلا ومجهدا لسنا نفرغ له الآن ، وان كان موجودا فى المطولات من كتب علم الكلام .

والمعروض هنا هو أدلة المشبهة والمجسمة العقلية على اثبات الجهة والمكان لله تعالى ، ثم ابطال هذه الوجوه التى عليها عولوا وبها استدلوا ، وهى كما حكاها - وجوه خمسة :

١ - الأدلة العقلية على اثبات المكان والجهة لله تعالى :

الأول : ضرورة العقل :

يرى مثبتوا المكان والجهة لله أن العقل من حيث هو عقل تجزم بديهته أن كل موجود لايخلو أمره عن أحد وجهين :

أ - أن يكون جسما " متحيزا " .

ب - أن يكون حالا فى جسم : حالا فى متحيز .

وبالتالى فلابد أن يكون مختصا بمكان وجهة على أحد القولين السابقين ، ومن ثم يلزم وجوه أربعة هى :

١ - أن يكون مختصا بمكان أصالة باعتبار أنه متحيز .
٢ - أن يكون مختصا بمكان تبعا . باعتبار أنه حال فيه .
٣ - ان يكون مختصا بجهة أصالة .

....

٤ - أن يكون مختصا بجهة تبعا .

وربما صيغت هذه المسألة على طريقة السبر والتقسيم فيقال في هذا الوجه من جانبهم :

- كل موجود اما جسم ، أو حال في جسم ، والله تعالى يستحيل أن يكون حالا في جسم والا كان محتاجا ، وهو باطل فتيعن أن يكون البارى جسما .

أو يقال : كل موجود اما متحيز أو حال في المتحيز ، والواجب يتعين كونه متحيزا ، والا كان حالا في المتحيز ، والتالي وهو كونه حالا في متحيز باطل فتعين الأول ، وهو كونه تعالى متحيز ، وكل متحيز له مكان وجهة وحيز ضرورة .

أو يقال : الواجب تعالى اما متصل بالعالم أو منفصل عنه ، وعلى كل من القولين فهو في جهة ومكان سواء كان متصلا بالعالم أو منفصلا عنه

أو يقال : الخالق البارى اما أن يكون داخل العالم أو خارج العالم ، فان كان داخله فهو متحيز لكونه بداخله ، وان كان خارج العالم فيلزم أن تكون له جهة ، هي خارج العالم التي لابد منها .

وهم يدعون في هذه وأمثالها الضرورة العقلية ، كما يزعمون لها البداهة والحق غير ذلك أما لماذا ؟ فلما يأتي :

أولا : أن الضرورة العقلية هي : حصر المسألة بين أمرين ، اثبات أحدهما يؤدى الى رفع الآخر ضرورة ، ورفع أحدهما يؤدى الى اثبات ضرورة ، وبالتالي فالضرورة العقلية بجانب ما مر استحالة تحريك الشيء ،

....

وتسكينه فى ذات الوقت ، واستحالة وجوده وعدمه فى آن واحد ، وعلى هذا فان دعوى الخصوم بأن ضرورة العقل تشهد بأن الله فى مكان أو جهة دعوى باطلة وزعم لايقوم .

ثانيا : لو كانت هذه الدعوى ضرورة عقلية بدهية وقع الخلاف فيها .
وباستقرار المسألة نرى الفروق الآتية :

الأول : ينزه البارى جل علاه عن كل منها ، وربما بالغ حتى نفى عن الله صفاته كالحال مع المعتزلة .

الثانى : ينزه البارى جل وعلا ويثبت لله ما أثبته لنفسه من غير تأويل مخل أو تعطيل مجسم كالسلف الصالح .

الثالث : فريق يشبه البارى بصفات خلقه مع التفويض فى المسألة من حيث هى على الحقيقة كالأشاعرة .

الرابع : فريق يشبه البارى بصفات خلقه حتى يوشك أن يراه على الحقيقة اللغوية . كابن تيمية ومن معه .

الخامس : فريق يجسم ويشبه ويجيز على الله مايجوز على خلقه وهم المشبهة والمجسمة .

اذن دعوى المشبهة والمجسمة أن كل موجود اما متحيزا أو حال فيه ليست ضرورية والا لما وقع فيها الاختلاف لأن الأمور البدهية لايقع فيها الخلاف ، وانما تقربها العقول مباشرة طالما كانت بدهية ، وحيث وقع فيها الخلاف فهى ليست ضرورية . ودعواهم لا قيمة لها .

....

كما أنه لو كان الله تعالى متحيزا أو حالا فى متحيز لكان جسما والمعروف أن كل جسم اما :

(١) مركب من أجزاء عقلية فقط كالجنس والفصل عند المناطقة .

(٢) مركب من أجزاء وجودية ، كالهيولى والصورة عند الفلاسفة ، لأن العلل أربعا وهى :

أ - العلة المادية .

ب - العلة الصورية .

جـ - العلة الفاعلية .

د - العلة الغائية .

والأوليان يطلق عليهما علة الوجود ، بينما الآخريتان يطلق عليهما علة الماهية .....

(٣) مركب من الجواهر الفردة عند المتكلمين .

(٤) مركب من أجزاء مقدارية ، وهى الأبعاض ، وعلى أى نحو من هذه الأنحاء فانهم يرون أن البارى جل علاه فى جهة ومكان ، وهذا غير مسلم لهم أما لماذا ؟ فلأن كل مركب محتاج الى جزئه ، ولاشئ من المحتاج بواجب ، اذ كيف يكون محتاجا وواجبا فى آن واحد ، فلو كان البارى جسما لكان محتاجا ولما كان واجب الوجود فبطل كونه تعالى جسما . هذه ناحية ، وناحية أخرى هى " أن الجسم قد يطلق ويراد به القائم بذاته ، ومنع اطلاق الجسم على الله تعالى بهذا المعنى لعدم ورود اذن من الشرع بهذا الاطلاق أولا ، وايهام ارادة المعنى المحال ثانيا " (١) .

---

(١) الدكتور / سليمان خميس - محاضرات فى العقيدة ص ٦٣

ـــ ....

والمحال على الله تعالى هو الجسم بكل أنواعه والمركب بشـــــكل خاص .

ثالثا : دعوى الحصر غير قائمة :

ذلك لأن الخصوم حصروا الموجود فى كونه منحصرا فى الجســـم أو حالا فيه ، وهذا الحصر غير دقيق ، أما لماذا ؟ فلأن الموجود بحسب القسمة العقلية لايخرج عن أمور ثلاثة :

الأول : أن يكون جسما .

الثانى : أن يكون حالا فى الجسم .

الثالث : أن لايكون جسما ولا حالا فى جسم وهو الله سبحانه وتعالى

وحصرهم الموجود فى هذين النوعين انما هو باعتبار ادراكهم لـه ، وهى نظرة سطحية ولاتؤيدها أدلة مقبولة .

والجواب : منع الضرورة العقلية ، وانما ذلك حكم الوهم بضرورته وأنه غير مقبول فيما ليس بمحسوس وربما يستعان في تصوره ، أى تصور موجود لاحيز له أصلا بالانسان الكلى المشترك بين أفراده ، وعلمنا بــه وانهما موجودان وليسا متحيزين قطعا *

---

* هنا كان القصد الى منع حكم الضرورة العقلية في المسالة ، لان هذا الحصر غير منضبط في أن الموجود لايخلو عن احد امرين :

الأول : أن يكون متحيــزا .

الثانى : أن يكون حالا في متحيــز .

وذلك لما سبق بيانه وأن الموجود يمكن ان لايكون جسما ولاحالا فيه ، وهو الواجب جل علاه ، وبالتالى فالضرورة العقلية قاضية بضرورة وجود موجود ليس ماديا ولايحل في مادة ، وقدم الشيخان تصوراتهم لموجود لاحيز له في علم الوجود وليس في عالم الامكان كما هو تصــــور الخصوم .

اذن يمكن فهم المصنف وشارحه على معنى : انا نمنع حكم الضرورة العقلية في المسالة ، وانما ذلك حكم الوهم بضرورته وليس حكم العقــل وبالتالى فما حكم به الوهم لايقبل . أما لماذا ؟ فلما يلى :

١ — انه يمكن تصور موجود لايشغل حيزا من الفراغ ، يعنى لاحيز لــه ، وذلك كالانسان الكلى المشترك بين أفراده مثلا ، فان الانســـــان لفظ كلى يشمل أفراد الانسانية كلها ذكورا واناثا بل وخناثى .

٢ — أن يمكن وجود معلوم في أذهاننا هو نفس الكلى المشترك ، وكلاهما الانسان الكلى والعلم به — موجود ولاحيز لأى منهما ، ومن ثــم ،

....

قدعوى الخصوم بأن الموجود لابد أن متحيز أو يحل فيه لاقيمة لها لأن الفحص قدم لنا موجودات فعلية ليست محسوسة ولا متحيزة وعلى هذا فهي موجودة في الأذهان والعلم بها كذلك ٠

على أنه يمكن القول بأن دعواهم تقبل لو كان الأمر متعلقا بالممكنات فقط ، أما وقد حاولوا استخدام دليل قياس الغائب — وهو واجب الوجود — على الشاهد وهو الممكنات فلاشك أنهم سوف يفشلون ، كما أن الواجب جل علاه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا يوصف بهذين أبدا٠

بل الذي يمكن قوله : هو أنهم وقعوا في وهم ، أما لماذا ؟ فلأن الشرعية — فطرية وعقلية ونقلية — قد قامت كلها على أن الله تعالى مستغن وأنه ليس محتاجا ، وفوق ذلك كله فهو تعالى لايشبه أحدا من خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، كما أن زعمهم القائم على أن الله موجود وله مكان يقاومه بشدة أمور تلزمه لو سلم به وهذه الأمور هي :

١ — أن يكون الله تعالى محتاجا ، وهذا باطل فبطل زعمهم كونه تعالى في جهة أو مكان متحيزا فيه أصالة أو تبعا ٠

٢ — أن يكون الله تعالى مشابها للممكنات من حيث التحيز والاحتياج ، وذلك كله باطل فبطل ما أدى اليه وهو كونه تعالى في مكان أو جهة وثبت أنه تعالى منزه عنهما ، واستدلال المصنف والشارح أبطل دليل الخصم وأتى عليه من كافة نواحيه ٠

أما الأول : فلأنه لو كان متحيزا أو حالا فيه لاختص بمقدار معين ووضع مخصوص ، فلا يطابق أفرادا متباينة المقادير والأوضاع فلا يكـــون مشتركا بينها .

وأما الثاني : فلأن العلم بالماهية الكلية لايختص بمقدار ووضـــع مخصوصين ، وإلا لم يكن علما بتلك الماهية *

---

* هنا تفصيل الجواب الذى أنشأه المصنف والشارح فى الرد علـــى الدليل الأول من أدلة الخصوم ، وقد قام هذا التفصيل على افتراضين :

الأول : الانسان الكلـى

القصد هنا التأكيد على أن الانسان الكلى موجود ، فلو كـــان متحيزا وحالا فى متحيز لكان له مقدار مخصوص ووضع مخصوص ، فلا يكـون شاملا أفرادا يقع بينهم التباين ، حتى يعمهم ويكون مشتركا بينهـــم ، لأن لفظ الانسان باعتبار كليا منطقيا يشمل محمد ، وخالد ، وســـهى وفاطمه ، وكافة أفراد النوع الانسانى ، وهى مختلفة فيما بينها ومتباينـــة طولا وعمقا وعرضا ووضعا ، اجتماعيا ومركزا أدبيا ، والأولى هو المقدار بينما الثانى هو الأوضاع ، ومادام لفظ الانسان الكلى يشمل الجميــــع اذن هو موجود وليس محسوسا ولا متحيزا وهو المطلوب ، فقد ثبت وجـود موجود ليس محسوسا ولا متحيزا ولا حالا فيها ولايقال عليه انه موجود متحيز وان كان فى الذهن فقط بغض النظر عن وجوده فى الممكنات بدليل أنـــه يشمل الأحياء والأموات من حيث أنه اسم كلى منطقى .

....

الثانى : العلم بالانسان الكلى :

أجل للانسان الكلى ماهية تميزه عن غيره ، ونأتى للعلم بهـــذه الماهية ، هل هو موجود — كعلم أم غير موجود ، والجواب أن العلــم بالماهية موجود ، ومع هذا فهو لايختص بمقدار معين ، ولا وضع مخصوص ولو كان مختصا بمقدار معين ، ووضع مخصوص ، لما كان علما بتلـــــك الماهية ، وانما كان علما بأحد أفراد العلوم ، وحيث قد ثبت وجـــود الانسان الكلى ، ووجود العلم بهذه الماهية ، وأنهما موجودات وليسا محسوسين ولا متحيزين • فقد بطل دعوى اثبات الجهة أو المكان للـــه تعالى • وثبت أنه تعالى موجود وليس بمحسوس ولا متحيز ولا فى مكـــان أو جهة وهو المطلوب • وعليه فقد بطلت مزاعم الخصوم وتهاوى دليلهـــم الأول •

استشمار :

فان قلت : الانسان المشترك لابد أن يكون له أعضاء مخصوصة من عين ، ويد ، وظهر ، وبطن ، وغيرها على أوضاع مختلفة ومقادير متناسبة ، وأبعاد متفاوتة ، ولاشك فى أنه من حيث هو كذلك يكون متحيزا .

قلت : هذا انما يلزم - اذا لم توجد تلك الأعضاء من حيث أنهما كلية مشتركة ، ولاشبهة أنها فى الانسان الكلى مأخوذة كذلك ، وانما قال وربما يستعان فى تصوره ، ولم يقل : وربما يستدل عليه ، لأن الاستدلال به موقوف على :

- وجود الكلى الطبيعى .
- ووجود العلم به فى الخارج .

مع أنه مختلف فيه ، بخلاف الاستعانة المذكورة ، فانها تتم مع ذلك الاختلاف *

---

* هنا استشمار مؤداه ...

ان لفظ الانسان المشترك بين أفراده لابد أنه يكون له أعضاء مخصوصة من عين ورجل .. الى آخر هذه الأعضاء ذات الأوضاع المختلفة والمقادير المتناسبة والأبعاد المتفاوتة ، وبالتالى فالانسان المشترك من هذه الناحية يكون متحيزا ، ومادام متحيزا فيلزم أن تكون له جهة ومكان .

غير أن الشيخ الجرجانى أقام رده على أن هذه اللوازم من العين والرجل وخلافه تلزم اذا قيل أنها أعضاء لجسم معين موجود فى الخارج

....

أما من حيث أنها كلية فالحال فيها كالحال مع الانسان الكلي ، وأنهـا كلية لا في أجزاء وبالتالي فالاستشعار لاينهض في ابطال الكلي الطبيعي ولا الكلي المنطقي ، لأن القول في الأجزاء وأنها كليات لأجزائها فالعين مثلا اسم كلي تشمل عين أحمد وخالد وفهمي الى آخره ، وكذلك الرجـل فانها جميعا أعضاء كلية كالانسان الكلي تماما بتمام .

وقد احترس الشيخ الجرجاني فقال وربما يستعان ، ولم يقل وربمـا يستدل لأن الفرق بين الاستعانة والاستدلال موقوف على :

أ — وجود الكلي الطبيعي .

ب — العلم به .

جـ — الاتفاق على معناه .

فالاستدلال بالكلي الطبيعي موقوف على هذه الأمور الثلاثة : أمـا الاستعانة فلا تحتاج الى هذه الأمور الثلاثة ، انما يكفي فيها مجـرد تصورها .

وقد اختلف في وجود الكلي الطبيعي على أقوال :

١ — منهم من قال : أن الكلي الطبيعي موجود في أفراده ، وعلى رأسهم ابن سينا ، لأنه جزء الموجود خارجا ولهم أدلة .

٢ — وقال قوم : أن وجوده وجود أفراده ، وهو متفرع منها ولهم أدلة وليس له وجود خارجي .

والقول الحق : أنه — الكلي الطبيعي موجود خارجا في أفراده ، وقد بطلت أدلة المانعين ، وثبت وجود الكلي الطبيعي في الخارج .

الدليل الثانى :

كل موجودين : فاما أن يتصلا ، أو ينفصلا ، فهو أى الواجب تعالى أن كان متصلا بالعلم فمتحيز ، وان كان منفصلا عنه فكذلك .

والجواب : منع الحصر ، وهو من الطراز الأول ، أى من الأحكام الوهمية ، وقد عرفت أن أحكامه لاتقبل فى غير المحسوسات ، لكنها قد تشتبه بالأوليات ، فتحسب أنها منها *

---

* هذا هو الدليل الثانى من أدلة المشبهة والمجسمة على اثبات الجهة والمكان لله ، ومؤدى هذا الدليل هو : أن كل موجودين لايخلوا أمرهما عن أحد أحوال ثلاثة ، اما أن :

أ ـ أن يتصلا .

ب ـ أن ينفصلا .

جـ ـ أن لايتصلا ولاينفصلا ، وهو ما تقتضيه القسمة العقلية وان لم يذكره الخصم لكن تحتمه الضرورة .

والواجب تعالى ان كان متصلا بالعالم فهو متميز مكانا بحكم الاتصال وأن ما اتصل بمتحيز فهو كذلك متحيز ، وهو الوجه الأول .

وان كان غير متصل بالعالم بل منفصل عنه ، فيكون ذا جهة وكل ذى جهة يكون متحيزا ، وطبقا لهذا فان الواجب لابد أن يكون متحيزا سواء كان متصلا بالعالم أو منفصلا عنه ، وأنه فى حالة اتصاله بالعالم يكون متحيزا بالأصالة والمكان وفى حالة انفصاله يكون متحيزا بالتبع والجهة . هذا عن موقف المشبهة واثباتهم المكان والجهة لله تعالى .

....

والجواب على هذا الدليل يقوم على :

(١) منع انحصار الموجود بين فى الاتصال والانفصال ، لأن ذلك يكون فى الممكنات على ما سلف بيانه ، أما الواجب فلا يتعلق به شىء من هذه الأحكام أبدا ، لأن الواجب من أحكامه استغناؤه وعدم احتياجه .

(٢) التفرقة بين الأحكام الحقيقية والأحكام الوهمية ، وأن الأحكام الحقيقية تكون واقعية ، أما الوهمية فلا يمكن قبولها الا فيما يتعلق به الوهم .

كما نبه الشيخ الى وجود كل من :

أ — الأحكام الوهمية (١) .

ب — الأوليات (٢) .

ويبين أن عدم التفرقة بينهما موقعة فى الخلط الذى يجب استبيانه وعدم الوقوع فيه ، ولأن المجسمة والمشبهة لما لم يمكنهم التفرقة بينهما فقد وقعوا فى اثبات التجسيم والتشبيه لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ذلك على واسطة ، وهذا كقولك : الواحد نصف الاثنين ، والكل أكبر من الجزء ، والجزء أصغر من الكل ، والنصف أكبر من الربع ، وهلم جرا " (٣)

(١) الوهمية نسبة الى الوهم وهو ادراك المعنى الجزئى المتعلق بالمعنى المحسوس والوهميات هى قضايا كاذبة يحكم بها الوهم فى أمور غير محسوسة كالحكم بأن ماوراء العالم فضاء لايتناهى والقياس المركب يسمى سفسطة — التعريفات ص ٢٢٨ .

(٢) الأوليات ويراد بها القضايا التى يحكم فيها العقل السليم بمجرد تصور طرفيها ولايتوقف .

(٣) أ .د / حسن محرم الحوينى — دراسات فى المنطق القديم ص ٢٠٤ طبعة أولى سنة ١٩٩٢ مطبعة الفجر الجديد .

الدليل الثالث :

أنه اما داخل العالم ، أو خارج العالم ، أو لاداخله ولاخارجه ، والثالث خروج عن المعقول ، وعما تقتضيه بداهة العقل ، والأولان فيهما المطلوب ، وهو أنه متحيز ، وفي جهة .

والجواب :

أنه لاداخل ، ولاخارج ، وهذا خروج عن الموهوم دون المعقول *

---

* المراد هنا هو بسط الدليل الثالث من أدلة المشبهة والمجسمة بعد أن عرضوا الدليل الثاني وبطل كون انحصار الموجودين في الاتصال والانفصال أراد ههنا عرض دليل آخر مؤداه :

أن الله جسم ومتحيز وفي جهة ، لأنه لايخرج عن أحد أحوال ثلاثة :

الأول : أن يكون الله داخل العالم وبالتالي يكون متحيزا فيه ومحصورا به .

الثاني : أن يكون خارج العالم وبالتالي يكون في جهة ، ومن ثم تلزم الجهة وجوده خارج العالم ، وبالتالي يكون في جهة ومتحيزا .

الثالث : أن لايكون الله داخل العالم ولاخارج العالم ، وهذا غير معقول بل بداهة العقول تفرضه عدم موجود ، وبالتالي ينحصر الأمر في أن الله ، اما داخل العالم فيكون متحيزا ، أو خارج العالم فيكون في جهة ويثبت أنه تعالى متحيز وفي جهة ، هذا مجمل دليل القائلين بأن الله في مكان وجهة ، وهو زعم أكثر من أن يكون دليلا ، ولهذا أجاب عليه المانعون ورده في عبارات قليلة يحسن أن نعرضها جوابا على الدليل الثالث .

....

الجواب على هذا الدليل :

أجاب المصنف وشارحه بأن هذا الدليل لاينهض لأنا نقر عدم انحصار الموجود في هذين الأمرين وحدهما لأنه من المقرر أن الله لاداخل العالم ولاخارج العالم لأن هذا الحكم انما يجرى فى الممكنات وانحصارها ، أما واجب الوجود وهو الله سبحانه وتعالى فانه لاينحصر بهذين الحاصرين ، ومن ثمّ فان انحصار الموجودات فى هذين الأمرين وحدهما خروج عن أحكام الوهم وليست خروجا على أحكام العقل لأن العقل يقرر امكانية وجود كلى طبيعى توجد أفراده فى الخارج ويوجد هو فى الذهن : كلفظ الانسان ولفظ الحيوان ، ولايستلزم هذا الأمر ضرورة انحصار الموجودات فى داخل العالم أو خارجه ، وبالتالى فقد ثبت ابطال أن يكون الله متحيزا أو فى جهة ، وتقرّر فى العقول تنزيهه - تعالى - عن المكان والجهة ، ولعل عبارة بليغة موجزة هى : ان الذى مكّن المكان لايقال له مكان ، والذى أيّن الأين لايقال له أين تعالى الله عن مشابهة خلقه ، وثبت أنه متفرد بالجلال والجمال والاكرام .

الدليل الرابع :

الموجود ينقسم : إلى قائم بنفسه ، وقائم بغيره ، والقائم بنفسه هو المتحيز بالذات ، والقائم بغيره هو المتحيز تبعا ، وهو أى الواجب تعالى قائم بنفسه فيكون متحيزا بذاته .

والجواب . منع التفسيرين . فان القائم بنفسه هو المستغنى عن محل يقوّمه وليس يلزم من هذا كونه متحيزا بذاته ، والقائم بغيره هو المحتاج الى ذلك المحل ، ولايلزم منه كونه متحيزا تبعا .

وقد يقال فى تقريره ، أى تقرير الوجه الرابع : أجمعنا على أن له تعالى صفات قائمة بذاته ومعنى القيام هو التحيز تبعا ، فيكون هو متحيزا أصالة .

ويجاب : بأن القيام هو الاختصاص الناعت كما مر *

---

* هذا هو الدليل الرابع من الأدلة العقلية التى أقامها المجسمة والمشبهة على اثبات أن لله مكانا وجهة ، ومؤدى هذا الدليل قائم على وصف ثابت ينحصر فى تقسيم الموجود الى قسمين :

القسم الأول : هو القائم بنفسه ، والمتحيز بذاته ، أعنى الجواهر المركبة والجواهر المفردة .

القسم الثانى : القائم بغيره وهو المتحيز تبعا ، ويقصد به الأعراض التى تحل فى غيرها من الجواهر ، فتتحيز بها تبعا لها

وما دام الموجود منحصرا فى هذين القسمين فلاشك ، أن الواجب هو الله تعالى متحيز بنفسه لأنه قائم بذاته ، وبالتالى فقد ثبت المطلوب وهو أن الله تعالى فى جهة ومكان لكونه موجودا قائما بنفسه متحيزا بذاته هذا عن الدليل الرابع حسب ما صوره أصحاب الجسمية والجهة .

....

والجواب : منع المصنف وشارحه التفسيرين اللذين فهمهما المجسمة ، كما منعا هذا التقسيم الذى ينحصر أمر الموجود فيه بين قائم بنفسه ، وقائم بغيره ، أما لماذا ؟ فلأن هذا التقسيم انما هو تقسيم للعالم من حيث جواهره وأعراضه فقط ، وبالتالى يكون تقسيما للممكنات ، ويكون فى ذات الوقت غير منحصر ولاشامل للموجود الذى لايكون فى محل ولايحتاج الى محل ، لأن القائم بنفسه هو المستغنى عن محل يقومه وبالتالى فليس يلزم من كونه قائما بنفسه أن يكون متحيزا بذاته هذا على الجانب الأول — القائم بنفسه — .

كذلك لايستقيم هذا الدليل الرابع على ناحية القائم بغيره ، أما لماذا ؟ فلأن القائم بغيره هو المحتاج الى ذلك المحل فلا يلزم من احتياجه له أن يكون متحيزا به أو تابعا له ، اذ توجد أمور كثيرة قائمة بغيرها وليست متحيزة ولايلزم التحيز كالجواهر الروحانية وكالمجردات من الروح والنفس والعقل والفهم والعلم ، فانها جميعا منها أعراض تلحق بغيرها وليس متحيزا ومنها جواهر ولاتلحق بغيرها كما أنها لاتحتاج الى محل تقع فيه كالأرواح ، من ثمّ فقد بطل الدليل الرابع ، وثبت أن الله تعالى ليس فى مكان ولاجهة .

استشعار :

استشعر المصنف وشارحه امكانية تقرير الوجه الرابع على ناحية أخرى غير التى سلف ذكرها ، موجداهنا أن يقال :

....

أجمعنا على أن الله تعالى — له صفات قديمة قائمة بذاته تعالى ، ومعنى أنها قائمة بذاته تعالى أى متحيزة تبعا له ، ولكن مادام قد ثبت تحيزها فيكون هو سبحانه وتعالى متحيزا أصالة .

والملاحظ أن هذا الوجه من الدليل الرابع قد بنى على ملاحظة قيام الصفة بالموصوف ، فالصفة تابع والموصوف متبوع ، فاذا ثبت قيام الصفة به فقد ثبت تحيزه بناء على تحيز الصفة ذاتها .

غير أن هذا الوجه لايسلم أما لماذا ؟

فلأن الخلاف قائم فى معنى القيام ، اذ يرى المشبهة أن القيام هو التحيز تبعا لما هو متحيز أصالة بينما يرى المنزهة أن معنى القيام هو الاختصاص وليس هذا الاختصاص مثلا للتحيز وبالتالى فقد ثبت أن الله منزه عن المكان والجهة على ما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد بطل مذهب المجسمة والمشبهة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ما مضى كان مثلا للأدلة العقلية التى أنشأها الخصوم لاثبات أن لله جهة ومكانا وقد بان أن متكلمى أهل السنة والجماعة أهل التنزيه قد أقاموا أدلتهم على تنزيه الله — سبحانه وتعالى — وابطال أدلة الخصوم ، وكان موقف أهل السنة والجماعة محل قبول من النصوص واحترام من الفكر ، بجانب السلامة من الوقوع فى الذات العلية ، وقد قال جل علاه : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " فلننتقل الى الجانب الثانى وهو : استدلال الخصم على اثبات الجهة والمكان لله تعالى بالظواهر النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

الدليل الخامس :

الاستدلال بالظواهر الموهمة بالتجسيم من الآيات والأحاديث نحو قوله تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(١) ، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(٢) ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾(٣) ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾(٤) ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾(٥) .

* ثانيا : الأدلة النقلية :

سلك المشبهة والمجسمة مسلكا آخر غير مسالك العقل التي سلف ذكرها، وهذا المسلك قائم على الاستدلال ببعض الظواهر التي يظن أنها موهمة بالتجسيم .. وهذه الظواهر منها ما هو من الآيات القرآنية ، ومنها ما هو من السنة المطهرة ، لذلك لجأ الامام المصنف وشارحه الى التقييد بما مال اليه المشبهة والمجسمة من ذكر الآيات القرآنية ثم الأحاديث النبوية ليخلص أمر الأولين المشبهة والمجسمة - الى اثبات أن لله جهة ومكانا ويخلص أمر الآخرين - أهل التنزيه - الى اثبات أن الله تعالى منزه عن المماثلة والمشابهة ، وأنه ليس كمثله شيء وفي نفس الوقت الرد على أهل الاثبات من المجسمة والمشبهة ومن يجري مجراهم ونحن سنورد هذا الدليل النقلي بجزئيه .

---

(١) سورة طه الآية رقم ٥
(٢) سورة الفجر الآية رقم ٢٢
(٣) سورة فصلت الآية رقم ٣٨
(٤) سورة فاطر الآية رقم ١٠
(٥) سورة المعارج آية رقم ٤

....

أ - القرآن الكريم :

أورد الخصوم بعض آيات من القرآن الكريم متصورين أنها تشعر بالتحيز والمجيء وبالتالي الانتقال من مكان الى مكان أو الصمدية وهي كلها مؤدية من وجهة نظرهم الى التحيز في المكان والجهة من ذلك قوله تعالى :

* " الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ " ووجه الاستدلال بالآية عندهم هو أن استواء الرحمن يعني تحيزه لأن اللغة تقول استوى فلان على دابته أي استقر عليها ، وبالتالي فاذا قيل في القرآن الكريم " الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ " كان المعنى أنه سبحانه وتعالى تحيز حيث استقر، والتحيز والاستقرار يشغلان مكانا وبالتالي فان الله سبحانه وتعالى يكون له مكان.

* وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا .

ظن المجسمة والمشبهة أن المجيء في الآية على ظاهره في اللغة وهو الاتيان في حس وحركة على ما هو مدلول اللغة حيث تقول اللغة : جاء جيئا ومجيئا وجيئة بمعنى أتى ، ويقال : جاء وجاء اليه وجاء بالشيء أي أتى به ، وأجاء فلانا الى كذا ألجئه ، كما يقال : الجيئة هيئة المجيء : فيقال : جئتنا جيئة مباركة " (١)

---

(١) المعجم الوجيز مادة / ج أ ء / ص ١٢٩

....

وبالتالى انتهوا الى أن الآية على ظاهرها فيها مجيء حسى والمجيء اتيان والآتى لابد أن يكون متحيزا لأنه يقطع مسافة المجيء وبالتالى جعلوا لله حيزا ومكانا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

* ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ .

فهم المشبهة أن الآية على ظاهرها تؤيد ما ذهبوا اليه ، لأن فيها ظرفا هو "عند" وقيدوه بالعندية المكانية ، بينما العندية ليست مخصصة بالمكان المادى وانما تفهم على التحيز وعدمه الا أن استدلالهم بها قام على جانب واحد وهو أنها مشعرة من حيث هى لفظ بالتحيز والجهة ومن ثم أثبتوا بها لله الجهة .

* ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ .

ظن المجسمة أن لفظ الصعود يعنى الحركة من أسفل الى أعلى مساويا الحركة ذاتها كما أن الهبوط حركة من العلو الى أسفل ، وما دام الكلم الطيب يصعد الى الله فلاشك أنه حركة الى جهة العلو وبناء عليه أثبتوا لله الجهة .

* ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ .

فطن المشبهة الى جانب واحد من مفهوم العروج ، فأخذوه على الجانب المادى اذ مادام عروجا فلابد من استلزامه حركة رغم أن الآية الكريمة حددت العروج بالملائكة والروح ، كما أن الآية قبلها تحدثت عن الصعود للكلم والمعروف أن الكلم أعراض سيالة تنقض بمجرد النطق بها غير

....

مستلزمة الحركة التي ينشأ عنها فهم يؤدي الى التحيز ، وبهذا تكـــون الآيات التي سلفت ذكرها من حيث ظاهرها قد تمسك بها المشبهة، ومن حيث هي نص قرآني له حقيقة ذاتية وفيه مجاز فقد تمسك أهل التنزيـــه بالآيات ذاتها مظهرين أنها لاتؤدي الى ما مال اليه المجسمة ، والحق مع أهل التنزيه لا مع جهة الاثبات والتجسيم على ماسوف يرد في تفصيـــل المصنف والشارح .

" هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ "، " أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ "، " ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ "

وحديث النزول هو : أنه تعالى ينزل الى السماء الدنيا فى كل ليلة وفى رواية : فى كل ليلة جمعة فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، وقوله عليه السلام للجارية الخرساء : أين الله ؟ فأشارت الى السماء فقرر ولم ينكر وقال : انها مؤمنة ، فالسؤال والتقرير المذكور ان يشعران با لجهة والمكان *

---

* هذه جملة أدلة المشبهة على اثبات المكان والجهة لله تعالى ، وقد سبق التعليق على بعضها ، وقد بان انها مجرد ظواهر تعطى معان مشتركة لايمكن أن يكون الذى اقتبسه المشبهة هو الوجه الوحيد حتى يستدل به ، وانما بجواره وجوه أخر قد اهملها المشبهة لغرض ما فى انفسهم كشفت عنه طواياهم ولكن الله قيض من يرد عليهم وهم اهل السنة والجماعة .

ب - السنة النبوية المطهرة :

تمسك المشبهة ببعض ظواهر من السنة النبوية المطهرة زاعمين أنها تثبت لله الحركة والجهة والمكان ، من ذلك :

- ما روى أنه صلى الله عليه وسلم - قال : " ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى كل ليلة فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ وفى رواية : ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى كل ليلة جمعة فى الثلث الأخير منها ثم يقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ، ويظل يقول ذلك حتى مطلع الفجر .

....

— وماروى من أنه — صلى الله عليه وسلم — جيء له بجارية خرساء أرادوا أن يعرفوا أهي مؤمنة فتجرى عليها أحكام الاسلام أم لا ؟ فرغم أنها خرساء الا أنها لما سئلت عن الله وقيل لها أين الله ؟ فأشارت الى السماء وقرر الرسول الكريم ايمانها ولم ينكر عليها ذلك وقال انها مؤمنة .

ثم انتهوا الى أن النزول الوارد فى الحديث والسؤال للجارية والاقرار بما أشارت به بأصبعها الى السماء يشعران بأن الله فى جهة السماء وفى المكان لأن السؤال والتقرير المذكورين يشعران بالجهة والمكان غير أن هذا الزعم لايقبل عندنا ، أما لماذا ؟

فلأن شيوع رفع الأيدى الى السماء عند الدعاء طريقة متوارثة ولكن ليس رفع اليد دليلا على أن المدعو فى السماء ، بل لأن الكعبة التى شرفها الله — تعالى — جعلها قبلة المسلمين فى الصلاة مع أنها فى الأرض فكذلك شرف الله السماء فجعلها قبلة الدعاء والمقايسة ظاهرة ، كما أن الله تعالى يميز بعض الأمكنة بخصوصية فيها من قبله جل علاه ، فكذلك السماء والكعبة قد خصصتا من قبل الله بما نيط بهما دون أن يكون أحدهما مكانا لله أو جهة له .

والجواب أنها ظواهر ظنية لاتعارض اليقينيات الدالة على نفى المكان والجهة ، كيف ومهما تعارض دليلان وجب العمل بهما ما أمكن ، فتؤل الظواهر اما اجمالا ويفوض تفصيله الى الله ، كما هو رأى من يقف على الله وعليه أكثر السلف كما روى عن " أحمد " الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والبحث عنها بدعة " .

وأما تفصيلا كما هو رأى طائفة فنقول : الاستواء الاستيلاء نحو قوله : قد استولى على العراق ... من غير سيف ودم مهراق ، والعندية بمعنى الاصطفاء والاكرام كما يقال : فلان قريب من الملك وجاء ربك : أى أمره واليه يصعد الكلم الطيب : أى يرتضيه ، فان الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال ، ومن فى السماء : أى حكمه أو سلطانه أو ملك من الملائكة موكل بالعذاب للمستحقين وعليه فقس سائر الآيات والأحاديث *

---

* قرر المصنف والشارح تقديم جواب على الدليل النقلى الذى اعتمد عليه المشبهة وكانت اجابات المصنف والشارح على ناحيتين :

الناحية الأولى : الجواب الاجمالى ومؤداه أن هذه النصوص الشرعية تمثل مشتركا لفظيا ومن ثم فهى ظنية فى الدلالة وليست يقينية والمشهور أن ظواهر الظنية لاتعارض اليقينيات ، لأن الظواهر هنا هى : الاستدلال بالآيات التى يفيد ظاهرها المكان والجهة ، بينما هذا الظاهر غير مراد وحده ، وبالتالى يكون الدليل المقتبس منها ظنيا .

فاذا ما تعارضت الظنيات الدالة على اثبات المكان والجهة على ما يقول به المشبهة من اليقينيات الدالة على نفى المكان والجهة كان الأولى الأخذ باليقينيات ، ورد الظنيات ، من ثم فانه اذا ما تعارض دليلان

....

وجب العمل بهما ما أمكن ، فتؤول الظواهر على وجه الاجمال ويفوض أمر التفصيل فيها الى الله سبحانه وتعالى .

وقد نشأ عن هذا الموقف - ظنية الدلالة ويقينيتها - مذهبان :

(١) المذهب الأول : رأى السلف ومن معهم هو : تأويل الظواهر اجمالا وتفويض التفصيل الى الله تعالى ، ويمثله المأثور عن الامام أحمد " رضى الله عنه من قوله : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والبحث عنها بدعة .

(٢) المذهب الثانى وهو : مذهب المعتزلة ومن معهم ويقوم على تأويل الظواهر اجمالا وتفصيلا كأن يقال : الاستواء بمعنى الاستيلاء ، ويستدلون بما أثر عن العرب من قولهم .

قد استوى بشر على العراق ∴ من غير سيف ودم مهراق

وبالتالى : فاستوى فى البيت لايمكن صرفها الا الى مفهوم الاستيلاء على العراق الذى قام به بشر .

وكما قيل فى لفظ الاستواء وأنه الاستيلاء يقال : فى العندية من قوله تعالى " فان استكبروا فالذين عند ربك - بمعنى اصطفاء الله واكرامه ، ومن أمثلة استخدام عند بمعنى الاكرام مايقال : فلان قريب عند الملك ، وفلان قريب من الملك ، وبالتالى فليس المراد بالقرب ولا العندية المكان والجهة ، وانما يراد المنزلة والدرجة .

....

وكذلك قوله تعالى : وجاء ربك أى أمره ، واليه يصعد الكلم الطيب ، أى يرتضيه ، فان الكلم عرض وليس من قبيل الجواهر ، ومادام عرضا لايقوم بنفسه وانما يقوم به غيره فقد امتنعت عليه الحركة وتأبى عليه الانتقال وكذلك قوله تعالى : " أأمنتم من في السماء " أى : حكمه تعالى أو سلطانه ، كما يمكن حمل من فى السماء على أنه ملك من ملائكة الله يخوف به أهل النار موكل بالعذاب للمستحقين ، وأمثال هذه الآيات التى استشهدوا بظواهرها والأحاديث التى أدعو مظاهرتها لهم يمكن فهمها وتخريجها على النحو الذى قام به المعتزلة أو السلف من صرف اللفظ عن ظاهره مع التفويض فى المعنى المراد منه أو صرف اللفظ عن ظاهره الى وجه تقتضيه ظروف اللغة وتحتمله وهذا لاشىء فيه ولكنه يثبت أن التنزيهات أمور ضرورية ، وأن التشبيهات والتجسيمات تعارض التنزيهات الواجبة لله تعالى .

فالعروج اليه : هو العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه واتيانه في ظلل اتيان عذابه والدنو هو : قرب الرسول اليه بالطاعة والتقدير بقاب قوسين " تصوير للمعقول بالمحسوس .

والنزول محمول على اللطف والرحمة وترك ما يستدعيه عظم الشأن وعلو المرتبة على سبيل التمثيل وخص بالليل لأنه مظنة الخلوات وأنواع الخضوع في العبادات والسؤال بأين استكشاف عما ظن أنها معتقدة له من الأينية في الالهية فلما أشارت الى السماء علم أنها ليست وثنية ، وحمل اشاراتها على أنها أرادت كونه تعالى خالق السماء ، فحكم بايمانها . الى غير ذلك من التأويلات التي ذكرها العلماء لهذه الآيات والأحاديث ونظائرها فارجع الى الكتب المبسوطة تظفر بها *

---

* قدم المصنف وشارحه جوابا مجملا وآخر مفصلا احتواهما مذهبان سبقت الاشارة اليهما ، ونعني بهما :

١ – مذهب السلف .

٢ – مذهب الخلف .

ثم تناول بعض الألفاظ في الآيات التي اعتبرها المجسمة ظواهر نقلية تؤيد مدعاهم ، ثم بيّن أن هذه الألفاظ لاتعين المجسمة لأنها ليست قطعية في دلالتها ، وانما هي ظواهر ظنية يمكن تخريجها على وجه لايؤدى الى تجسيم الله تعالى أو جعله في حيز أو مكان .

تناول لفظ العروج الوارد في الآية من قوله تعالى " تعرج الملائكة اليه فبيّن أن لفظ اليه لايعني المكان ، لأن الحمل ظاهر وهو قوله عروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه – كما أن الصلوات يرفع ثوابها اليه

....

وتتنزل الرحمات من عنده ، كما أن الاتيان فى الظلل من قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام بمعنى : اتيان عذابه وخص الله الغمام والظلل لأن أكثر العقوبات تتقدمها ظلل تمهيد لها وتعد المعاقبين لانتظارها .

كما أن قوله تعالى : ثم دنى فتدلى " يمكن حمل الدنو على أنه قرب الرسول الى ربه بالطاعة والعبادة وما دام الرسول قريبا من ربه فقد رفع الله مكانته بحيث يصير معنى الدنو رفع الدرجة وليس المقصود بالدنو هو الحركة التى تستلزم متحركا أو تقتضى مكانا وجهة ما دام يمكن حملها على أنها البلوغ فى الطاعة مكانا والرفع فى الدرجة منزلة .

كما أن قوله تعالى : " فكان قاب قوسين أو أدنى " فقد جاء فيه استخدام لفظ قاب قوسين الذى يشير الى تقدير مسافة يمكن حمله على أنه نوع من تصوير المعقول بالمحسوس حتى يكون ماثلا أمام الأذهان قائما فى الأفهام وليس المقصود المسافة التى تفصل بين قاب وقوس وعلى هذا المعنى يمكن حمل لفظ قاب قوسين ومع هذا فانه فى دلالته على التنزيه أكثر من دلالته على التشبيه واستدلال المشبهة بالآية ساقط وتأويل أهل السنة له قائم . والنزول الوارد فى الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم : " ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل " وكذلك الرواية الأخرى فان لفظ النزول الوارد قد استدل به المشبهة على اثبات الجهة والمكان لله تعالى بينما يمكن حمل لفظ النزول على أنه نزول عطف ورحمة وترك ما يستدعيه عظم الشأن وعلو الرتبة

....

ولذلك جاء ذكره — النزول — على سبيل التمثيل فقط وتقريب المعنى حتى يفهمه العامى والمتعلم .

كما أن النزول بالليل فيه خصوصية معينة تقع فيه الخلوات وتخص بالكثير من أنواع الخضوع والعبادات حتى ان الله تعالى ذكر المتقين بأن أجفانهم بالليل لاتغفو وأجسادهم عن الصلاة لاتتوقف وألسنتهم بذكره تعالى لاهجة قال تعالى : " وبالأسحار هم يستغفرون " كما ورد فى الأثر أن صلاة الليل والناس نيام فيها قرب من الله أكثر وخوف أعظم وأشد ولذلك خص الليل بالنزول .

أما السؤال بأين الوارد فى الحديث الشريف للخرساء بأين الله فهم المشبهة أن فيه اثبات المكان لله والجهة بينما هذا الفهم لاتعضده أدلة بل تعانده وبالتالى يمكن فهم السؤال بأين على أنه نوع من استكشاف واستكناه معتقدها ومن ثم فلم تكن الجارية وثنية ولو كانت وثنية تعبد النار لأشارت الى ما تعبده ولذلك فأهل الوثن يعتقدون بوجود آلهة لها أين ثابت ووضع معين فلما أشارت الجارية بيدها الى السماء علم أنها ليست وثنية وانما هى موحدة أما كيف ؟ فلأن الدلالة هنا قائمة وأن الاشارة مفهمة بأن الله هو الذى خلق السماء ورفعها وخلق الأرض وبسطها وحيث ان كلا منهما مكان فالله عز وجل مستغن عنه .

من ثم حملت اشارتها للدلالة على أنها أرادت التعريف بالخالق العظيم جل علاه وأنه معبودها بحق وأنه تعالى خالق السماء وغيرها فحكم

....

على الفور بايمانها وصحة اعتقادها وأنها ليست على معتقد الكفار ولا أهل الوثن ولا المشبهة وانما هي على فطرتها واعتقاد أهل الايمان من ثم حكم بايمانها .

وعلى هذا النحو من التأويل تخرج كافة الآيات والأحاديث التي اتكأ عليها المشبهة والمجسمة وظنوا أن ظواهرها تؤدي بهم الى غرضهم والحق أن هذه الآيات والأحاديث وأمثالها قد ذكرها العلماء وتناولها المتخصصون وذكرت في ثنايا الكتب المبسوطة في كل فن من الفنون بحيث يمكن الفوز بها والانتهاء اليها بما يؤدي الى تنزيه الله تعالى واثبات الكمالات له وابطال دعاوى المشبهة وأمثالهم ، ومن يرجع الى كتب التفسير على اختلاف مدارسها والمناهج حتما ستلاقيه أقوال العلماء مبينة بوجه من وجوه التفسير أو التأويل ما يمكن حمل هذه الآيات عليها .

وغير خاف على دارس أن كتب الأديان والملل والنحل وكتب التفسير بالرأي فضلا عن المأثور بجانب التفسير المذهبي قد استفادت من الآيات القرآنية سواء تلك التي عمد اليها المشبهة واعتبروها عمد أدلتهم أو التي نهض أهل الحديث يعتصمون بها ويلوذون اليها وهذا كله تقف الغالبية العظمى فيه بجوار النقل المنزل وفي حدود عقيدة أهل السنة والجماعة وقليل أولئك الذين شذوا عن هذا المنهج فلن نلتفت الا لصوت الحق ولن نتمسك الا بمذهب سلفنا الصالح أهل السنة والجماعة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ " .

....

وبعد : فها أنت عزيزى قد ترانى أسرفت القول معك وأطلت الحديث ولعلك تقبل عذرى وتدعو الله لى بالسلامة فى الدين والنجاة فى الآخرة ، وعذرى أنى وقفت على شاطئ ترتعش مراسيه ، وتتراقص من الفزع أمواجه ، ولا تهبنا لجاته أو تهدأ ، ولابد أن أجد لك فيه طريقا يبسا ، لا ترى فيه عوجا ولا أمتا ، مع أنى لست موسى الكليم ولا عصاه ، كما أنى لا أملك مصباح ديوجانس السحرى ، ولا أحمل هدايا بابا نويل ، كل ما أملكه هو أنى مسلم ملتزم بكتاب الله وسنة رسوله حاولت الترحال بك فى صحراء الفكر مع شدة المعاناة ، وقدمت لك ما تمكنت منه آملا أن ألتقى وأنت على طريق الأمن صراط الله المستقيم .

كل ما آمله أن تقرأ هذه الصفحات سطورها وما بين السطور ، وحتما ستواجهك عذراء فى خدرها تحافظ على عفافها وصون حقها فأنت مؤتمن وهى بين يديك بحمل الله خذها وحق الله صنها ، فقد وهبت نفسها لك بعد أن وضعت صداقها بين يديك . والله أعلم .

((المصـــــــادر))

(المصـــــادر)

راعيت فى تدوين هذه المصادر ورودها أسفل صفحات الكتاب ولم أراع الترتيب الأبجدى فيهـــــــا

مسلسل	الموضــــوع
١	القـــرآن الكريـــــم .
—	الامام الزركلــــى ....
٢	الاعـــــلام ....
—	رضـــا كحـــالة ....
٣	معجم المؤلفيـــــن ....
—	الامام العضد الايجــــى ....
٤	المواقـــــــف ..
—	الامام الجرجـــــانـــى .
٥	التعريفـــات ط الحلبــــى .
—	الامام الشهرستانى ....
٦	نهاية الاقدام فى علـــم الكـــلام
—	الدكتور/ سيد أحمد رضان المســـير
٧	الزام القرآن للماديين والمليين / دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ١٣٩٩ هجرية / ١٩٧٩ ميلاديـــة .
—	الدكتور / حسن محرم السيد الحوينى .
٨	المنهج فى اثبات الصانع بين السلفيـــة والمتكلمين ، دار الطباعة المحمديـــة ـ بالقاهـــــرة .

تابع المصـــادر

مسلسل	الموضـــوع
-	الامام الغزالـــــى ....
٩	الجام العوام عن علم الكلام / تحقيق مصطفى العبد الله دار الحكمة / بيروت ١٩٨٦م ....
-	الامام ابن فورك ....
١٠	تجريد مقالات الأشعرى / مخطوط ....
-	الاستاذ / عباس محمود العقـــاد ....
١١	الله : كتاب فى نشأة العقيدة الالهية / دار المعارف طبعة ٥ ....
-	الشيخ محمـــد المدنـــى ....
١٢	الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية ....
-	الامام الجرجانـــى ....
١٣	شرح المواقف فى علم الكلام / تحقيق / أحمد المهدى مكتبة الأزهـــر .
-	دكتورة / فوقية حسين محمـــود ....
١٤	مدخل الى الفكر الاسلامى / مطبعة اخوان زويق سنة ١٩٨٧/ ١٩٨٨م .
-	الامام أبو منصور الماتريدى ....
١٥	كتاب التوحيد / تحقيق فتح الله خلف / دار الجامعات المصريـــة ....
	الامام البياضـــى ....
	اشارات المرام من عبارات الامام ....

تابــع المصــادر

مسلسل	الموضــــوع
ـ	الامام أبو المعين النســـــفى ....
١٧	كتاب التمهيد لقواعد التوحيد / تحقيق / حبيب اللــه حسن / دار الطباعة المحدية ـ القاهـــــرة ..
ـ	الشيخ محمود أبو دقيقـــة ....
١٨	القول السديد فى علم التوحيد / تحقيق وتعليـــق أ٠د / عوض الله حجازى / ط مجمع البحوث الاسلامية ..
ـ	الامام أبو الحســن الأشعرى ....
١٩	اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع / تحقيق د /حمود ه غرابة / طبعة أولى / مصر عام ١٩٥٥م ....
ـ	الامام الفخر الرازى ....
٢٠	الأربعين فى أصول الدين / تحقيق د ٠ أحمد حجــازى السقا / الكليات الأزهريـــة ....
ـ	الامام الفنــارى ....
٢١	حاشية الفنارى بشرح المواقف ....
ـ	الدكتور / محمد محمود حجـــازى ....
٢٢	التفسير الواضح جـ ٩ ط ١٠ / ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م دار التفسير بالقاهرة ٠
ـ	الشيخ محمد الأمين ....
٢٣	حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد
ـ	الشيخ ابراهيم الباجورى ....
٢٤	حاشية تحقيق المقام على كفاية العوام / ط الحلبى الأخيرة لعام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٤٩ م ٠

تابع المصادر

مسلسل	الموضوع
—	الشيخ محمد بن الشافعي الفضالي ....
٢٥	كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام ....
—	الشيخ / محمد متولي الشعراوي ....
٢٦	الأدلة المادية على وجود الله سنة ١٩٩٠ م الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ....
—	الامام محمد بن عرفة الدسوقي ....
٢٧	حاشية على شرح البراهين ط أخيرة ١٩٣٩م ......
—	الشيخ / عبد السلام اللقاني ....
٢٨	اتحاف المريد على جوهرة التوحيد ط الحلبي ......
—	الشيخ / عبد الله الشرقاوي ....
٢٩	حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي ....
—	الشيخ المرعشي الشهير بساجقلي زادة ....
٣٠	نشر الطوالع / مكتبة العلوم العصرية / ط أولى ١٩٢٤م.
—	دكتور / مصطفى حلمي ....
٣١	منهج علماء الحديث والسنة من أصول الدين وعلم الكلام — دار الدعوة بالاسكندرية . ....
—	ابن شيبه ....
٣٢	المجموع من المحيط / جـ١ ....
—	القاضي عبد الجبار ....
٣٣	شرح الأصول الخمسة ....

تابع المصادر

مسلسل	الموضوع
-	القاضي عبد الجبار ....
٣٤	المحيط بالتكليف / تحقيق عمر عزمي / الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٣٥	المختصر في أصول الدين / ضمن رسائل العدل والتوحيد / ط دار الشروق سنة ١٩٨٧م ....
-	الدكتور / محمد غلاب ....
٣٦	مشكلة الالوهية ....
-	الشيخ الرئيس أبو على ابن سينا ....
٣٧	الاشارات والتنبيهات / القسم الثالث / تحقيق المرحوم د / سليمان دنيا / دار المعارف ط ٣ ....
-	الشريف الجرجاني ....
٣٨	حاشية الجرجاني على مطالع الأنظار ....
-	دكتور / محمد البهي ....
٣٩	الجانب الالهي من التفكير الاسلامي / دار الكاتب العربي بالقاهرة سنة ١٩٦٧م طبعة رابعة ....
-	ابن رشد ....
٤٠	مناهج الأدلة في قواعد عقائد أهل الملة مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام تقديم د / محمود قاسم / الانجلو المصرية سنة ١٩٦٤م .
-	الشيخ محمد الصادق عرجون ....
٤١	القرآن العظيم ....

تابع المصادر

مسلسل	الموضوع
—	دكاترة / محمد مصطفى عبد السلام خضير ، محمد ربيع جوهرى
٤٢	دراسات فى العقيدة الاسلامية والأخلاق / دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٨م
—	شيخ الاسلام : حسن درويش القويسنى
٤٣	شرح القويسنى على متن السلم فى المنطق / ط الحلبى/ ١٩٥٩م
—	الشيخ / ابراهيم الباجورى
٤٤	حاشية الباجورى على شرح السلم
—	الشيخ الصبان
٤٥	حاشية على شرح السلم
—	فرد ريك روزنتال
٤٦	التراث القديم فى الحضارة الاسلامية / تقديم د . عبد الله المسلمى — مكتبة سعيد رأفت
—	الامام الفخر الرازى
٤٧	عجائب القرآن / تحقيق عبد القادر احمد عطا / دار الكتب الاسلامية سنة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٣م
—	الامام الباقلانى
٤٨	الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به تحقيق الشيخ الكوثرى / ط ٢ / الخانجى ١٩٦٣م
—	الامام الجوينى

تابع المصادر

الموضوع	مسلسل
الارشاد الى قواطع الأدلة	٤٩
المعجم الوجيز	٥٠
سليمان سليمان خميس	-
محاضرات في العقيدة / مطبعة عطايا أولى ١٩٦٣م.	٥١
الامام الشهرستاني	-
الملل والنحل / تحقيق عبد العزيز الوكيل	٥٢
دكتور / عزت قرني	-
مدخل الى الفلسفة / مكتبة سعيد رأفت	٥٣
الدكتور / الطبلاوي محمود سعد	-
موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد / مطبعة الأمانة	٥٤
الامام الفخر الرازي	-
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / تحقيق طه عبد الرؤوف سعد / مكتبة الكليات الأزهرية	٥٥
الامام ابن أبي العز الحنفي	-
شرح العقيدة الطحاوية / المكتبة الاسلامية ١٩٨٤م ..	٥٦
الدكتور / حسن محرم الحويني	-
دراسات في المنطق القديم / ط أولى الفجر الجديد سنة ١٩٩٢م .	٥٧
الشيخ / السنوسي	-
شرح أم البراهين	٥٨

فهرس الموضوعات

مسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١	الاهـــــداء	٣
٢	مقدمة الطبعة الثانية	٥
٣	مقدمة الطبعة الاولى	٧
٤	مقدمات لابد منهـا	١١
٥	المقدمة الأولى : ظروف تأليف الكتاب	١٣
٦	المقدمة الثانية : الامام الايجـــى	١٧
٧	أولا : الامام الايجى ، مذهبه ، منهجه ..	١٩
٨	ثانيا : كتاب المواقف ، موضوعه وطريقة التأليف	٢٢
٩	ثالثا : شـرح الكتاب	٢٦
١٠	المقدمة الثالثة : جهودى فى الكتاب	٢٩
١١	المقدمة الرابعة: قضية وجود الله تعالى ...	٣٥
١٢	أولا : المنكـــرون	٣٧
١٣	ثانيا : المثبتـــون	٣٨
١٤	المقدمة الخامسة : أدلة وجود الله قديما وحديثا	٤٣
١٥	المقدمة السادسة: أدلة السلف الصالح	٥٣
١٦	الدليل الأول : الفطـــرى	٥٦
١٧	الدليل الثانى : النقلـــى	٥٧
١٨	الدليل الثالث: الكونى القرآنى	٦١

(تابع فهرس الموضوعـــــات)

مسلسل	الموضـــــوع	رقم الصفحة
	الفصل الأول :	
١٩	أدلة الماتريدية على اثبات وجود الله تعالى .	٧٩
٢٠	شرح الموقف الخامس في الالهيات	٨١
٢١	المسلك الأول للمتكلمين	٨٢
٢٢	دليل الامكان عند الماتريدية	٨٣
٢٣	دليل الحدوث عند الماتريدية	٨٥
	الفصل الثاني :	
٢٤	أدلة الأشاعرة على اثبات وجود الله تعالى ..	٨٩
٢٥	المسلك الأول للمتكلمين	٩١
٢٦	أولا : الدليل الكوني القرآني	٩٢
٢٧	الثاني: الدليل العقلـــــى	٩٨
٢٨	دليل الحدوث ، ودليل الامكـان	١٠٠
٢٩	أوجه الاستدلال الأربعة عند المتكلمين بنـــاء على حدوث الجواهر والأعراض وامكانهما ...	١٠٦
٣٠	الوجه الأول : الاستدلال بحدوث الجواهر ..	١٠٩
٣١	الوجه الثاني : الاستدلال بامكانهـــا	١١٥
٣٢	أنواع الجواهـــر	١١٦
٣٣	الفرق بين الواحد الحقيقي والواحد الاضافي .	١١٧
٣٤	الوجه الثالث: الاستدلال بحدوث الأعراض ..	١١٩
٣٥	الوجه الرابع : الاستدلال بامكان الأعراض ..	١٢٧

مسلسل	الموضـــــوع	رقم الصفحة
	الفصل الثالث :	
٣٦	أ ـ موقف العلماء من الدور والتسلسل	١٣٣
٣٧	أولا : الدور	١٣٥
٣٨	أنواع الموجودات	١٣٧
٣٩	ثانيا : التسلسل وأنواعه	١٣٨
٤٠	ب ـ جهود العلماء في ابطال التسلسل	١٤٠
	الفصل الرابع :	
٤١	أدلة المعتزلة على اثبات وجود الله تعالى	١٥٧
٤٢	الدليل الأول : دليل الحدوث	١٥٩
٤٣	الدليل الثاني : الاحتيـــاج	١٦٢
٤٤	الدليل الثالث: قياس الغائب على الشاهد ..	١٦٢
	الفصل الخامس :	
٤٥	أدلة الحكماء على اثبات وجود الله تعالى	١٦٥
٤٦	المسلك الثاني : للحكمـــاء	١٦٧
٤٧	١ ـ دليل الوجوب	١٧٠
٤٨	٢ ـ دليل الامكان	١٧١
٤٩	الفرق بين امكان الفلاسفة وامكان المتكلمين ..	١٧٢
٥٠	٣ ـ دليل العنايـــة	١٧٤
٥١	٤ ـ دليل الاختراع	١٧٥
٥٢	٥ ـ الدليل الغائي	١٧٧

(تابع فهرس الموضوعـــات)

مسلسل	الموضــــوع	رقم الصفحة
	الفصل السادس :	
٥٣	أدلة لبعض المتأخرين على اثبات وجود الله ...	١٨١
٥٤	المسلك الثالث : لبعض المتأخرين	١٨٣
٥٥	كلمة حول الكلي وأنواعه	١٩٣
	الفصل السابع :	
٥٦	أدلة الايجي والشارح على اثبات وجود الله تعالى	٢٠١
٥٧	المسلك الرابع : وهو ما وفقنا لاستخراجه	٢٠٣
	الفصل الثامن :	
٥٨	أدلة اثبات وجود الله بناء على امتناع العدم عليه .	٢١١
٥٩	المسلك الخامس : وهو قريب مما قبله	٢١٣
٦٠	المسلك السادس: ما أشار اليه بعض الفضلاء ..	٢١٤
٦١	خاتمة المقصد الأول	٢١٦
	المقصـــد الثانـــى :	
	عرض الآراء في اثبات المماثلة أو عدمها	
	الفصل الأول : نفي المماثلة	٢٢١
٦٢	المقصد الثاني وعرض الآراء	٢٢٣
	الفصل الثاني : شبه القائلين بالمماثلة ودفعها ..	٢٤١
٦٣	من شبه مثبتي المماثلة مع التمايز	٢٤٣
٦٤	تنبيـــــــه	٢٤٥

(تابع فهرس الموضوعات)

مسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
	المقصد الثالث :	
٦٥	العلاقة بين وجود الله تعالى وماهيته	٢٥٠
	المرصد الثاني : في التنزيهات ..	٢٥٧
	المقصد الأول :	
٦٧	نفي الجهة والمكان عن الله تعالى	٢٦٣
	الفصل الأول :	
٦٨	عرض أدلة نفي الجهة والمكان	٢٦٣
٦٩	المقصد الأول :	٢٦٥
	الفصل الثاني :	
٧٠	أدلة المشبهة على اثبات الجهة والمكان لله ومناقشتها	٢٩١
٧١	فرق المشبهة	٢٩٢
٧٢	الأدلة العقلية	٢٩٤
٧٣	الأدلة النقلية	٣١٢
٧٤	المصادر	٣٢٧
٧٥	فهرس الموضوعات	٣٣٧

مع تحيات محمد كمال حسنين للنسخ والطباعة
بالزقازيق شرقية

كتب صدرت للمؤلف الدكتور/ محمد حسينى الغزالى

(١) الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى – مكتب شروق لمحمد كمال بالزقازيق ١٩٩٥م أولى ، والطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٩٧م ، وجارى عمل الطبعة الثالثة ....

(٢) أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة – الطبعة الأولى بمطبعة غريب ١٩٩٥م ، والطبعة الثانية/ بمطبعة دار حبيب للطباعة والتجليد بالزقازيق عرقية ١٩٩٨م ....

(٣) رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق – مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٥م الطبعة الأولى والثانية بمطبعة أبو الهدى عام ١٩٩٦م ، وجارى اصدار الطبعة الثالثة ....

(٤) جنى الوليد فى علم التوحيد – مكتب شروق ١٩٩٥م طبعة أولى ، والطبعة الثانية بمطبعة أحمد أبو الهدى بالزقازيق عرقية ١٩٩٧م ، والطبعة الثالثة بمطبعة صبحى بالزقازيق ١٩٩٨م .

(٥) غدوة المشتاق فى ربوع الأخلاق – مكتب غريب ١٩٩٦م أولى ، والثانية بمؤسسة الشروق ١٩٩٧م .

(٦) ومض النصرانية بين غيوم المسيحية – مطبعة صنعاء بالأسدية ٩٦ وط٢ بمؤسسة الشروق ١٩٩٧م

(٧) حلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث – مطبعة صنعاء بالأسدية عرقية ١٩٩٦م ..

(٨) حفيف الأغصان فى الملل والنحل والأديان – مكتب الأصدقاء ١٩٩٦م ، ط٢ مطبعة الهدى ١٩٩٧

(٩) درة الحمد بتفسير سورة الحمد – طبعت بمطبعة صنعاء بالأسدية عرقية – طبعة أولى عام ١٩٩٦

(١٠) خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة – ط أولى مطبعة صنعاء بالأسدية عرقية وط ٢ مكتب شروق ٩٧

(١١) ديوان "التائه الغريب" فى الشعر العامودى الوزن المقفى طبعة أولى مكتب الأصدقاء ١٩٩٦م

(١٢) أنات حائر – مكتب شروق لمحمد كمال بالزقازيق عرقية طبعة أولى عام ١٩٩٧م ......

(١٣) لماذا انتشر الإسلام ؟ الجزء الأول – الطبعة الثالثة – بمؤسسة الشروق بالزقازيق عرقية ١٩٩٧

(١٤) قمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام الجزء الأول – ط ٣ مكتب شروق بالزقازيق عرقية ٩٧

(١٥) عبد الكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – مكتب شروق بالزقازيق عرقية ١٩٩٧م ، وجارى الطبعة الثانية

(١٦) أوراق منسية فى النصوص الفلسفية – مؤسسة الشروق ١٩٩٧م ، نفدت وجارى الطبعة الثانية .

(١٧) أوراق مطوية فى التصوف والصوفية ط١ مؤسسة الشروق ١٩٩٦م ، ١٩٩٧م وط٣ النجوم الهاشمية

(١٨) بوحيات فى سنوات – مؤسسة الشروق ١٩٩٧م الطبعة الأولى ، وجارى إصدار الطبعة الثانية

(١٩) صدع البرهان فى جمهورى السودان – مؤسسة الشروق ١٩٩٧م ، وجارى الطبعة الثانية .

(٢٠) من وحى البيان فى جناح الشيطان – مكتب شروق ، ومؤسسة دار حبيب للطباعة والتجليد ١٩٩٨

(٢١) قضايا حميمة فى الفلسفة الحديثة ١٩٩٧م طبعة أولى ، الطبعة الثانية ١٩٩٨م مؤسسة شروق .

(٢٢) أنسام حية فى الأفكار الصوفية – ط أولى ١٩٩٧م مطبعة صبحى ، ط ٢ دار حبيب عام ١٩٩٨م .

(٢٣) منهج السلف فى إثبات وجود الله تعالى – ط أولى ١٩٩٨م مؤسسة النجوم الهاشمية بالزقازيق .

(٢٤) أمواة المعلم قرنى (قصة) مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٨م ، وجارى إصدار الطبعة الثانية .

(٢٥) الوليد المنطق فى علم المنطق – طبعة أولى بمطبعة دار حبيب للطباعة بالزقازيق لعام ١٩٩٨م .

(٢٦) وهذا مذهبى – مسرحية نثرية مرتجلة جارى إصدارها – مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٨م .....

(٢٧) الوداع الأخير – جارى إصدارها – مكتب شروق بالزقازيق – ١٩٩٨م ....